



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين بالرياض

قسم القرآن وعلومه

نداءات الناس في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

بحث مقدم لتسجيل رسالة الماجستير في القرآن وعلومه

إعداد الطالب

فهد بن فرج أحمد الرفاعي الجهني

إشراف

د/ زكي بن صبري محمد

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

العام الجامعي

١٤٣١ - ١٤٣٢ هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدى للعالمين، وتبصرة للمتقين، ومحجة للسالكين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد: فإن العلوم وإن تباينت أصولها، واختلفت أحوالها، وتنوعت أبوابها، وتغايرت مسائلها، إلا أن أعلاها قدرا وأغلاها مهرا، وأسناها مبني، وأسمائها معني، وأدقها فكرا، وأرقها سرا، وأعرفها نسبا، وأعرفها أبا، وأقومها قبلا، وأقواها قبلا، وأحلاها لسانا، وأجلاها بيانا، وأوضحها سبيلا، وأصحها دليلا، وأفصحها نطقا، وأمنحها رفقا، العلوم الدينية، فهي شمس ضحاها، وبدر دجاها، فلا ينبغي لعاقل أن يستغرق النهار والليل إلا في غوص بحارها أو يستنهض الرجال إلا في سبر أغوارها، أو يصرف نفائس الأنفاس إلا في مهور أبقارها أو ينفق بدر الأعمار إلا لتشوف بدر أسرارها، ومن فاته ذلك فاته خير كثير.

وقد عني المسلمون قديما وحديثا بكتاب رهم، حفظا وقراءة وتلاوة، وتفسيرا وعملا، فحظي هذا القرآن بما لم يحظ به كتاب قبله، ولا كتاب بعده؛ ولهذا قام العلماء بهذا الكتاب العظيم، بالغوص فيه، واستخراج درره، والتأمل في لطائفه، والبحث في أسراره اللغوية والبيانية، فقدموا للمكتبة القرآنية، الكثير من الكتب القيمة، والبحوث المتميزة، والدراسات الأصيلة، إلا أنه لعظمة هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، يقف القارئ له، والمتأمل فيه، ليجد نفسه أمام موضوعات كثيرة تستحق البحث والدراسة، ومن بينها ما يتعلق بأحوال الناس، ولذلك أحببت أن يكون بحثي لنيل درجة الماجستير بعنوان ((نداءات الناس في القرآن الكريم - دراسة موضوعية)) أسأل الله أن ينفعني به، وإخواني من طلاب العلم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- ١- ارتباط الموضوع بكتاب الله تعالى، وهو أعظم ما يفني الإنسان عمره فيه.
- ٢- أن هذا الموضوع بهذا التناول لم أظفر على دراسة تناولته من قبل.
- ٣- النداء لا يكون إلا في الأمر المهم، ومن ثم تعظم قيمته، لما يحمل من الأوامر والنواهي والتوجيهات التي ترتبط بالعقائد والتشريعات والأمور الخلقية.
- ٤- وقفت على هذه النداءات ووجدتها مليئة بالفوائد والأسرار، فاستخرت الله تعالى وعقدت العزم على دراستها، لما لها من عظيم الفائدة وجليل القدر.
- ٥- وفرة الفوائد واللطائف التي تشتمل عليها آيات نداء الناس.

أهداف الموضوع:

- ١- بيان منهج القرآن الكريم في تناول نداءات الناس، وعنايته بجميع جوانب الحياة.
- ٢- توضيح مقاصد نداءات الناس في القرآن الكريم.
- ٣- الربط بين الأساليب اللغوية مع ذكر أقوال أئمة التفسير في هذه النداءات.

حدود البحث:

الدراسة ستتناول موضوعات نداءات الناس في القرآن الكريم كوحدة موضوعية لكل موضوع، والتي جاءت بخمسة عشر موضوعاً في القرآن الكريم، في إحدى وعشرين نداءً، وتشمل جميع الأهداف والمقاصد والمناسبات، وتنحصر هذه النداءات في نداءات عقديّة وتشريعية وخلقية.

الدراسات السابقة:

بالنظر والبحث وجدت أن هذا الموضوع لم يكتب فيه أحد، كدراسة موضوعية، إلا أن بعض الدراسات تناولت طرفاً من الموضوع، من ذلك:

- **النداء في اللغة والقرآن: د. أحمد محمد فارس**، وهذا الكتاب جاء في خمسة فصول، ركز فيه الباحث على الجانب البلاغي بصورة كبيرة، وكيف بحث البلاغيون النداء، وما تناوله فيما يتعلق بالقرآن لم يزد عن أنه رصد آيات النداء عامة في القرآن، ولمن يتوجه النداء في القرآن، والغاية من استخدام النداء في القرآن، والمعاني التي يخدمها النداء في القرآن، وهو من مطبوعات دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ويقع في مائة وثلاث وثمانين صفحة.
- **أسرار النداء في لغة القرآن الكريم: د. إبراهيم حسن إبراهيم**، ويقع في فصلين، طبعة الفجالة، القاهرة، ١٩٧٨ م، وعدد صفحاته ١٧٧ صفحة، تناولت موضوع النداء من الجانبين البلاغي والنحوي.
- **النداء في القرآن الكريم: مبارك تريكي**، وهي رسالة دكتوراه من جامعة ابن يوسف بن حدة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، وتتكون من ثلاثة فصول، وتقع في ٢٦٥ صفحة، غلب عليها الجوانب اللغوية والنحوية والبلاغية، وعني بشكل خاص بالجانب الدلالي.
- **نداءات الرحمن إلى أهل الإيمان: للشيخ أبي بكر الجزائري**، وهو خاص بنداءات أهل الإيمان.
- **نداءات الرحمن إلى أهل الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين**، وهو خاص بنداءات أهل الإيمان.
- **نداءات القرآن لبني الإنسان لأبي يوسف محمد زايد**، كتابة في الشبكة العنكبوتية وليست دراسة علمية ووقعت في ١١٩ صفحة. وقد قسم النداءات إلى ثلاثة أقسام:

١ - نداءات خص الله تعالى بها المصطفين الأخيار ممن اجتباهم لتبليغ رسالاته.. ٢ - نداءات خاصة جاءت بإحدى هذه الصيغ: - يا أيها الذين كفروا... - يا أيها الكافرون- يا أيها الذين هادوا... - يا بني إسرائيل... - يا أهل الكتاب... - يا أيها الذين آمنوا... ٣ - نداءات عامة وردت بإحدى الصيغ التالية: - يا أيها الناس..... - يا أيها الإنسان..... - يا بني آدم..... وقد خصص كتابته، لهذا القسم الثالث حيث جمع فيه الآيات وأتبع كل آية بتفسيرها نقلا عن أحد أعلام التفسير، منهم: الطبري، وابن كثير، والقرطبي، والسعدي، والسيوطي رحمهم الله. (فهو جمع لآيات النداء مع نقل للتفسير فحسب، وليست دراسة علمية ولا موضوعية، وقد أخذ مع هذه النداءات مقاطع كثيرة في النداء الواحد ليست من صلب الموضوع، وأخذ معها نداءات بني آدم وبني الإنسان، والمادة التي كتبها في نداءات الناس قليلة جدا وهي منقولة من التفاسير المذكورة آنفا.

نداءات الرحمن لأهل الأيمان دراسة منهجية موسعة لأبي عبدالله محمد المحمدي الصالح، تحقيق أحمد جاد، المطبعة دارالغد الجديد الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ خمس مجلدات وهي محاضرات ألقها في المسجد عن نداءات الإيمان فحسب.

- نداء الله نبيه الكريم في آي الذكر الحكيم بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية للإستاذ الدكتور بدر بن ناصر البدر، وهو متعلق بنداء النبي ﷺ في ٩٣ صفحة.

- النداءات الإلهية في القرآن - أنواعها، دلالتها، وموضوعاتها، رسالة دكتوراة، وهو موضوع مسجل في عام ١٤١٣ هـ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في قسم القرآن وعلومه، وتتكون من خمسة فصول، تعرض لنداء الناس في مبحث واحد فقط، في الفصل الرابع بذكر أربعة أمثلة، حسب اطلاعي على

خطة الباحث، ولم يتعرض لهذه النداءات الأربع إلا على وجه الإجمال فهي مختصرة جدا.

- آيات النداء في القرآن الكريم دراسة موضوعية للباحث محمود لطفي محمد جاد عبد العاطي - جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، رسالة ماجستير عام ١٤٠٩ هـ ووقعت في ٥٠٢ صفحة، وقد تناول الباحث آيات النداء في القرآن الكريم كله، وجاءت في ثلاثة أبواب، الباب الأول: صيغ النداء في القرآن الكريم، الباب الثاني: نداء العاقل في القرآن الكريم، الباب الثالث: نداء غير العاقل في القرآن الكريم. وقد عرض لنداء الناس في الباب الثاني في الفصل الرابع في المبحث الثاني في النوع الثاني، وذكر خمسة أمثلة دار حديثه فيها حول الدلالات اللفظية والإعرابات والمسائل التفسيرية التحليلية، ووقعت كتابته لهذا المبحث في ٢٥ صفحة فقط، ومن ثم فإن دراستي لهذا الموضوع تختلف اختلافا كبيرا عن دراسته لها، حيث أتناول نداءات الناس دراسة موضوعية، وتنصب الدراسة على هذا الموضوع بشكل مباشر.

خطة البحث:

تتكون الدراسة على مقدمة وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع، أسباب اختياره، وأهداف الدراسة، وحدود البحث، وخطة البحث ومنهج الدراسة.

التمهيد:

تعريف النداء: لغة واصطلاحاً.

الفصل الأول: أقسام النداء – وأركانه وأسواره في القرآن الكريم، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أركان النداء

المبحث الثاني: أقسام النداء في القرآن الكريم باعتبار المنادي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نداءات الله تعالى الواردة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: النداءات الأخرى الواردة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أقسام النداء باعتبار أغراضه، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: نداء المدح.

المطلب الثاني: نداء الذم.

المطلب الثالث: نداء التنبيه.

المطلب الرابع: نداء الإضافة.

المطلب الخامس: نداء النسبة.

المطلب السادس: نداء التسمية.

المبحث الرابع: المخاطبون بنداء الناس في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: الوجوه البلاغية والأسرار الأسلوبية في النداء، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأوجه الدلالية لكلمتي الناس و الإنسان في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأسرار البلاغية في النداء على وجه العموم.

المطلب الثالث: استخدام حرف النداء "ياء" مع الناس في القرآن وحذفها.

المطلب الرابع: السر في إضافة "أي" في عموم نداء الناس في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: موضوعات نداء الناس في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نداءات عقديّة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية.

المطلب الثالث: إرسال الرسل عليهم السلام.

المطلب الرابع: الأمر باتباع الرسل عليهم السلام.

المطلب الخامس: الإيمان بالبعث.

المبحث الثاني: نداءات تشريعية: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بالتقوى.

المطلب الثاني: النهي عن اتباع خطوات الشيطان.

المطلب الثالث: الأمر بالكسب الطيب.

المطلب الرابع: النهي عن البغي والظلم.

المبحث الثالث: نداءات خلقية، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: التفاضل بين الناس.

المطلب الثاني: التحدث بنعمة الله تعالى.

المطلب الثالث: التحذير من الغرور.

المطلب الرابع: الخشية من أهوال يوم القيامة.

المطلب الخامس: استشعار الفقر والحاجة أمام الله تعالى.

المطلب السادس: مسؤولية الفرد عن أفعاله.

الفصل الثالث: المناسبات في نداءات الناس في القرآن الكريم، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المناسبة وموقف العلماء منها.

المبحث الثاني: المناسبة بين أول السورة المفتحة بندااء الناس وآخر السورة السابقة عليها.

المبحث الثالث: المناسبة بين السور المفتحة بندااء الناس.

المبحث الرابع: المناسبة بين أول السورة المفتحة بندااء الناس وآخرها.

المبحث الخامس: المناسبة بين الآية والتي تليها.

المبحث السادس: المناسبة بين الآية والآية السابقة لها.

الفصل الرابع: مقارنة بين نداءات الناس والنداءات الأخرى في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقارنة بين نداءات الناس ونداءات أهل الإيمان.

المبحث الثاني: مقارنة بين نداءات الناس ونداءات أهل الكتاب.

المبحث الثالث: مقارنة بين نداءات الناس ونداءات بني آدم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس الفنية وتشمل:

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس الآثار.

٤- فهرس الأعلام.

٥- فهرس المسائل والعقائد.

٦- ثبت المصادر والمراجع.

٧- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سأسلك بإذن الله في هذه الدراسة المنهج الموضوعي، متبعاً الخطوات التالية:

- ١- جمع الآيات المتعلقة بالموضوع ودراستها دراسة موضوعية
- ٢- عزو الآيات القرآنية بذكر السورة ورقم الآية.
- ٣- عرض كلام المفسرين حول الآية مع مناقشته، وعزو ذلك إلى مصادره الأصلية.
- ٤- توثيق القراءات المتواتر منها والشاذ وعزوها إلى مصادرها الأصلية.
- ٥- تخريج الأحاديث والآثار بعزوها إلى مصادرها، وإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما خرجتها من مظانها، مع نقل حكم العلماء عليه.
- ٦- التعريف بالأعلام غير المشهورين.
- ٧- التعريف بالأماكن التي تحتاج إلى تعريف إن وجد.
- ٨- عزو الآيات الشعرية إلى قائلها، وكذلك الأمثال، وتوثيق ذلك من مصادره.
- ٩- أضبط المصطلحات اللغوية من مصادرها الأصلية.
- ١٠- شرح الألفاظ الغريبة من مصادرها المعتمدة.

وبعد: فأحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، يليق بجلاله، وعظيم سلطانه، وأشكره على نعمه الوافرة الكثيرة، وأخص من نعمائه أن منّ عليّ بإتمام هذا البحث وهي نعمة منه وحده لا شريك له، فله الحمد وله الشكر.

كما أزجي الشكر جزيلاً، والثناء واسعاً، لوالديّ الكريمين، على عنايتهما بي في النشأة، والتربية على البر والمعروف، وأسأل الله تعالى أن يطيل في أعمارهما على عمل صالح، وأن يرحمهما كما ربياني صغيراً.

وأتوجه بالشكر لفضيلة الدكتور زكي صبري محمد المشرف على هذا البحث، على توجيهاته المستمرة، وحرصه الدائم، وملاحظاته، التي كان لها أثرها على هذا البحث، فأسأل الله تعالى، أن يجزيه عني أوفى الجزاء وأجزله، وأن يبارك له في عمره وعمله.

كما أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على ما تقوم به من جهود في سبيل خدمة العلم وطلابه، وأخص بالشكر كلية أصول الدين على ما تقدمه من جهود طيبة لطلاب العلم من الباحثين وغيرهم.

والشكر موصول لقسم القرآن وعلومه ممثلاً في أساتذته الأفاضل على حرصهم على إعانة الباحثين، وتيسير أمورهم.

وأشكر كل من كان له إسهام في هذا البحث برأي أو مشورة، وأسأل الله تعالى أن يبارك لهم في أعمارهم وأعمالهم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

وفيه:

تعريف النداء: لغة واصطلاحاً.

النداء في اللغة:

قال ابن يعيش^(١): (النداء: الدعاء بأي لفظ كان)^(٢).

وقال الرازي^(٣): (النداء: الصوت وقد يُضم و نَادَاهُ مُنَادَاهُ و نِدَاءً صَاحَ بِهِ و نَادَاهُ أَيضاً جَالِسَهُ فِي النَّادِي و تَنَادَوْا نَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً)^(٤).

وقال الراغب الأصفهاني^(٥): (النداء: رفع الصوت وظهوره، وقد يقال ذلك للصوت المجرد، وإياه قصد بقوله: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾^(٦) أي: لا يعرف إلا الصوت المجرد دون المعنى الذي يقتضيه تركيب الكلام. ويقال للمركب الذي يفهم منه المعنى ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾^(٧) وقوله: ﴿وَإِذَا

(١) يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد الأسدي ابن علي بن الفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حيان ابن القاضي بشر بن حيان، العلامة، موفق الدين، أبو البقاء الأسدي، الموصلية، ثم الحلبي، النحوي، ويعرف قديماً بابن الصائغ. وكان طويل الروح، حسن التفهم، طويل الباع في النقل، ثقة علامة كيسا، طيب المزاج، حلو النادرة، مع وقار ورزانة. صنف شرحاً (للتصريف) لابن جني، وشرحاً (للمفصل) وغير ذلك. ت ٦٤٣ هـ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٤٤/٢٣)، و وفيات الأعيان (٤٦/٧).

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١١٨ عالم الكتب بيروت، حاشية الصبان ٣/ ١٩٧.

(٣) زين الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي لغوي، فقيه، صوفي، مفسر، أديب، من تصانيفه: مختار الصحاح، روضة الفصاحة في غريب القرآن، أمودج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل وغيرها. ت بعد ٦٦٦ هـ، معجم المؤلفين (١١٢/٩)، والأعلام للزركلي (٥٥/٦).

(٤) مختار الصحاح ص ٥٧٤-٥٧٥.

(٥) أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، العلامة الماهر، المحقق الباهر، صاحب التصانيف كان من أذكى المتكلمين له مؤلفات عديدة منها: المفردات في ألفاظ القرآن، ومحاضرات الأدباء، توفي سنة: ٥٠٢ هـ على الأشهر. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٢٠/١٨)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٥٩/٤)، وطبقات المفسرين للداودي (ص ١٦٨).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٧١).

(٧) سورة الشعراء، الآية (١٠).

نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴿١﴾ أَي: دعوتهم، وكذلك: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾^(١) ونداء الصلاة مخصوص في الشرع بالألفاظ المعروفة، وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(٢) فاستعمال النداء فيهم تنبيها على بعدهم عن الحق في قوله: ﴿وَأَسْتَمِعَ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾^(٣) ﴿٤٤﴾ ﴿الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(٤)، ﴿وَنَدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾^(٥) وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا﴾^(٧) فإنه أشار بالنداء إلى الله تعالى؛ لأنه لأنه تصور نفسه بعيدا منه بذنوبه، وأحواله السيئة كما يكون حال من يخاف عذابه، وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾^(٨) فالإشارة بالمنادي إلى العقل، والكتاب المنزل، والرسول المرسل، وسائر الآيات الدالة على وجوب الإيمان بالله تعالى. وجعله مناديا إلى الإيمان لظهوره ظهور النداء، وحثه على ذلك كحث المنادي. وأصل النداء من الندى. أي: الرطوبة، يقال: صوت ندي ربيع، واستعارة النداء للصوت من حيث إن من يكثر رطوبة فمه حسن كلامه، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق، ويقال: ندى وأنداء وأندية، ويسمى الشجر ندى لكونه منه، وذلك لتسمية المسبب باسم سببه وقول الشاعر:

كالكرم إذ نادى من الكافور

(١) سورة المائدة، الآية (٥٨).

(٢) سورة الجمعة، الآية (٩).

(٣) سورة فصلت، الآية (٤٤).

(٤) سورة ق، الآية (٤١).

(٥) سورة مريم، الآية (٥٢).

(٦) سورة النمل، الآية (٨).

(٧) سورة مريم، الآية (٣).

(٨) سورة آل عمران، الآية (١٩٣).

أي: ظهر ظهور صوت المنادي، وعبر عن المجالسة بالنداء حتى قيل للمجلس: النادي، والمنتدى، والندي، وقيل ذلك للجليس، قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾^(١) ومنه سميت دار الندوة بمكة، وهو المكان الذي كانوا يجتمعون فيه. ويعبر عن السخاء بالندی، فيقال: فلان أندى كفا من فلان، وهو يتندى على أصحابه. أي: يتسخى، وما نديت بشيء من فلان أي: ما نلت منه ندى، ومنديات الكلم: المخزيات التي تعرق^(٢)

فالناظر في كتب اللغويين يدرك أن النداء يكاد لا يخرج في دلالاته عن ثلاثة معان الصوت، والدعاء، والصرخ، ومن ثم فهي ثلاثة دوال لمدلول واحد وهو النداء.

أما في الاصطلاح

فمن النحويين من يعرفه وظيفيا بينما يعرفه آخرون انطلاقا من أحواله الإعرابية^(٣)، فقد قال سيبويه: (اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره)^(٤) والتعريف المختار الجامع لدي ما أورده بعض النحويين حيث قال (هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النداء ملفوظا كان حرف النداء أو ملحوظا)^(٥)

ملفوظا مثل قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦)

(١) سورة العلق، الآية (١٧).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٧٩٧) مادة ندا.

(٣) النداء في اللغة والقرآن (ص ٧٨) بتصرف.

(٤) الكتاب (١٨٢/٢).

(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١٦/٣).

(٦) سورة البقرة، الآية (٢١).

ملحوظا مثل قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٤) (١).

وقد قال الزركشي (٢) (النداء: هو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص) (٣).

(١) سورة الممتحنة، الآية (٤).

(٢) أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصللي الشافعي، وهو عالم في الحديث والتفسير وجميع العلوم وألف تصانيف كثيرة في عدة فنون، ومن مصنفاته شرح البخاري والتنقيح على البخاري وشرح التنبيه والبرهان في علوم القرآن وتخريج أحاديث الرافعي وتفسير القرآن العظيم وصل إلى سورة مريم (ت ٧٩٤ هـ). طبقات المفسرين للداودي (ص ٣٠٢)، و إنباء الغمر بأبناء العمر (١ / ٤٤٦).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٢ / ٣٢٣).

الفصل الأول

أقسام النداء – وأركانه وأساره في القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أركان النداء.

المبحث الثاني: أقسام النداء في القرآن الكريم باعتبار المنادي.

المبحث الثالث: أقسام النداء باعتبار أغراضه.

المبحث الرابع: المخاطبون بندااء الناس في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: الوجوه البلاغية والأسرار الأسلوبية في النداء.

المبحث الأول

أركان النداء

ذكر بعض العلماء أن النداء يعتمد على ركنين أساسيين^(١) هما:

١- المنادى: و هو المطلوب إقباله بحرف نائب مناب: أدعو، لفظاً أو تقديراً.^(٢)

٢- أدوات النداء: وهي ثمانية (يا، أيا، هيا، أي، آ، آي، وا، أ)

والأحرف التي ينادى بها، منها ما يستخدم لنداء البعيد ومنها ما هو للقريب، فأما ما للبعيد فأولها: (يا)، فهي أم الباب^(٣)، وذلك أنه لم يأت في القرآن الكريم مع كثرة النداء فيه بغيرها.^(٤) مثاله قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٥) ومن ثم قال أبو حيان^(٦): إنها أعم الحروف، وأنها تستعمل للقريب والبعيد مطلقاً؛ وأنه الذي يظهر من استقراء كلام العرب؛ وقال ابن مالك؛ هي للبعيد حقيقة، أو

(١) انظر: الخليل معجم مصطلحات النحو العربي (ص ٤٥٠)، وانظر: المعجم المفصل في النحو العربي (٢/ ١٠٩٨).

(٢) التعريفات (ص ٢٣١)، وكذلك دليل الطالبين لكلام النحويين (ص ٦٨).

(٣) مع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٢/ ٣٤).

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير (١/ ١٥١)، و دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٣/ ٦٣٨).

(٥) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٦) محمد بن علي بن حيان النفزي الأندلسي الجياني الأصل الغرناطي المولد والمنشأ المصري الدار شيخنا وأستاذنا أبو

حيان، شيخ النحاة العلم الفرد والبحر، وصنف التصانيف السائرة، منها: البحر المحيط في التفسير، وشرح التسهيل،

والارتشاف، وتجريد أحكام سيبويه، والتذكرة، والغاية، والتقريب، والمبدع، واللمحة وغير ذلك، وله في القراءات عقد

اللائي، ت ٧٤٥هـ. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٩/ ٢٧٦)، و طبقات المفسرين للداودي (ص ٢٧٨).

حكماً؛ كالنائم والساهي؛ وقد ينادى بها القريب توكيداً؛ وقيل: هي مشتركة بين البعيد والقريب؛ وقيل بينهما وبين المتوسط وذكر ابن الخباز^(١) عن شيخه أن "يا" للقريب؛ وهو خرق لإجماعهم^(٢).

ثانياً: أيا وهي: عند جمهور النحاة لنداء البعيد؛ وفي الصحاح: أنها لنداء القريب والبعيد؛ وقال في المغني: وليس كذلك^(٣).

ومن شواهد النداء بها؛ قول ذي الرمة^(٤):

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل... وبين النقا أنتِ أمُّ أمِّ سالم^(٥)

(١) انظر: الواقي بالوفيات (٢٢٣/٦): أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي بن منصور العلامة شمس الدين أبو عبد الله ابن الخباز الإبلي الموصلية النحوي الضري صاحب التصانيف كان أستاذاً بارعاً في النحو واللغة والعروض الفرائض وله شعر توفي سنة تسع وثلاثين وست مائة.

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣٤/٢) وهنا قد يرد سؤال وهو: أنه إذا كانت (يا) لنداء البعيد فكيف استعملت في نداء الله تعالى، وهو أقرب إلى عبده من جبل الوريد؟ وفيه جوابان: الأول: ذكره البلاغيون، وهو أنه قد ينزل القريب منزلة البعيد، فينادى بأدوات البعيد لغرض الإشعار بأن المنادى رفيع القدر، عظيم الشأن، فينزل بعد المنزلة منزلة بعد المكان. الثاني: أن (يا) للقريب والبعيد، ودعوى المجاز في أحدهما والتأويل خلاف الأصل. انظر: دليل السالك إلى ألفية ابن مالك (٩٠ / ٢).

(٣) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣٤/٢).

(٤) غيلان بن عقبة بن نھيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث: من فحول الطبقة الثانية في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وحتم بذي الرمة. توفي سنة ١١٧. انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص ١٢٠).

(٥) الوعساء: الارض اللينة ذات الرمل، انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٩٨٩/٣)، وجلاجل: بالفتح: موضع، موضع، وقيل جبل من جبال الدهناء، لسان العرب (١٢٣/١١)، والنقا: الكتيب من الرمل انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٥١٤/٦)، وأم سالم: كنية محبوبته.

ثالثاً: هيا (للبعيد؛ وهاؤه أصل)^(١) لأن الإبدال نوع من التصريف؛ والتصريف لا يدخل الحروف. وقيل: بدل من همزة "أيا"؛ لأن هذا إبدال لغوي؛ والإبدال التصريفي هو المختص بالأسماء المتمكنة والأفعال^(٢).

ومن شواهد النداء بـ "هيا" قول الشاعر^(٣):

فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح: هيا ربا^(٤).

رابعاً، وخامساً: أي (بسكون الياء مع فتح الهمزة مقصورة وممدودة)^(٥).

في معناها أقوال؛ قيل للقريب؛ كالمهمزة وعليه المبرد^(٦) والجزولي^(٧)؛ وقيل للبعيد، كـ "يا" وعليه وعليه ابن مالك؛ وقيل للمتوسط.

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣٥/٢).

(٢) انظر: حاشية أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٥/٤) بتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي.

(٣) الراعي الشاعر المشهور النميري اسمه عبيد بن حصين، قال أبو الفرج غلب عليه ذلك لأنه كان يكثر وصف الأبل ويكنى أبا جندل انظر: نزهة الألباب في الألقاب (١/٣٢٠) و المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة (ص ١٠٥).

(٤) ديوان الراعي النميري (ص ٢٦٥)، وهذا البيت أورده صاحب اللسان في هيا لسان العرب (٤٨٥/١٥)، الخصائص (٣٠/١) وفيه: "من طرب" في مكان "من فرح".

(٥) انظر: دليل السالك إلى ألفية ابن مالك (٩٠/٢ - ٩١) وهي للبعيد عنده.

(٦) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد، كان فصيحاً بليغاً وثقة وعارفاً أخذ العربية عن الكسائي الأزدي وعن أبي حاتم السجستاني وله التوايف النافعة في الأدب وصنف في التفسير معاني القرآن وإعراب القرآن وكانت وفاته سنة ست أو خمس وثمانين ومائتين، انظر: طبقات المفسرين للداودي (ص ٤١-٤٢).

(٧) أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن الجزولي - وحزولة قبيلة من قبائل البربر مشهورة الذكر هناك -؛ كان إماماً في علم النحو، كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه وشاذه. له حواشٍ على الجمل للزجاجي، وكتاب القانون في النحو قيل توفي سنة خمس وستمائة؛ قبلها أو بعدها بقليل، وقيل توفي سنة عشرة وستمائة. انظر: وفيات الأعيان (٤٨٨/٣ - ٤٨٩) وانظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣٧٨/٢ - ٣٧٩).

ومن شواهد النداء بها؛ ما ورد في الحديث: "أي رب"^(١).

سادسا: آ بالمد وهو مسموع، وهو لنداء البعيد^(٢).

مثاله: أحمد في حالة المد أما في حالة القصر أحمد.

سابعا: (ذهب جمهور النحاة أنها للقريب، وزعم شيخ ابن الخباز أنها للمتوسط، وفي هذا خرق لإجماعهم، وذكر ابن مالك - في شرح التسهيل - أن النداء بها قليل، وفي كلام العرب؛ وتبعه ابن الصائغ^(٣) - في حواشي المعني - ويقول السيوطي^(٤): "وما قاله مردود، فقد وقفت لذلك على أكثر من ثلاثمائة شاهد، وأفردتها بتأليف. ا. هـ)^(٥).

ومن شواهد النداء بالهمزة؛ قول امرئ القيس^(٦) في معلقته:

(١) صحيح البخاري: كتاب الأذان - باب ما يقول بعد التكبير، حديث رقم (٧٤٥) والأحاديث بذكر هذه اللفظة كثيرة جدا ولكن اكتفيت بذكر هذا المصدر تنويها بغيره، ففي حالة القصر تقول أي رب، وفي حالة المد تقول: أي رب. انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣٤/٢).

(٢) انظر: دليل السالك إلى ألفية ابن مالك (٩١ / ٢) و همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣٥/٢).

(٣) الحسين بن علي بن يزيد بن داود بن يزيد أبو علي النيسابوري الصائغ الحافظ رحل وطوف وجمع وصنف ، قال الحاكم هو واحد عصره في الحفظ والإتقان والورع والذاكرة والتصنيف ولد سنة سبع وسبعين ومائتين وت ٣٤٩ هـ الوافي بالوفيات : (١٢ / ٢٦٦) و مختصر تاريخ دمشق (٢٦٧/٧).

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، أبو الفضل جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له مؤلفات كثيرة منها منها الدر المنثور في التفسير المأثور. نشأ في القاهرة يتيما ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس. مات سنة ٩١١ هـ. الأعلام (٣٠١/٣)، و الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٦٥/٤) ديوان الإسلام (٥١/٣) و معجم المؤلفين (١٢٨/٥).

(٥) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (٣٣/٢).

(٦) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي، وهو من أهل نجد، من الطبقة الأولى. وهذه الديار التي وصفها في شعره شعره كلها ديار بني أسد، وأحد أصحاب المعلقات، أشعر الناس وأوصفهم، يسمى بالملك الضليل وبذي القروح، قال فيه الرسول ﷺ: "هو قائد الشعراء، إلى النار" وفي خبر آخر: «معه لواء الشعراء إلى النار» انظر: الشعر الشعراء

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل... وإن كنت قد أزمعت صرمني فأجملي^(١).

ثامنا: وا، ويستعمل لنداء المندوب (وهو المتفجع عليه أو المتوجع منه) نحو: وا ظهراه.
ويجوز استعمال (يا) في الندبة إذا وجد قرينة تدل على ذلك، كقول جرير^(٢) يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

حملت أمرا عظيما فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

فقوله: يا (عمرا) أسلوب ندبة، وليس نداء لأنه قال ذلك بعد موت عمر بن عبدالعزيز^(٣).

٣- المنادي: وهو من صدر منه النداء، ولا يمكن أن يصدر نداء بدون وجوده فهو الركن الثالث من أركان النداء، فلعله مستقر عند أئمة النحو والبلاغة فلذلك لم يذكروه.^(٤)

٤- المنادي لأجله: وهو المقصود من النداء وهو الركن الرابع، قال الزركشي: (وهو إنما

يصحب في الأكثر الأمر والنهي كقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٥).

(١/١٠٧-١٨٦) قلت: والحديث تكلم فيه وقد ضعفهما الألباني في كتابه ضعيف الجامع الصغير وزيادته حديث رقم (١٢٥٠) وحديث رقم (١٢٥١).

(١) هي فاطمة بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العذرية انظر: تاج العروس (١٥/٢٤٨). "أزمعت" أزمعت على أمر كذا وكذا. إذا ثبت عليه عزمي وعزيمتي أن أمضي إليه لا محالة تاج العروس (٢١/١٦٠) "صرمي" والصرم بالضم: الهجران، والقطعة انظر: تاج العروس (٣٢/٥٠٥). "أجملي" فأحسني.

(٢) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي، من بني كليب بن يربوع، يكنى أبا حزره، أحد ثلاثة يعدون أشعر شعراء عصرهم مع الفرزدق والأخطل، وهم المقدمون على سواهم، وجرير أسهلهم ألفاظا، وأقلهم تكلفا وأرقهم نسيبا، وكان جرير من فحول شعراء الإسلام، ويشبهه من شعراء الجاهلية بالأعشى، مات باليمامة سنة ١١١هـ. الشعر والشعراء (١/٤٥٦-٤٥٧).

(٣) انظر: دليل السالك إلى ألفية ابن مالك (٢/٩١).

(٤) وهذا حسب اطلاعي واجتهادي في كتب أهل العلم التي بين يدي في الباب.

(٥) سورة البقرة، الآية (٢١).

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾^(١) ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْنَدِرُوا الْيَوْمَ﴾^(٢) وربما تقدمت جملة الأمر جملة النداء كقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣) وإذا جاءت جملة الخبر بعد النداء تتبعها جملة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾^(٤).

وقد تجيء معه الجمل الاستفهامية والخبرية كقوله تعالى في الخبر: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٥) وفي الاستفهام: ﴿يَتَأَبَّتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾^{(٦)(٧)}.

(١) سورة الأحزاب، الآية (١).

(٢) سورة التحريم، الآية (٧).

(٣) سورة النور، الآية (٣١).

(٤) سورة الحج، الآية (٧٣).

(٥) سورة الزخرف، الآية (٦٨).

(٦) سورة مريم، الآية (٤٢).

(٧) البرهان في علوم القرآن (٢/٣٢٣-٣٢٤).

المبحث الثاني

أقسام النداء في القرآن الكريم باعتبار المنادي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نداءات الله تعالى الواردة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: النداءات الأخرى الواردة في القرآن الكريم

المطلب الأول

نداءات الله تعالى الواردة في القرآن الكريم

أولاً: نداء من الله تعالى لأبيائه:

المتأمل لكلام الله تعالى العزيز الكريم، يدرك أن نداء الله تعالى للأبناء جاء علي نوعين:
الأول: نداء للرسول عامة.

الثاني: نداء خاص لكل نبي ممن نودي في القرآن الكريم.

والنوع الأول منهما يتضح في قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا
إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(١).

(أمر جل وعلا في هذه الآية الكريمة رسله عليهم الصلاة والسلام مع أن الموجود منهم، وقت نزولها واحد، وهو نبينا ﷺ، بالأكل من الطيبات: وهي الحلال الذي لا شبهة فيه على التحقيق، وأن يعملوا العمل الصالح، وذلك يدل على أن الأكل من الحلال له أثر في العمل الصالح، وهو كذلك، وهذا الذي أمر به الرسل في هذه الآية الكريمة، أمر به المؤمنين من هذه الأمة التي هي خير الأمم، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتِيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٢)، والآية تدل على أن كل رسول أمر في زمنه بالأكل من الحلال، والعمل الصالح، وتأثير الأكل من الحلال في الأعمال معروف. وفي

(١) سورة المؤمنون، الآية (٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٢).

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(١)، وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٢)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر. ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذي بالحرام يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب فأنى يستجاب له^(٣) وهو يدل دلالة واضحة أن دعاءه الذي هو أعظم القرب لم ينفعه، لأنه لم يأكل من الحلال ولم يشرب منه، ولم يركب منه^(٤).

الثاني: النداء الخاص بكل نبي، وقد جاء النداء في كتاب الله تعالى لثمانية من أنبيائه الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وهم علي النحو الآتي:

أولاً: النداء إلى آدم عليه الصلاة والسلام:

وقد ورد النداء له صريحاً في القرآن في أربعة مواضع:

١- في قوله تعالى: ﴿قَالَ يٰٓآدَمُ اٰنۡبِئۡهُمۡ بِاَسۡمَائِهِمۡ ۗ فَلَمَّ اٰنۡبَاَهُمۡ بِاَسۡمَائِهِمۡ قَالَ اَلَمْ اَقُلۡ لَّكُمۡ اِنۡنِيۡ اَعۡلَمُۗ غَيۡبَ السَّمٰوٰتِ وَالۡاَرۡضِ وَاَعۡلَمُۗ مَا تُبۡدُوۡنَ وَمَا كُنۡتُمۡ تَكۡفُرُوۡنَ﴾^(٥).

في هذا النداء إظهار لحكمة العليم الحكيم من خلق آدم عليه السلام واستخلافه، وذلك واضح حينما سأل سبحانه الملائكة عن أسماء المسميات وأعلنوا عجزهم عن ذلك وذيلوا كلامهم بإرجاع العلم إلى صاحب العلم والحكمة سبحانه فقالوا: ﴿لَا عَلِمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ

(١) سورة المؤمنون، الآية (٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٢).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الكسوف - باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها - حديث (٦٥).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٣٣٤/٥-٣٣٥).

(٥) سورة البقرة، الآية (٣٣).

أَلْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾، (الحكيم: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئاً إلا لحكمة: ولا أمر بشيء إلا لحكمة، والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به، فأقروا، واعترفوا بعلم الله وحكمته، وقصورهم عن معرفة أدنى شيء، واعترافهم بفضل الله عليهم؛ وتعليمه إياهم ما لا يعلمون.

فحينئذ قال الله: ﴿يَتَقَادِمُ أَنبِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: أسماء المسميات التي عرضها الله على الملائكة؛ فعجزوا عنها، ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ تبين للملائكة فضل آدم عليهم؛ وحكمة الباري وعلمه في استخلاف هذا الخليفة^(٢).

٢- في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَتَقَادِمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

(هذه تكرمة أكرم الله بها آدم بعد أن أكرمه بكرامة الإجلال من تلقاء الملائكة.

ونداء آدم قبل تخويله سكنى الجنة نداء تنويه بذكر اسمه بين الملائكة الأعلى، لأن نداءه يسترعي إسماع أهل الملائكة الأعلى فيتطلعون لما سيخاطب به، وينتزع من هذه الآية أن العالم جدير بالإكرام بالعيش الهنيء، كما أخذ من التي قبلها أنه جدير بالتعظيم^(٤).

٣- في قوله تعالى ﴿وَيَتَقَادِمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥).

وقد تكرر النداء لآدم والأمر بسكنى الجنة مرتين الأولى في البقرة والثانية في الأعراف.

(١) سورة البقرة، الآية (٣٢).

(٢) تفسير السعدي (ص ٤٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (٣٥).

(٤) التحرير والتنوير (١/٤٢٨).

(٥) سورة الأعراف، الآية (١٩).

(في البقرة (وكلا) بالواو، وفي الأعراف (فكلا) بالفاء، واسكن في الآيتين ليس بأمر السكون الذي هو ضد الحركة، وإنما الذي في البقرة من السكون الذي معناه الإقامة، وذلك يستدعي زمانا ممتدا، فلم يصلح إلا بالواو، لأن المعنى اجمع بين الإقامة فيها، والأكل من ثمارها، ولو كان (الفاء) مكان (الواو) لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة، لأن (الفاء) للتعقيب والترتيب.

والذي في الأعراف من السكنى التي معناها: اتخاذ الموضع مسكنا، لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة بقوله: ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا ﴾ وخاطب آدم فقال: ﴿ وَيَتَّعَدُّمْ أَسْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ أي اتخذها لأنفسكما مسكنا ﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ فكانت الفاء أولى: لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانا ممتدا، ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه بل يقع الأكل عقيبها.

وزاد في البقرة (رغدا)، لما زاد في الخبر تعظيما بقوله: (وقلنا) بخلاف سورة الأعراف فإن فيها (قال).

وذهب بعض العلماء إلى أن ما في الأعراف خطاب لهما قبل الدخول، وما في البقرة بعد الدخول^(١).

٤- في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ كَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ فَقُلْنَا يَتَّعَدُّمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿^(٢).

والنداء هنا لآدم عليه السلام لأنه المسؤول عن أهله بحكم القوامة التي هي للرجل علي المرأة

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرماني: ١٨-١٩ تحقيق د/ السيد الجميلي ط: الأزهر الشريف ١٤١٤هـ.

(٢) سورة طه، الآية (١١٦ - ١١٧).

(وإسناد الشقاء إليه خاصة، لأصالته في الأمور، واستلزام شقائه بشقائها. فاختصر الكلام لذلك، مع المحافظة على الفاصلة)^(١).

الثاني: النداء إلي نبي الله نوح عليه السلام:

جاء النداء لنبي الله نوح عليه السلام صريحا بلفظ النداء في موضعين:

١- في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٢).

هذا النداء من الله لنوح حينما طلب من ربه نجاة ابنه من الغرق فرد الله تعالى عليه هذا الطلب ليؤكد للبشرية كلها أن (العبرة بقراءة الدين لا بقراءة النسب فإن في هذه الصورة كانت قرابة النسب حاصلة من أقوى الوجوه ولكن لما انتفت قرابة الدين لا جرم نفاه الله تعالى بأبلغ الألفاظ وهو قوله ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾^(٣).

٢- في قوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنْعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِتَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٤).

(فصلت الجملة ولم تعطف لوقوعها في سياق المحاورة بين نوح عليه السلام وربه، فإن نوحاً عليه السلام لما أجاب بقوله: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾^(٥) إلى آخره خاطبه ربه إتماماً للمحاورة بما يسكن جأشه.

(١) محاسن التأويل (٧/١٥٠-١٥١).

(٢) سورة هود، الآية (٤٦).

(٣) تفسير الرازي (١٨/٣٥٧).

(٤) سورة هود، الآية (٤٨).

(٥) سورة هود، الآية (٤٧).

وكان مقتضى الظاهر أن يقول: قال يا نوح اهبط، ولكنه عدل عنه إلى بناء الفعل للنائب ليحيى على وتيرة حكاية أجزاء القصة المتقدمة من قوله: (وقيل: يا أرض ابلعي... وقيل بعداً للقوم الظالمين)^(١)، فحصل بذلك البناء قضاء حق الإشارة إلى جزء القصة، كما حصل بالفصل قضاء حق الإشارة إلى أن ذلك القول جزء المحاورة.

ونداء نوح عليه السلام للتوبيه به بين الملاء.

والهبوط: النزول. وتقدم في قوله: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾^(٢)، والمراد: النزول من السفينة لأنها كانت أعلى من الأرض.

والسلام: التحية، وهو مما يخاطب بها عند الوداع أيضاً، يقولون: اذهب بسلام، ومنه قول لبيد^(٣):

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما^(٤)

(١) سورة هود، الآية (٤٤).

(٢) سورة البقرة، الآية (٦١).

(٣) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية.

من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وآله ويعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، قيل: هو " ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح " وسكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات. حكى عنه السيدة عائشة رضي الله عنها، وترحمت عليه، وصدقته النبي صلى الله عليه وسلم بيت قاله، قاله عنه أنس بن مالك: عاش لبيد مائة وستين سنة. (معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصفهاني ٢٤٢١/٥ تحقيق: عادل العزازي ط: دار الوطن الرياض ط: الأولى ١٩٤١م، الأعلام للزركلي ٢٤٠/٥ ط: دار العلم للملايين ط: الخامسة عشر ٢٠٠٠م.

(٤) شطر بيت لبيد وتماهه (إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر) ينظر: ديوان لبيد (ص٧٩).

وخطابه بالسلام حينئذٍ إيماءً إلى أنه كان في ضيافة الله تعالى لأنه كان كافلاً له النجاة، كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَجٍ وَّوُدٍّ ۖ وَدُوسِرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴿١﴾﴾^(١).

الثالث: النداء إلي إبراهيم عليه السلام:

ورد النداء في القرآن من رب العالمين لنبيه إبراهيم عليه السلام صريحاً بأداة النداء في موضعين

١- في قوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١١﴾ مَرْدُودٍ ﴿٣﴾﴾.

هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن مجادلة إبراهيم عليه السلام في قوم لوط عليه السلام، فنهى عن ذلك وصُدر النهي بالنداء بأن (دع عنك الجدل في قوم لوط لأنه قد جاء الأمر بعدائهم أمر بك ربك غير مردود ولا مصروف عنهم)^(٤).

(ويراد بالجحيء المشاركة فلا يتكرر مع قوله سبحانه: "وإنهم آتيهم عذاب غير مردود")^(٥).

٢- في قوله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴿٦﴾﴾.

وهذا النداء جاء في ثنايا الحديث عن أمر الرؤيا التي رآها إبراهيم عليه السلام والتي تشير إلى ذبح ابنه اسماعيل في وقت شدة حاجته إليه كما ذكر القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ

(١) سورة القمر، الآية (١٣-١٤).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/٨٨-٨٩).

(٣) سورة هود، الآية (٧٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٧٣).

(٥) تفسير روح المعاني (٦/٣٠١).

(٦) سورة الصافات، الآية (١٠٤-١٠٥).

قَالَ يَبْنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى^١ قَالَ يَا بَتِ أَعْلَمُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾.

(قال أهل السنة: إن نفس الذبح لم يقع، وإنما وقع الأمر بالذبح قبل أن يقع الذبح، ولو وقع لم يتصور رفعه، فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل؛ لأنه لو حصل الفراغ من امتثال الأمر بالذبح ما تحقق الفداء. وقوله تعالى: (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا): أي حققت ما نبهناك عليه، وفعلت ما أمكنك ثم امتنعت لما منعناك. هذا أصح ما قيل به في هذا الباب)^(٢).

الرابع: نداء الله يحي عليه السلام:

جاء النداء لهذا النبي من الله تعالى في موضع واحد من كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿يَيِّحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْهُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٣).

(قوله تعالى: ﴿يَيِّحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ في الكلام حذف؛ المعنى فولد له ولد وقال الله تعالى للمولود: ﴿يَيِّحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ وهذا اختصار يدل الكلام عليه و"الكتاب" التوراة بلا خلاف. (قوة) أي بجد واجتهاد؛ قاله مجاهد. وقيل العلم به، والحفظ له والعمل به، وهو الالتزام لأوامره، والكف عن نواهيه ﴿وَاَتَيْنَهُ الْهُكْمَ صَبِيًّا﴾ قيل: الأحكام والمعرفة بها. وروى معمر أن الصبيان قالوا ليحي: اذهب بنا نلعب؛ فقال: ما للعب خلقت. فأنزل الله تعالى ﴿وَاَتَيْنَهُ الْهُكْمَ صَبِيًّا﴾ وقال قتادة: كان ابن سنتين أو ثلاث سنين. وقال مقاتل: كان ابن ثلاث سنين)^(٤).

(١) سورة الصافات، الآية (١٠٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٢/١٥).

(٣) سورة مريم، الآية (١٢).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٧-٨٦/١١).

و قيل في المراد بالحكم (معرفة الأحكام، وقيل الحكمة، وقيل النبوة)^(١).

الخامس: النداء لداود عليه السلام:

ورد هذا النداء في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٢).

(افتتاح الخطاب بالنداء لاسترعاء وعييه واهتمامه بما سيقال له).

والخليفة: الذي يخلف غيره في عمل، أي يقوم مقامه فيه، فإن كان مع وجود المخلوف عنه قيل: هو خليفة فلان، وإن كان بعدما مضى المخلوف قيل: هو خليفة من فلان. والمراد هنا: المعنى الأول بقرينة قوله: (فاحكم بين الناس بالحق).

فالمعنى: أنه خليفة الله في إنفاذ شرائعه للأمة المجمعول لها خليفة مما يوحي به إليه ومما سبق من الشريعة التي أوحى إليه العمل بها)^(٣).

(وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قد أمر نبيه داود فيه، بالحكم بين الناس بالحق ونهاه فيه عن اتباع الهوى، وأن اتباع الهوى، علة للضلال عن سبيل الله، لأن الفاء في قوله فيضلك عن سبيل الله تدل على العلية.

وقد تقرر في الأصول، في مسلك الإيماء والتنبيه، أن الفاء من حروف التعليل كقوله: سهى فسجد، وسرق فقتعت يده، أو لعله السهو في الأول، ولعله السرقة في الثاني، وأتبع ذلك

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٧٨).

(٢) سورة ص، الآية (٢٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٤٢).

بالتهديد لمن اتبع الهوى، فأضله ربنا عن سبيل الله، في قوله تعالى بعده يليه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

ومعلوم أن نبي الله داود، لا يحكم بغير الحق، ولا يتبع الهوى، فيضله عن سبيل الله، ولكن الله تعالى، يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وينهاهم، ليشرع لأمتهم.

ولذلك أمر نبينا ﷺ، بمثل ما أمر به داود، ونهاه أيضاً عن مثل ذلك، في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(٢)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾^(٥)^(٦).

السادس: نداء الله نبيه موسى عليه السلام:

نداءات الله تعالى موسى عليه السلام جاءت في عشرة مواضع من القرآن الكريم:

١- في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمْؤِسِي إِلَيَّ اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٧).

هذا النداء جاء في سياق حوار مطول بين الله تعالى وكليمه موسى عليه السلام.

(١) سورة المائدة، الآية (٤٣).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٩).

(٣) سورة الأحزاب من الآية (١).

(٤) سورة الإنسان، الآية (٢٤).

(٥) سورة الكهف، الآية (٢٨).

(٦) أضواء البيان للشنقيطي (٦/٣٣٩-٣٤٠).

(٧) سورة الأعراف، الآية (٤٤).

(وهذه الآية في تسلية موسى - ﷺ - حيث سأل الرؤية فلم يحظ بها)^(١).

(والاصطفاء: الاجتباء؛ أي فضلتك. ولم يقل على الخلق؛ لأن من هذا الاصطفاء أنه كلمه وقد كلم الملائكة وأرسله وأرسل غيره. فالمراد ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ المرسل إليهم.

والرسالة مصدر، فيجوز أفرادها. ومن جمع على أنه أرسل بضروب من الرسالة فاختلقت أنواعها، فجمع المصدر لاختلاف أنواعه؛ كما قال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٢). فجمع لاختلاف أجناس الأصوات واختلاف المصوتين، ووجد في قوله ﴿لَصَوْتُ﴾ لما أراد به جنسا واحدا من الأصوات)^(٣).

ويرى ابن كثير^(٤): (بأنه اصطفاه على أهل زمانه برسالاته تعالى وبكلامه ولا شك أن محمدا ﷺ سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ولهذا اختصه الله تعالى بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تستمر شريعته إلى قيام الساعة وأتباعه أكثر من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين كلهم)^(٥).

(وقدّم الرّسالة على الكلام؛ لأنها أسبق، أو ليترقى إلى الأشرف، وكرّر حرف الجرّ، تنبيهاً على مغايرة الاصطفاء.

فإن قيل: كيف اصطفاه على الناس برسالاته مع أنّ كثيراً من الناس قد ساواه في الرسالة؟ فالجواب: أنّه تعالى بيّن أنّه خصّه من دون الناس بمجموع الأمرين: وهو الرسالة مع الكلام بغير

(١) تفسير السمعاني (٢/٢١٤).

(٢) سورة لقمان، الآية (٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/٢٨٠).

(٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء البصري الدمشقي، الإمام المحدث المفسر الفقيه المؤرخ، أخذ عن شيخ شيخ الإسلام ابن تيمية، ولازم الحافظ المزني وتزوج ابنته، له عدة مؤلفات منها: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، وغير ذلك، توفي سنة: ٧٧٤هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي ص ٢٦٠، و شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١/٦٧).

(٥) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣/٤٢٥).

واسطة، وهذا المجموع لم يحصل لغيره، وإتّما قال: " عَلَى النَّاسِ " ولم يقل: على الخلق؛ لأنّ الملائكة تسمع كلام الله من غير واسطة كما سمعه موسى^(١).

٢- في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾^(٢).

هذا النداء سيق في معرض الحديث عن بداية نزول الرسالة علي موسى عليه السلام.

(بني فعل النداء للمجهول زيادة في التشويق إلى استطلاع القصة، فإبهام المنادي يشوّق سامع الآية إلى معرفته فإذا فاجأه (إني أنا ربك) علم أنّ المنادي هو الله تعالى فتمكن في النفس كمال التمكن. ولأنه أدخل في تصوير تلك الحالة بأن موسى ناداه مناد غير معلوم له، فحكي نداؤه بالفعل المبني للمجهول)^(٣).

(وتكرير الضمير في "إني أنا ربك" لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإمطة الشبهة)^(٤).

٣- في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَلِك بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ ﴾^(٥).

هذا النداء من الحوار الذي وقع بين الله تعالى ونبيه موسى عليه الصلاة والسلام، وقد يسأل سائل لم سأله الله تعالى عما يمينه وهو أعلم؟

والجواب: (إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية فمعنى السؤال تقرير أنها عصى فيتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعد أن قلبها وقيل إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام)^(٦).

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي (٩/٣٠٤-٣٠٥) بتصرف.

(٢) سورة طه، الآية (١١ - ١٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٦/١٩٥).

(٤) الكشاف للزمخشري (٣/٥٤).

(٥) سورة طه، الآية (١٧).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي (٢/٦-٧).

٤- في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَىٰ ﴾^(١).

(قال المفسرون ألقاها ظنا منه أنه قد أمر برفضها فسمع حسا فالتفت فاذا هي كأعظم ثعبان تمر بالصخرة العظيمة فتبتلعها فهرب منها.

وفي وجه الفائدة في إظهار هذه الآية ليلة المخاطبة قولان:

أحدهما: لتلا يخاف منها إذا ألقاها بين يدي فرعون.

والثاني: ليريه أن الذي أبعثك إليه دون ما أريتك فكما ذلت لك الأعظم وهو الحية أذل

لك الأذنى)^(٢).

ونلاحظ أن الله تعالى صرح باسم موسى عليه السلام في المرتين ولم يعد الضمير في الثاني على الأول مع اتصال الكلام عناية بأمره وزيادة في طمأنينته لأن المقام شديد والأمر عظيم.

٥- في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴾^(٣).

هذا النداء جاء عقب طلب من موسى عليه السلام بدأ بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾^(٤)

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي

﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نَسِيْحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا

بَصِيرًا ﴿٤٥﴾^(٤).

(أي قد أعطيت سؤالك ففعل بمعنى مفعول كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكل والإيتاء.

(١) سورة طه، الآية (١٩).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (١٥٦/٣).

(٣) سورة طه، الآية (٣٦).

(٤) سورة طه، الآية (٢٥-٣٥).

عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام كان البتة وتقديره تعالى إياها حتما فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مرتبا بعد كتييسير الأمور وشد الأزر وباعتباره قيل: (سنشد عضدك بأخيك) وظاهر بعض الآثار يقتضى أن شركة هارون عليه السلام في النبوة أي استنبائه كموسى عليه السلام وقعت في ذلك المقام وإن لم يكن عليه السلام فيه مع أخيه فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في قوله: (وأشركه في أمري) نبئ هارون ساعتئذ حين نبئ موسى عليهما السلام وندائه عليه السلام لتشريف له بالخطاب إثر تشريف^(١).

٦- في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾^(٢).

هذه النداء جاء في ثنايا قصة ملخصها: أن موسى عليه السلام بعد أن أهلك الله - تعالى - فرعون وجنوده، سار ببني إسرائيل متجها ناحية جبل الطور، ثم تركهم مستخلفا عليهم أخاه هارون، وذهب لمناجاة ربه ومعه سبعون من وجهائهم، ثم عجل من بينهم شوقا للقاء ربه، فأخبره - سبحانه - بما أحدثه قومه في غيبته عنهم.

(قوله عز وجل " وما أعجلك عن قومك يا موسى " وذلك أن موسى لما انتهى إلى الجبل وخلف السبعين رجلا الذين اختارهم عجل موسى عليه السلام شوقا إلى كلام ربه وأمرهم بأن يتبعوه إلى الجبل فقال الله تعالى لموسى عليه السلام " وما أعجلك عن قومك يا موسى " يعني ما أسبقك عن قومك وتركت أصحابك خلفك " قال هم أولاء على أثري " ويحتمل أن يكون " أولاء " صلة يعني هم على أثري أي يجيئون من بعدي " وعجلت إليك رب لترضى " يعني لكي يزداد رضاك عني)^(٣).

(١) روح المعاني (٨/٥٠٠).

(٢) سورة طه، الآية (٨٣).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٢/٤٠٨).

والذي نلاحظه أن نداءات الله تعالى موسى عليه السلام عشرة نداءات خمسة منها في سورة طه، لعل السر في ذلك أن تلك السورة التي جاء صدرها خطابا مباشرا للرسول ﷺ في قوله: ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝ (١) ﴾، كثر فيها النداء لموسى لبيان ما لاقاه من قومه وقد تكاثرت الأمور عليه من بني إسرائيل ولقي منهم عنقا وشدة فلك أسوة في هذا النبي يا محمد وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُذُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرَنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ۝ (٢) ﴾.

٧- في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۝ (٣) ﴾.

(قوله تعالى: ﴿ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ فالعنى أنه تعالى سجل عليهم بالظلم، وقد استحقوا هذا الاسم من وجهين من وجه ظلمهم أنفسهم بكفرهم، ومن وجه ظلمهم لبني إسرائيل. أما قوله: ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ فقد عطف (قوم فرعون) على (القوم الظالمين) عطف بيان، كأن القوم الظالمين وقوم فرعون لفظان يدلان على معنى واحد^(٤).

٨- في قوله تعالى: ﴿ يَمْوَسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ (٥) ﴾.

هذا النداء ورد في ثنايا الحديث عن بدء الوحي لموسى عليه السلام.

وهذا النداء (تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة، يريد: أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية، الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتديير)^(٦).

(١) سورة طه، الآية (٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٣٤).

(٣) سورة الشعراء، الآية (١٠-١١).

(٤) تفسير الرازي (٤٩٣/٢٤).

(٥) سورة النمل، الآية (٩).

(٦) تفسير الزمخشري (٣٥٠/٣).

ولعل هذا هو السر في تذييل الآية بهذين الاسمين العظيمين.

٩- في قوله تعالى: ﴿يَمُوسَىٰ لَا تَحْفَظْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسَلُونَ﴾^(١).

هذا النداء جاء عقب خوف موسى من العصي حين رآها تتهتز لما أمره الله بإلقائها في قوله:

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

(وفيه تبشير له باصطفائه بالرسالة والنبوة. وتشجيع له بنزع الخوف. إذ لا يتمكن من أداء

الرسالة، ما لم يزل خوفه من المرسل إليه)^(٢).

١٠- في قوله تعالى: ﴿أَنْ يَمُوسَىٰ إِنْ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

هذا النداء من الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام وذلك حينما وصل إلى الشاطيء الأيمن عند

الشجرة المباركة (وجاء في طه: ﴿نُورِي يَمُوسَىٰ ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾، وفي النمل: ﴿نُورِي أَنْ بُورِكَ

مَنْ فِي النَّارِ﴾، وهنا: ﴿نُورِي مِنْ شَطِئِي﴾، ولا منافاة، إذ حكى في كل سورة بعض ما

اشتمل عليه ذلك النداء. والجمهور: على أنه تعالى كلمه في هذا المقام من غير واسطة. وقال

الحسن: ناداه نداء الوحي، لا نداء الكلام)^(٤).

(١) سورة النمل، الآية (١٠).

(٢) محاسن التأويل (٤٨٧/٧).

(٣) سورة القصص، الآية (٣٠).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٣٠٢/٨).

وعلى أنه نودي نداء الوحي ذكر العلامة السعدي^(١) أن موسى (أخبر بألوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك، أن يأمره بعبادته، وتألهه، كما صرح به في الآية الأخرى ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٢)).

السابع: نداء الله تعالى عيسى عليه السلام:

وقد جاء هذا النداء في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم.

١- في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٣).

(هذا حكاية لأمر رفع المسيح وإخفائه عن أنظار أعدائه، وقدّم الله في خطابه إعلامه بذلك استئناساً له، إذ لم يتم ما يرغبه من هداية قومه. مع العلم بأنه يحب لقاء الله، وتبشيراً له بأنّ الله مظهر دينه؛ لأنّ غاية هم الرسول هو الهدى، وإبلاغ الشريعة، فلذلك قال له: (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا والنداء فيه للاستئناس)^(٤).

قال ابن كثير: (اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، من علماء نجد، كان فقيهاً مفسراً، له عدة مؤلفات منها: تيسير

الكريم الرحمن، القواعد الحسان في تفسير القرآن، ت ١٣٧٦ هـ. انظر: مشاهير علماء نجد لعبد الرحمن بن عبد

اللطيف آل الشيخ ص ٢٥٦، الأعلام (٣/٣٤٠).

(٢) سورة طه، الآية (١٤).

(٣) تفسير السعدي (ص ٦١٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية، الآية (٥٥).

(٥) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٣/٢٥٧-٢٥٨).

فقال قتادة^(١) وغيره: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره إني رافعك إلي ومتوفيك، يعني بعد ذلك. وقال علي بن أبي طلحة^(٢) عن ابن عباس: إني متوفيك، أي مميتك. وقال مطر الوراق^(٣): إني متوفيك من الدنيا، وليس بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير^(٤): توفيه هو رفعه.

وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا- النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾^(٥). وقال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾^(٦)، وكان رسول الله ﷺ، يقول إذا قام من النوم:

(١) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز الحافظ العلامة أبو الخطاب السدوسي البصري الضير الأكمه المفسر، قال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس، وكان رأسا في العربية، والغريب، وأيام العرب، وأنسابها. ت بعد ١١٠ هـ. تذكرة الحفاظ (٩٢/١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢٧٧/٥).

(٢) علي بن أبي طلحة الهاشمي، كان من كبار التابعين علما بالقرآن ومعانيه وأحكامه، قال أحمد بن حنبل كان في مصر صحيفة واحدة من التفسير قد رواها علي بن أبي طلحة من رحل من طالبي التفسير لتحصيلها لا يعد كثيرا وقد اعتمد البخاري ما نقله عن ابن عباس على هذه النسخة الشريفة، وأخذ التفسير عن مجاهد وعن سعيد بن جبير طبقات المفسرين للداودي (ص ٢٤).

(٣) مطر الوراق أبو رجاء بن طهمان الخراساني الإمام، الزاهد، الصادق،، نزيل البصرة، مولى علباء بن أحمر اليشكري، كان من العلماء العاملين، وكان يكتب المصاحف، ويتقن ذلك ت ١٢٩ هـ. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤٥٢/٥).

(٤) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل أمل طبرستان. وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف قل أن ترى العيون مثله. له تاريخ الأمم وكتاب اختلاف العلماء وكتاب القراءات وكتاب أحكام شرائع الإسلام، ت ٣١٠ هـ. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢٦٧/١٤) طبقات المفسرين للداودي (ص ٤٨).

(٥) سورة الأنعام، الآية (٦٠).

(٦) سورة الزمر، الآية (٤٢).

(الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا) الحديث^(١)، وقال تعالى: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بِهَتْنًا عَظِيمًا ۝١٥٦ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧﴾ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ۝١٥٨﴾ وإن من أهل الكذب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ۝١٥٩﴾^(٢) والضمير في قوله قبل موته عائد على عيسى عليه السلام، أي وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة على ما سيأتي بيانه، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم، لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام^(٣).

٢- في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ۝١٤٦﴾^(٤).

هذا النداء إنما كان ليظهر الله للعالمين فضله وبره على عبده ورسوله عيسى عليه السلام وقد شمل هذا البر والفضل أمه كذلك وفي هذا يقول القرطبي^(٥): (قوله تعالى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ إنما ذكر الله تعالى عيسى نعمته عليه وعلى والدته وإن كان لهما ذاكرا لأمرين: أحدهما: ليتلو على الأمم ما خصهما به من الكرامة، وميزهما به من علو المنزلة. الثاني: ليؤكد به حجته، ويرد به جاحده^(٦)).

(١) صحيح البخاري - كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا نام حديث (٦٣١٢) بلفظ وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

(٢) سورة النساء، الآية (١٥٦ - ١٥٩).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٢/٣٩-٤٠).

(٤) سورة المائدة، الآية (١١٠).

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي، فقيه مفسر، مصنف التفسير المشهور، الذي سارت به الركبان، توفي سنة: ٦٧١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/١٠١-١٠٢، طبقات المفسرين للسيوطي

(ص ٩٢) و طبقات المفسرين للداودي (ص ٢٤٦).

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣٦٢).

٣- في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾^(١).

هذا النداء لعيسى عليه السلام لغرض عقدي وهو كشف مساويء النصارى الذين ادعوا ألوهية عيسى وأمه، وتزيد حسرتهم عندما يعلن عيسى عليه السلام نفسه أنه بريء من هذا ولهذا قال ابن الجوزي^(٢) في تفسيره: (لفظ الآية لفظ الاستفهام ومعناها التوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى)^(٣).

ويقرر العلامة السعدي هذا المعنى فيقول: (وهذا توبيخ للنصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فيقول الله هذا الكلام لعيسى. فيتبرأ عيسى ويقول: (سُبْحَانَكَ) عن هذا الكلام القبيح، وعمّا لا يليق بك)^(٤).

الثامن: نداء الله تعالى محمدا ﷺ:

ورد هذا النداء في خمسة عشر موضعا من القرآن الكريم:

١- في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَأَمْتَنَا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٥).

(١) سورة المائدة، الآية (١١٦).

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله البكري، الشيخ الإمام أبو الفرج ابن الجوزي. البغدادي الحنبلي من ولد الإمام أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، العلامة، الحافظ، المفسر، شيخ الإسلام، مفخر العراق، الواعظ صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، والزهد، والتاريخ، وغير ذلك ت ٥٩٧ هـ. طبقات المفسرين للسيوطي (ص ٦١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣٦٥/٢١).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٦٠٥/١).

(٤) تفسير السعدي (ص ٢٤٩).

(٥) سورة المائدة، الآية (٤١).

(اعلم أنه تعالى لما بيّن بعض التكاليف والشرائع، وكان قد علم من بعض الناس كونهم متسارعين إلى الكفر لا جرم صبر رسوله على تحمل ذلك، وأمره بأن لا يحزن لأجل ذلك، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ﴾.)

و اعلم أنه تعالى خاطب محمداً ﷺ بقوله: يا أيها النبي في مواضع كثيرة، وما خاطبه بقوله: يا أيها الرسول إلا في موضعين: أحدهما: ههنا، والثاني: قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١)، وهذا الخطاب لا شك أنه خطاب تشریف وتعظيم.

ومعني (لا يَحْزُنُكَ): لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر وذلك بسبب احتيالهم في استخراج وجوه الكيد والمكر في حق المسلمين وفي مبالغتهم في موالاتة المشركين فيني ناصرهم وكافيك شرهم. يقال: أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعاً، فكذلك مسارعتهم في الكفر عبارة عن إقائهم أنفسهم فيه على أسرع الوجوه متى وجدوا فيه فرصة، وقوله ﴿الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ فيه تقديم وتأخير، والتقدير: من الذين قالوا بأفواههم آمنة ولم تؤمن قلوبهم ولا شك أن هؤلاء هم المنافقون^(٢).

٢- في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣).

(أمر تعالى في هذه الآية نبيه ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه، وشهد له بالامتثال في آيات متعددة، كقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾^(٥)، وقوله:

(١) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٢) التفسير الكبير للرازي (١١/٣٥٨).

(٣) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٤) سورة المائدة، الآية (٣).

(٥) سورة النور، الآية (٥٤).

﴿ فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمُ اللَّامَ نَارًا يُنَافِئُ فِيهَا رُءُوسُهُمْ يَالِئِنَّ الْأَشْقَاءَ ﴿١﴾ وَلَوْ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَكْتُمَ شَيْئًا، لَكُتُمُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾^(١)، فمن زعم أنه ﷺ، كتم حرفاً مما أنزل عليه، فقد أعظم الافتراء، على الله، وعلى رسوله ﷺ^(٢).

٣- في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣).

هذا النداء يظهر كفاية الله تعالى عبده محمداً هو ومن اتبعه من المؤمنين والمعني: (أنه كافيك الله، وكافي (مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لدلالة الاستقراء في القرآن على أن الحسب والكفاية لله وحده، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾^(٤) فجعل الإيتاء لله ورسوله، كما قال: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾^(٥)، وجعل الحسب له وحده، فلم يقل: وقالوا حسبنا الله الله ورسوله، بل جعل الحسب مختصاً به وقال: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾^(٦) فنخص الكفاية الكفاية التي هي الحسب به وحده، وتمدح تعالى بذلك في قوله: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ

(١) سورة الذاريات، الآية (٥٤).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٣٧).

(٣) أضواء البيان (١/٤١٧).

(٤) سورة الأنفال، الآية (٦٤).

(٥) سورة التوبة، الآية (٥٩).

(٦) سورة الحشر، الآية (٧).

(٧) سورة الزمر، الآية (٣٦).

(٨) سورة الطلاق، الآية (٣).

وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده) (٢).

(ليس هذا تكريرا، فإنه قال فيما سبق: ﴿وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ وهذه كفاية خاصة. وفي قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ أراد التعميم، أي حسبك الله في كل حال وقال ابن عباس: نزلت في إسلام عمر فإن النبي ﷺ كان أسلم معه ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة، فأسلم عمر وصاروا أربعين. والآية مكية، كتبت بأمر رسول الله ﷺ في سورة مدنية) (٣).

٤- في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (٤).

في هذا النداء (يحرص تعالى نبيه، ﷺ، والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم، أي: كافيتهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين) (٥).

٥- في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦).

(عند أبي نعيم في "الأوائل" بإسناد حسن من حديث ابن عباس "كان فداء كل واحد أربعين أوقية، فجعل على العباس مائة أوقية، وعلى عقيل ثمانين، فقال له العباس: أ للقرابة صنعت

(١) سورة الأنفال، الآية (٦٢).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (١٠٤/٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٢/٨).

(٤) سورة الأنفال، الآية (٦٥).

(٥) تفسير ابن كثير ط العلمية (٧٦/٤).

(٦) سورة الأنفال، الآية (٧٠).

هذا؟ قال: فأنزل الله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَمَّا فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَلْعَلُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ (١).

(قيل: الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه. وقيل: له وحده) (٢).

٦- في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ (٣).

هذا النداء واضح في أن المقصود منه جهاد الكفار والمنافقين (وفي الآية سؤال، وهو أن الآية تدل على وجوب مجاهدة المنافقين والمنافق هو الذي يستر كفره وينكره بلسانه ومتى كان الأمر كذلك لم يجز محاربتة ومجاهدته.

واعلم أن الناس ذكروا أقوالاً بسبب هذا الإشكال.

فالقول الأول: أنه الجهاد مع الكفار وتغليظ القول مع المنافقين. وهذا بعيد لأن ظاهر قوله: ﴿جِهَادَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ يقتضي الأمر بجهدهما معاً، وكذا ظاهر قوله: ﴿وَأَغْلُظَ عَلَيْهِمْ﴾ راجع إلى الفريقين.

(١) الروايات التفسيرية في فتح الباري للشيخ عبدالمجيد الشيخ عبدالباري (٥٠٣/١) رسالة دكتوراه الناشر وقف السلام الخيري ط: الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م الروايات التفسيرية في فتح الباري (٥٠٣/١) وفتح الباري (٣٢٢/٧). وأخرجه أبو نعيم في الدلائل رقم ٤١٠ من طريق محمد بن حميد، ثنا جرير، عن شعيب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، به. وقد حسن إسناده ابن حجر كما هو أعلاه. والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/١١٢)، ونسبه إلى أبي نعيم في الدلائل فقط.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥٢/٨).

(٣) سورة التوبة، الآية (٧٣).

القول الثاني: أنه تعالى لما بين للرسول ﷺ بأن يحكم بالظاهر، قال عليه السلام: "نحن نحكم بالظاهر" والقوم كانوا يظهرون الإسلام وينكرون الكفر، فكانت المحاربة معهم غير جائزة".

والقول الثالث: وهو الصحيح أن الجهاد عبارة عن بذل الجهد، وليس في اللفظ ما يدل على أن ذلك الجهاد بالسيف أو باللسان أو بطريق آخر فنقول: إن الآية تدل على وجوب الجهاد مع الفريقين، فأما كيفية تلك المجاهدة فلفظ الآية لا يدل عليها، بل إنما يعرف من دليل آخر. وإذا ثبت هذا فنقول: دلت الدلائل المنفصلة على أن المجاهدة مع الكفار يجب أن تكون بالسيف، ومع المنافقين بإظهار الحجة تارة، وبترك الرفق ثانياً، وبالانتهاز ثالثاً^(١).

وقد جاء الأمر بجهاد الكفار والإغلاظ عليهم بنفس الصيغة في سورة التحريم.

٧- في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

(يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، هؤلاء بالسلاح والقتال، وهؤلاء بإقامة الحدود عليهم، ﴿وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الدنيا، ﴿وَمَا أُوْدَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي: في الآخرة)^(٣).

٨- في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٤).

هذا النداء للنبي صلي الله عليه وسلم أن يتقي الله ربه وأن لا يطيع للكافرين والمنافقين أمراً

(١) التفسير الكبير للرازي (١٠٣/١٦) بتصرف.

(٢) التحريم، الآية (٩).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (١٩٢/٨).

(٤) سورة الأحزاب، الآية (١).

(و قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ فيه أقوال:

أحدها: دم على التقوى، كالرجل يقول لغيره وهو قائم قم ها هنا أي: اثبت قائما.

والقول الثاني: أن الخطاب مع الرسول، والمراد أمته.

وقيل أيضا في الآية: أي: استكثر من أسباب التقوى، والتقوى: هي العمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله، وترك معصية الله خوف عذاب الله على نور من الله.

وفي الآية قول رابع: وهو ما روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا المدينة في مدة الهدنة، وطلبوا من رسول الله أشياء كريهة؛ فهم رسول الله والمسلمون أن يقتلوهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ يعني: لا تنقض العهد الذي بينك وبينهم.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكة، والمنافقين من أهل المدينة^(١).

٩- في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسْرِحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(٢).

(سببها أن أزواج رسول الله ﷺ تغايرن حتى غمه ذلك وقيل طلبن منه الملابس ونفقات كثيرة وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة خمس من قريش وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربع من غير قريش وهن: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي من بني إسرائيل، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق.

(١) تفسير القرآن لأبي مظفر السمعاني (٤/٢٥٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٢٨).

﴿فَنَعَا لَيْتَ كُنَّا لَمَتَّعَنَّكَ وَأَسْرَحْنَا سَرَكَ جَمِيلًا﴾ أصل تعال: أن يقوله من كان في موضع مرتفع لمن في موضع منخفض ثم استعملت بمعنى أقبل في جميع الأمكنة، وأمتعكن من المتعة وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت.

والسراح الطلاق فمعنى الآية أن الله أمر رسوله ﷺ أن يخير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أرادوا زينة الدنيا وبين البقاء في عصمته إن أرادوا الآخرة فبدأ ﷺ بعائشة فاخترت البقاء في عصمته ثم تبعها سائرهن في ذلك فلم يقع طلاق وقالت عائشة خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ولم يعد ذلك طلاقاً وإذا اختارت المخيرة الطلاق فمذهب مالك أنه ثلاث وقيل طلقة بائة وقيل طلقة رجعية ووصف السراح بالجميل يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث أو يريد أنه ثلاث وجماله حسن الرعي والثناء وحفظ العهد^(١).

١٠ - في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٢).

هذا النداء فيه إظهار لكرامة النبي صلي الله عليه وسلم وبيان للمهمة التي جاء من أجلها (قوله: وَمُبَشِّرًا من التبشير، وهو الإخبار بالأمر السار لمن لا علم له بهذا الأمر.

وقوله: وَنَذِيرًا من الإنذار، وهو الإخبار بالأمر المخيف لكي يجتنب ويحذر.

والمعنى: يا أيها النبي الكريم إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ إِلَى النَّاسِ شَهِدًا أَى: شاهدا لمن آمن منهم بالإيمان، ولمن كفر منهم بالكفر، بعد أن بلغتهم رسالة ربك تبليغا تاما كاملا.

وَ مُبَشِّرًا أَى: ومبشرا المؤمنين منهم برضا الله - تعالى - .

وَ نَذِيرًا أَى: ومنذرا للكافرين بسوء العاقبة، بسبب إعراضهم عن الحق الذي جئتهم به من عند الخالق - عز وجل - .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/١٥٠).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٤٥).

وقدم - سبحانه - التبشير على الإنذار، تكريماً للمؤمنين المبشرين، وإشعاراً بأن الأصل في رسالته ﷺ التبشير، فقد أرسله الله - تعالى - رحمة للعالمين^(١).

١١- في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي ءَأْتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عِمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^(٢)﴾.

(قوله تعالى: ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ﴾ فقيل: المراد بها أن الله تعالى أحل له أن يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها، فعلى هذا تكون الآية مبيحة لجميع النساء حاشا ذوات المحارم.

ويدل على صحته ما أخرجه الترمذي عن عطاء قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله تعالى له النساء قال: هذا حديث حسن صحيح^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أحل الله تعالى السراري لنبيه ﷺ ولأمتة مطلقاً وأحل الأزواج لنبيه عليه الصلاة والسلام مطلقاً وأحله للخلق بعدد.

وقوله: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ أي رده عليك من الكفار، والغنيمة قد تسمى فيئا أي مما أفاء الله عليك من النساء بالمأخوذ على وجه القهر والغلبة.

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي (١١/٢٢٢).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٥٠).

(٣) أخرجه الترمذي - أبواب تفسير القرآن - باب ومن الأحزاب (٣٢١٦) قال عنه الألباني صحيح الإسناد انظر:

سنن الترمذي (ص ٧٢٦) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الأولى اعتنى به أبو عبيدة مشهور حسن سلمان.

و قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ﴾ أي أحللنا لك ذلك زائداً من الأزواج اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك على قول الجمهور لأنه لو أراد أحللنا لك كل امرأة تزوجت وآتيت أجرها لما قال بعد ذلك: وبنات عمك وبنات عماتك لأن ذلك داخل فيما تقدم قلت: وهذا لا يلزم وإنما خص هؤلاء بالذكر تشریفاً كما قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾^(١) والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ .

فيه قولان: الأول لا يحل لك من قرابتك كبنات عمك العباس وغيره من أولاد عبد المطلب وبنات أولاد بنات عبد المطلب وبنات الخال من ولد بنات عبد مناف بن زهرة إلا من أسلم لقوله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه)^(٢).

الثاني: لا يحل لك منهن إلا من هاجر إلى المدينة)^(٣).

وبعض العلماء يرى أن قوله ﴿وَبَنَاتِ عِمَّكَ﴾ الخ يفيد إباحة التزوج بمن لم تهاجر^(٤).

(واختلف أهل العلم في التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ من المؤمنات، وهل كانت عند رسول الله ﷺ امرأة كذلك؟ فقال بعضهم: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين، فأما بالهبة فلم يكن عنده منهن أحد.

(١) سورة الرحمن، الآية (٦٨).

(٢) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده - حديث رقم (١٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/٢٠٥-٢٠٧) بتصرف.

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٧٤) بتصرف.

واستدلوا علي ذلك بما جاء عن ابن عباس أنه قال لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها. (١)

وأما الذين قالوا: قد كان عنده منهن فإن بعضهم قال: كانت ميمونة بنت الحارث.

وقال بعضهم: هي أم شريك. وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة (٢).

والصحيح أنه لم يقبل من وهبت نفسها له ولم يدخل بواحدة منهن (٣).

١٢- في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفَنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤).

هذا النداء للنبي ﷺ يحمل أمرا لأزواجه ونسائه وبنات المؤمنين أن يستترن بثياهن ويتحققن بالعفة والطهارة.

قال الآلوسی (٥): (روى عن غير واحد أنه كانت الحرة والأمة، تخرجان ليلا لقضاء الحاجة في الغيطان وبين النخيل، من غير تمييز بين الحرائر والإماء، وكان في المدينة فساق يتعرضون للإماء، وربما تعرضوا للحرائر، فإذا قيل لهم قالوا: حسبناهن إماء، فأمرت الحرائر أن يخالفن الإماء في الزبي والتستر ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن..) (٦).

(١) السنن الكبرى للبيهقي كتاب: النكاح باب: ما أبيح له من الموهوبة (١٨٨/٧).

(٢) تفسير الطبري (١٣٤/١٩-١٣٥) بتصرف.

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٤٧٥/٣) بتصرف.

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٥٩).

(٥) أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي، محدث فقيه، تتلمذ على يد أبيه وعمه، شغل عدة مناصب كالإفتاء وغيره، له مؤلفات عديدة منها: روح المعاني في التفسير، وبلوغ الأرب في أحوال العرب توفي سنة: ١٢٧٠ هـ. انظر:

الأعلام ١٧٦/٧، معجم المؤلفين (١٢/ ١٧٥).

(٦) روح المعاني (١١/ ٢٦٣-٢٦٤).

قوله: يُدْنِينَ من الإدناء بمعنى التقريب، ولتضمنه معنى السدل والإرخاء عدّى بعلی. وهو جواب للأمر، كما في قوله - تعالى - : قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ....

والجلابيب: جمع جلباب، وهو ثوب يستر جميع البدن، تلبسه المرأة، فوق ثيابها.

والمعنى: يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي في عصمتك، وقل لبناتك اللاتي هن من نسلك، وقل لنساء المؤمنين كافة، قل لهن: إذا ما خرجن لقضاء حاجتهن، فعليهن أن يسدلن الجلابيب عليهن، حتى يسترن أجسامهن سترا تاما، من رءوسهن إلى أقدامهن، زيادة في التستر والاحتشام، وبعدا عن مكان التهمة والريبة.

قالت أم سلمة - رضی اللہ عنہا - : لما نزلت هذه الآية، خرج نساء الأنصار كأن علي رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسناها.

و قوله: ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ بيان للحكمة من الأمر بالتستر والاحتشام.

أى: ذلك التستر والاحتشام والإدناء عليهن من جلابيبهن يجعلهن أدنى وأقرب إلى أن يعرفن ويميزن عن غيرهن من الإماء، فلا يؤذين من جهة من في قلوبهم مرض.

قال بعض العلماء: وقد يقال إن تأويل الآية على هذا الوجه، وقصرها على الحرائر، قد يفهم منه أن الشارع قد أهمل أمر الإماء، ولم يبال بما ينالهن من الإيذاء ممن ضعف إيمانهم، مع أن في ذلك من الفتنة ما فيه، فهلا كان التصون والتستر عاما في جميع النساء؟

و الجواب، أن الإماء بطبيعة عملهن يكثر خروجهن وترددهن في الأسواق، فإذا كلفن أن يتقنعن ويلبسن الجلباب السابغ كلما خرجن، كان في ذلك حرج ومشقة عليهن، وليس كذلك الحرائر فإنهن مأمورات بعدم الخروج من البيوت إلا لضرورة ومع ذلك فإن القرآن الكريم قد نهى عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات جميعا، سواء الحرائر والإماء، وتوعد المؤذنين بالعذاب المهين..

والشارع - أيضا - لم يحظر على الإمامة التستر والتقنع، ولكنه لم يكلفهن بذلك دفعا للحرص والعسر، فلأمة أن تلبس الجلباب السابع متى تيسر لها ذلك..^(١)

هذا، ويرى الإمام أبو حيان أن الأرجح أن المراد بنساء المؤمنين، ما يشمل الحرائر والإماء وأن الأمر بالتستر يشمل الجميع، وأن الحكمة من وراء هذا الأمر بإسدال الجلابيب عليهن، درء التعرض لهن بسوء من ضعاف الإيمان.

فقد قال - رحمه الله - : (والظاهر أن قوله: وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يشمل الحرائر والإماء، والفتنة بالإماء أكثر لكثرة تصرفهن، بخلاف الحرائر، فيحتاج إخراجهن من عموم النساء إلى دليل واضح.. ذلك أدنى أن يُعْرَفَنَّ لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن، ولا يلقين بما يكرهن، لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها بخلاف المترجحة فإنها مطموع فيها)^(٢).

١٣- في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣).

هذا النداء للنبي ﷺ يوجهه إليه أن يبایع النساء اللاتي يأتين مؤمنات مهاجرات.

قال القرطبي: (لما فتح رسول الله ﷺ مكة جاء نساء أهل مكة يبایعنه، فأمر أن يأخذ عليهن ألا يشركن. وفي صحيح مسلم عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ إلى آخر الآية.

(١) التفسير الوسيط للطنطاوي (١١/ ٢٤٥-٢٤٦) بتصرف.

(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/٥٠٤).

(٣) سورة الممتحنة، الآية (١٢).

قالت عائشة: فمن أقر بهذا من المؤمنات فقد أقر بالمحنة، وكان رسول الله ﷺ إذا أقرن بذلك من قولهن قال لهن رسول الله ﷺ: "انطلقن فقد بايعتكن" ولا والله ما مست يد رسول الله يد امرأة قط، غير أنه بايعهن بالكلام. قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلا بما أمره الله عز وجل، وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط؛ وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن "قد بايعتكن كلاماً"^(١).

١٤ - في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٢).

قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قال الزجاج^(٣): هذا خطاب للنبي ﷺ والمؤمنون داخلون معه فيه ومعناه إذا أردتم طلاق النساء كقوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة) وفي سبب نزول هذه الآية قولان.

أحدهما: أنها نزلت حين طلق رسول الله ﷺ حفصة وقيل له راجعها فإنها صوامة قوامة وهي من إحدى زوجاتك في الجنة قاله أنس بن مالك.

والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن عمر وذلك أنه طلق امرأته حائضا فأمره النبي ﷺ أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر قاله السدي.

(١) تفسير القرطبي (٧١/١٨)، وحديث عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة - باب كيفية بيعة النساء حديث رقم (٨٨).

(٢) سورة الطلاق، الآية (١).

(٣) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان يخرط الزجاج، ثم مال إلى النحو، فلزم المبرد. كان من أهل الفضل والدين وجميل المذهب والاعتقاد، ومن تصانيفه معاني القرآن في التفسير وخلق الإنسان وتفسير جامع المنطق ت ٣١١هـ، انظر: طبقات المفسرين للداودي و بغية الوعاة (٤١١/١).

قوله تعالى: (لعدتكن) أي لزمان عدتكن وهو الطهر وهذا للمدخول بها لأن غير المدخول بها لا عدة عليها.

والطلاق على ضربين: سني وبدعيئك

فالسني أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وذلك هو الطلاق للعدة لأنها تعتد بذلك الطهر من عدة وتقع في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة.

والطلاق البدعي أن يقع في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه فهو واقع وصاحبه آثم وإن جمع الطلاق الثلاث في طهر واحد فالمنصور من مذهبنا أنه بدعة.

قوله تعالى (وأحصوا العدة) أي زمان العدة وفي إحصائها فوائدها منها مراعاة زمان الرجعة وأوان النفقة والسكنى وتوزيع الطلاق على الإقرار إذا أراد أن يطلق ثلاثاً وليعلم أنها قد بانت فيتزوج بأختها وأربع سواها.

قوله تعالى: (واتقوا الله ربكم) أي فلا تعصوه فيما أمرمكم به ولا تخرجوهن من بيوتهن.

فيه دليل على وجوب السكنى ونسب البيوت إليهن لسكناهن قبل الطلاق فيهن ولا يجوز لها أن تخرج في عدتها إلا لضرورة ظاهرة فإن خرجت أثمت إلا أن يأتين بفاحشة. وفيها أربعة أقوال:

أحدها: المعنى إلا أن يخرجن قبل انقضاء المدة فخروجهن هو الفاحشة المبينة.

والثاني: أن الفاحشة الزنا رواه مجاهد^(١) عن ابن عباس وبه، فعلى هذا يكون المعنى إلا أن يزينن فيخرجن لإقامة الحد عليهن.

(١) مجاهد بن جبر، ويُقال: ابن جبير، والأول أصح، المكي، أبو الحجاج القرشي المخزومي، مولي السائب بن أبي السائب

المخزومي، إمام في القراءة والتفسير، روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٠٢ وقيل ١٠٣ تهذيب الكمال في

والثالث: الفاحشة أن تبتذو على أهلها فيحل لهم إخراجها.

والرابع: أنها إصابة حد فتخرج لإقامة الحد عليها.

قوله تعالى (وتلك حدود الله) يعني ما ذكر من الأحكام ومن يتعد حدود الله التي بينها وأمر بها فقد ظلم نفسه أي أثم فيما بينه وبين الله تعالى (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) أي يوقع في قلب الزوج الحجة لرجعتها بعد الطلقة و الطلقتين وهذا يدل على أن المستحب في الطلاق تفريقه وأن لا يجمع الثلاث^(١).

١٥- في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنَعِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)

(سبب نزولها حادثان حدثتا بين أزواج النبي ﷺ.

إحداهما: ما ثبت في (الصحيح) عن عائشة أن النبي ﷺ كان شرب عسلاً عند إحدى نسائه اختلف في أنها زينب بنت جحش، أو حفصة، أو أم سلمة، أو سودة بنت زمعة. والأصح أنها زينب. فعلمت بذلك عائشة فتواطأت هي وحفصة على أن أيتهما دخل عليها تقول له (إني أجد منك ريح مغاير أكلت مغاير)^(٣) (والمغاير صمغ شجر العرط وله رائحة مختمرة) وكان النبي ﷺ يكره أن توجد منه رائحة وإنما تواطأتا على ذلك غيرة منهما أن يحتبس عند زينب زماناً يشرب فيه عسلاً. فدخل على حفصة فقالت له ذلك، فقال: بل شربتُ عسلاً عند فلانة ولن أعود له، أراد بذلك استرضاء حفصة في هذا الشأن وأوصاها أن لا تخبر بذلك عائشة (لأنه يكره غضبها) فأخبرت حفصة عائشة فنزلت الآيات.

أسماء الرجال (٢٧/٢٢٨).

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/٢٩٥-٢٩٧) بتصريف.

(٢) سورة التحريم، الآية (١).

(٣) صحيح البخاري كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك - حديث (٥٢٦٧) وأخرجه مسلم: كتاب الطلاق -

باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق - حديث رقم (٢٠).

هذا أصح ما روي في سبب نزول هذه الآيات. والتحريم هو قوله: (ولن أعود له) (لأن النبي ﷺ لا يقول إلا صدقاً وكانت سودة تقول: لقد حرّمناه).

والثانية: ما رواه ابن القاسم في (المدونة) عن مالك عن زيد بن أسلم قال: حرّم رسول الله أم إبراهيم جاريتته فقال: (والله لا أطوك) ثم قال: (هي عليّ حرام) فأنزل الله تعالى: (يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك)^(١).

وتفصيل هذا الخبر ما رواه الدارقطني (عن ابن عباس عن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ بأم ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها، وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها. فقالت حفصة: تُدخلها بيتي ما صنعت بي هذا من بين نساءك إلا من هواني عليك. فقال لها: لا تذكرني هذا لعائشة فهي عليّ حرام إن قريتها. قيل: فقالت له حفصة: كيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف لها أن لا يقربها فذكرته حفصة لعائشة فألى أن لا يدخل على نساءه شهراً فأنزل الله تعالى: (يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك)^(٢)، وهو حديث ضعيف^(٣).

وقد ذكرت ما ذكره المفسرون من الرواية الثانية للتنبيه عليّ ضعفها.

والناظر إلي هذه النداءات الموجهة إلي النبي ﷺ يرى أنها جمعت توجيهات تنظم علاقة النبي ﷺ بربه وبالناس وفيها توجيهات عقديّة وتشريعية وخلقية.

التاسع: نداء الله تعالى نساء النبي محمد ﷺ:

ووقع هذا في موضعين من القرآن الكريم:

(١) سورة التحريم، الآية (١).

(٢) سنن الدارقطني (٧٦/٥) كتاب الطلاق والخلع والإيلاء وغيره حديث رقم (٤٠١٣).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٣٤٤/٢٨-٣٤٥).

الأول: في قوله تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١).

هذا النداء لأفضل نساء الأمة زوجات النبي ﷺ وهذا النداء تظهر فيه الشدة والتغليظ وما ذاك إلا لأنه (إذا كانت الدرجة أعلى كان الجزاء عند المخالفة أعظم)^(٢).

(والعقوبة تجب على قدر النعمة فلما كانت نعمتهن أكثر جعل عقوبتهن أشد)^(٣).

(قال العلماء: لما اختار نساء النبي ﷺ رسول الله ﷺ شكرهن الله على ذلك فقال تكمرة لهن: " ﴿لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾^(٤) الآية. وبين حكمهن عن غيرهن فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾^(٥). وجعل ثواب طاعتهم وعقاب معصيتهم أكثر مما لغيرهم.

فأخبر تعالى أن من جاء من نساء النبي ﷺ بفاحشة - والله عاصم رسوله عليه السلام من ذلك كما مر في حديث الإفك - يضاعف لها العذاب ضعفين، لشرف منزلتهن وفضل درجتهم، وتقدمهن على سائر النساء أجمع. وكذلك بينت الشريعة في غير ما موضع - أنه كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات، ولذلك ضوعف حد الحر على العبد والثيب على البكر.

وقيل: لما كان أزواج النبي ﷺ في مهبط الوحي وفي منزل أوامر الله ونواهيها، قوي الأمر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن الأجر والعذاب.

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٠).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي (١٧٩/٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤٦/٥) بتصرف.

(٤) سورة الأحزاب، الآية (٥٢).

(٥) سورة الأحزاب، الآية (٥٣).

وقيل، إنما ذلك لعظم الضرر في جرائمهن بإيذاء رسول الله ﷺ، فكانت العقوبة على قدر عظم الجريمة في إيذاء رسول الله ﷺ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١).

قال قوم: لو قدر الزنى من واحدة منهن - وقد أعادهن الله من ذلك - لكانت تحد حدين لعظم قدرها، كما يزداد حد الحرة على الأمة. والعذاب بمعنى الحد، قال الله تعالى ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢). وعلى هذا فمعنى الضعفين معنى المثلين أو المرتين.

ويدل على هذا "نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ" ولا يكون العذاب أكثر من الأجر.

وقال في موضع آخر ﴿ءَاتَتْهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(٣) أي مثلين.

وجاء عن قتادة "يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ" قال: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

الظاهر أنه أراد بالضعفين المثلين، لأنه قال: "نُؤْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ"، "فأما في الوصايا، لو أوصي لإنسان بضعفي نصيب ولده فهو وصية بأن يعطي مثل نصيبه ثلاث مرات، فإن الوصايا تجري على العرف فيما بين الناس، وكلام الله يرد تفسيره إلى كلام العرب، والضعف في كلام العرب المثل إلى ما زاد، وليس بمقصود على مثلين. يقال: هذا ضعف هذا، أي مثله. وهذا ضعفه، أي مثلاه، فالضعف في الأصل زيادة غير محصورة، قال الله تعالى: "فَأُولَئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعْفِ"^(٤) ولم يرد مثلاً ولا مثلين^(٥).

(١) سورة الأحزاب، الآية (٥٧).

(٢) سورة النور، الآية (٢).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٦٨).

(٤) سورة سبأ، الآية (٣٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤ / ١٧٤-١٧٥) بتصرف.

الثاني: في قوله تعالى: ﴿يُنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾^(١).

(يعني لستن كسائر النساء فقال لستن كأحد ولم يقل كواحد؛ لأن لفظ الأحد يصلح للواحد والجماعة وأما لفظ الواحد فلا يصلح إلا للواحد.

ثم قال عز وجل ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ يعني إن اتقيتن المعصية وأطعتن الله ورسوله ﴿فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ يعني لا تلن بالقول.

ويقال ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ فأنتن أحق الناس بالتقوى وتم الكلام، ثم قال ﴿فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ يعني لا ترفقن بالقول وهو اللين من الكلام.

ومعلوم أن الرجل إذا أتى باب إنسان والرجل غائب فلا يجوز للمرأة أن تلين بالقول معه ثم قال: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ يعني فجورا.

وقال عكرمة: هو شهوة الزنى^(٢).

ويقال: الميل إلى المعصية ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ يعني صحيحا جميلا.

ويقال: قولا حسنا يعني لينا.

ويقال لا يقلن باللين فتفتن ولا بالحشن فتؤذين ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ بين ذلك^(٣).

(١) سورة الأحزاب، الآية (٣٢).

(٢) وقد ذكر الطبري رواية عكرمة (٢٥٨/٢٠).

(٣) بحر العلوم (٥٩/٣).

العاشر: النداء إلي ذي القرنين:

جاء النداء إلي ذي القرنين في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قَلِيلًا يُنَادُوا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾^(١).

(الأقوال في تعيين ذي القرنين، فأحد الأقوال: إنه الإسكندر بن فيليبوس المقدوني. وذكروا في وجه تلقيبه بذي القرنين أنه ضفر شعره قرنين. وقيل: كان يلبس خوذة في الحرب بها قرنان، وقيل: رسم ذاته على بعض نقوده بقرنين في رأسه تمثيلاً لنفسه بالمعبود (آمون) معبود المصريين وذلك حين ملك مصر.

والقول الثاني: إنه ملك من ملوك حمير هو تُبَعُّع أبو كرب.

والقول الثالث: أنه ملك من ملوك الفرس وأنه (أفريدون بن أنفیان بن جمشيد). هذه أوضح الأقوال، وما دونها لا ينبغي التعويل عليه ولا تصحيح روايته.

ونحن تجاه هذا الاختلاف يحق علينا أن نستخلص من قصته في هذه الآية أحوالاً تقرّب تعيينه وتزييف ما عده من الأقوال، وليس يجب الاقتصار على تعيينه من بين أصحاب هذه الأقوال بل الأمر في ذلك أوسع.

وهذه القصة القرآنية تعطي صفات لا محيد عنها:

إحداها: أنه كان ملكاً صالحاً عادلاً.

الثانية: أنه كان ملهماً من الله.

الثالثة: أن ملكه شمل أقطاراً شاسعة.

الرابعة: أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكاناً كان مجهولاً وهو عين حمئة.

(١) سورة الكهف، الآية (٨٦).

الخامسة: أنه بلغ بلاد يأجوج ومأجوج، وأنها كانت في جهة مما شمله ملكه غير الجهتين الشرقية والغربية فكانت وسطاً بينهما كما يقتضيه استقرار مبلغ أسبابه.

السادسة: أنه أقام سدّاً يحول بين يأجوج ومأجوج وبين قوم آخرين.

السابعة: أن يأجوج ومأجوج هؤلاء كانوا عاثين في الأرض فساداً وأنهم كانوا يفسدون بلاد قوم موالين لهذا الملك.

الثامنة: أنه كان معه قوم أهل صناعة متقنة في الحديد والبناء.

التاسعة: أن خبره خفيّ دقيق لا يعلمه إلاّ الأخبار علماء إجمالاً كما دل عليه سبب النزول.

وأنت إذا تدبرت جميع هذه الأحوال نفيت أن يكون ذو القرنين إسكندر المقدوني لأنه لم يكن ملكاً صالحاً بل كان وثياً فلم يكن أهلاً لتلقي الوحي من الله وإن كانت له كمالات على الجملة، وأيضاً فلا يعرف في تاريخه أنه أقام سدّاً بين بلدين^(١).

والنداء في الآية التي معنا يراد به أن يتخذ ذو القرنين موقفاً من هؤلاء الناس إما أن يعذبهم وإما أن يصنع معهم حسناً.

ولأن الأمر وجه إليه، هذا دعا المفسرين أن يقولوا إما أن يكون نبياً وإما أن يكون وجه الخطاب لنبي وبلغه به وهذا ما قاله النسفي^(٢) في تفسيره: (إن كان نبياً فقد أوحى الله إليه بهذا وإلا فقد أوحى إلى نبي فأمره النبي به أو كان إلهاماً خير بين أن يعذبهم بالقتل إن أصروا على أمرهم وبين

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/١٩-٢٠).

(٢) هو أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، فقيه أصولي، مفسر، متكلم، صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول له المستصفي في شرح المنظومة وله الكافي في شرح الوابي والوابي تصنيفه أيضاً وله كنز الدقائق وله المنار في أصول الفقه وله العمدة في أصول الدين، توفي سنة: ٧١٠هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٧/٣)، وطبقات المفسرين للداودي (ص ٢٦٣).

أن يتخذ فيهم حسناً بإكرامهم وتعليم الشرائع إن آمنوا أو التعذيب القتل وإتخاذ الحسن الأسر لأنه بالنظر إلى القتل إحصان^(١).

الحادي عشر: النداء إلي الذين آمنوا:

ومنه قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(٢).

(نزلت في يهودي أراد تحديد الفتنة بين الأوس والخزرج بعد انقطاعها بالنبي ﷺ، فجلس بينهم وأنشدهم شعراً قاله أحد الحيين في حربهم. فقال الحي الآخر: قد قال شاعرنا في يوم كذا وكذا، فكأنهم دخلهم من ذلك شيء، فقالوا: تعالوا نرد الحرب جذعاء كما كانت. فنادى هؤلاء: يا آل أوس. ونادى هؤلاء. يا آل خزرج؛ فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال فنزلت هذه الآية؛ فجاء النبي ﷺ حتى وقف بين الصنفين فقرأها ورفع صوته، فلما سمعوا صوته أنصتوا له وجعلوا يستمعون، فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجعلوا يبكون؛ عن عكرمة وابن زيد وابن عباس. والذي فعل ذلك شاس بن قيس اليهودي، دس على الأوس والخزرج من يذكرهم ما كان بينهم من الحروب، وأن النبي ﷺ أتاهم وذكرهم، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم؛ فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع النبي ﷺ سامعين مطيعين؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني الأوس والخزرج. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني شاسا وأصحابه ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ قال جابر بن عبد الله: ما كان طالع أكره إلينا من رسول الله ﷺ،

(١) تفسير النسفي (٣١٧/٢-٣١٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٠٠).

فأوماً إلينا بيده فكففنا وأصلح الله تعالى ما بيننا؛ فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ، فما رأيت يوماً أقبح ولا أوحش أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم^(١).

الثاني عشر: النداء إلي أولي الألباب:

وقد جاء النداء لهم في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم.

الأول: في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

(الألباب العقول وإنما خصهم بهذا الخطاب و إن كان الخطاب عاماً لأنهم المنتفعون بالخطاب لكونهم يأتمرون بأمره وينتهون بنهيهِ)^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ أي بقاء، وذلك أن القاصد للقتل إذا علم أنه إذا قتل يقتل يمتنع عن القتل، فيكون فيه بقاءه وبقاء من هم بقتله، وقيل في المثل: "القتل قتل القتل" وقيل في المثل: "القتل أنفى للقتل" وقيل: معنى الحياة: سلامته من قصاص الآخرة، فإنه إذا اقتص منه حيي في الآخرة وإذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة^(٤).

الثاني: في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٥).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/١٥٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٧٩).

(٣) زاد المسير (١/١٣٨).

(٤) تفسير البغوي (١/١٩١-١٩٢) ط - طيبة.

(٥) سورة المائدة، الآية (١٠٠).

(ومعنى ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ نفي المساواة، وهي المماثلة والمقاربة والمشابهة. والمقصود منه إثبات المفاضلة بينهما بطريق الكناية، والمقام هو الذي يعين الفاضل من المفضول، فإن جعل أحدهما حبيثاً والآخر طيباً يعين أن المراد تفضيل الطيب.

ولما كان من المعلوم أن الخبيث لا يساوي الطيب وأنّ البون بينهما بعيد، علم السامع من هذا أنّ المقصود استئزال فهمه إلى تمييز الخبيث من الطيب في كلّ ما يلتبس فيه أحدهما بالآخر، وهذا فتح لبصائر الغافلين كيلا يقعوا في مهواة الالتباس ليعلموا أنّ ثمة حبيثاً قد التفّ في لباس الحسن فتموّه على الناظرين، ولذلك قال ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾. فكان الخبيث المقصود في الآية شيئاً تلبس بالكثرة فراق في أعين الناظرين لكثرتة، ففتح أعينهم للتأمل فيه ليعلموا حبيثه ولا تعجبهم كثرته.

قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ الله يريد منا إعمال النظر في تمييز الخبيث من الطيب، والبحث عن الحقائق، وعدم الاغترار بالمظاهر الخلابة الكاذبة، فإنّ الأمر بالتقوى يستلزم الأمر بالنظر في تمييز الأفعال حتى يُعرف ما هو تقوى دون غيره^(١).

الثالث: في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾^(٢).

(أي: يا ذوي العقول، التي تفهم عن الله آياته وعبره، وأن الذي أهلك القرون الماضية بتكذيبهم، أن من بعدهم مثلهم، لا فرق بين الطائفتين.

ثم ذكر عباده المؤمنين بما أنزل عليهم من كتابه، الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، ليخرج الخلق من ظلمات الكفر والجهل والمعصية، إلى نور العلم والإيمان والطاعة)^(٣).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٦٣/٧-٦٤).

(٢) سورة الطلاق، الآية (١٠).

(٣) تفسير السعدي (٨٧٢).

الثالث عشر: نداء الله تعالى عباده:

وقد ورد هذا النداء في خمسة مواضع من القرآن الكريم:

الأول: في قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

(هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرّون فيه على إقامة الدين، إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن إقامة الدين، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم؛ ولهذا قال: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾.)

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد، حدثني جُبَيْرُ بن عمرو القرشي، حدثني أبو سعد الأنصاري، عن أبي يحيى مولى الزبير بن العوام قال: قال رسول الله ﷺ: "البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، فحيثما أصبت خيراً فأقم"^(٢).

ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها، خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة، ليأمنوا، على دينهم هناك، فوجدوا هناك خير المنزلين، أصحاب النجاشي ملك الحبشة، رحمه الله، آواهم

(١) سورة العنكبوت، الآية (٥٦).

(٢) الحديث في مسند أحمد ط الرسالة (٣٧/٣) حديث رقم (١٤٢٠) قال محققو الكتاب: إسناده ضعيف، فيه ثلاثة مجاهيل: جبیر بن عمرو القرشي، وأبو سعد الأنصاري، وأبو يحيى مولى آل الزبير. وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٢٥٠) من طريق عمر بن حفص بن ثابت الأنصاري، عن عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير... قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث "الإحياء" ٢٢٤/٢، والسخاوي في "المقاصد" ص ١٤٧: سنده ضعيف، وقال الهيثمي في "المجمع" ٧٢/٤: رواه أحمد وفيه جماعة لم أعرفهم، وقال أيضا ٢٥٥/٥: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه.

ولشطره الأول شاهد عند أبي داود برقم (٣٠٧٦)، من حديث عروة رضي الله عنه، ورجاله ثقات، ما عدا أحمد بن عبدة الأملي، فهو صدوق، وبذلك يرتقي شطر الحديث إلى الحسن لغيره..

وأيدهم بنصره، وجعلهم شُيُوماً ببلادهم. ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه الباقون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة^(١).

الثاني: في قوله عز من قائل: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢).

(ابتداء الكلام بالأمر بالقول هنا للاهتمام بهذا المقول ولاسترعاء الأسماع إليه، وابتداء المقول بالنداء وبوصف العبودية المضاف إلى ضمير الله تعالى، كل ذلك يؤذن بالاهتمام بما سيقال وبأنه سيقال لهم عن ربهم، وهذا وضع لهم في مقام المخاطبة من الله وهي درجة عظيمة. وحذفت ياء المتكلم المضاف إليها (عباد) وهو استعمال كثير في المناذى المضاف إلى ياء المتكلم.

والمراد بالذين أحسنوا: الذين اتقوا الله وهم المؤمنون الموصوفون بما تقدم من قوله: (أمن هو قانت) الآية، لأن تلك الخصال تدل على الإحسان المفسر بقول النبي ﷺ (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فعدل عن التعبير بضمير الخطاب بأن يقال: لكم في الدنيا حسنة، إلى الإتيان باسم الموصول الظاهر وهو ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ ليشمل المخاطبين وغيرهم ممن ثبتت له هذه الصلة. وذلك في معنى: اتقوا ربكم لتكونوا محسنين فإن للذين أحسنوا حسنة عظيمة فكونوا منهم. وتقديم المسند في ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ للاهتمام بالمحسن إليهم وأنهم أحرى بالاحسان.

والمراد بالحسنة: الحالة الحسنة^(٣).

(١) تفسير ابن كثير ٦/٢٩٠ ط طيبة.

(٢) سورة الزمر، الآية (١٠).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/٣٥٢-٣٥٣).

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ يراد البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها والمقصود من ذلك، الحض على الهجرة ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا يحتمل وجهين: أحدهما: أن الصابر يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

الثاني: أن أجر الصابر بغير حصر بل أكثر من أن يحصر بعدد أو وزن وهذا قول الجمهور^(١).

الثالث: في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ. يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾^(٢).

أولاً: (لما شرح الله تعالى أحوال حرمانهم عن الربح وبين كيفية خسرتهم، بين أنهم لم يقتصروا على الحرمان والخسران، بل ضموا إليه استحقاق العذاب العظيم والعقاب الشديد، فقال: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.

الثاني: أن الذي يكون تحته يكون ظلة لإنسان آخر تحته لأن النار دركات كما أن الجنة درجات والثالث: أن الظلة التحتانية إذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الحرارة والإحراق والإيذاء، أطلق اسم أحدهما على الآخر لأجل المماثلة والمشابهة. قال الحسن هم بين طبقتين من النار لا يدرون ما فوقهم أكثر مما تحتهم.

وفي قوله: ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ قولان:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢١٨).

(٢) سورة الزمر، الآية (١٦).

الأول: التقدير ذلك العذاب المعد للكفار هو الذي يخوف الله به عباده أي المؤمنين، لأننا بينا أن لفظ العباد في القرآن مختص بأهل الإيمان وإنما كان تخويفاً للمؤمنين لأجل أنهم إذا سمعوا أن حال الكفار ما تقدم خافوا فأخلصوا في التوحيد والطاعة.

الوجه الثاني: أن هذا الكلام في تقدير جواب عن سؤال، كيف يعذب الرب الغفور هؤلاء المساكين إلى هذا الحد العظيم، وأجيب عنه بأن المقصود منه تخويف الكفار والضلال عن الكفر والضلال.

والوجه الأول عندي أقرب، والدليل عليه أنه قال بعده: ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ وقوله: ﴿يَعْبَادِ﴾ الأظهر منه أن المراد منه المؤمنون فكأنه قيل المقصود من شرح عذاب الكفار للمؤمنين تخويف المؤمنين فيا أيها المؤمنون بالغوا في الخوف والحذر والتقوى^(١).

الرابع: في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

(الخطاب هنا للذين أسرفوا وفي مقدمتهم المشركون وكلهم مظنة تطرق اليأس من رحمة الله إلى نفوسهم، فكان إثبات (يا) المتكلم في خطابهم زيادة تصريح بعلامة التكلم تقوية لنسبة عبوديتهم إلى الله تعالى إيماء إلى أن شأن الرب الرحمة بعباده.

والإسراف: الإكثار. والمراد به هنا الإسراف في الذنوب.

والأكثر أن يعدى إلى متعلقه بحرف (من)، وتعديته هنا بـ (على) لأن الإكثار هنا من أعمال تتحملها النفس وتثقل بها وذلك متعارف في التبعات والعدوان تقول: أكثرت على فلان،

(١) تفسير الرازي (٤٣٤/٢٦) بتصرف كبير.

(٢) سورة الزمر، الآية (٥٣).

فمعنى ﴿الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ﴾: أنهم جلبوا لأنفسهم ما تثقلهم تبعته ليشمل ما اقترفوه من شرك وسيئات.

والقنوط: اليأس.

وجملة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ تعليل للنهي عن اليأس من رحمة الله.

ومادة الـ(غفر) ترجع إلى الستر، وهو يقتضي وجود المستور واحتياجه للستر فدل ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾ على أن الذنوب ثابتة، أي المؤاخذة بها ثابتة والله يغفرها، أي يزيل المؤاخذة بها، وهذه المغفرة تقتضي أسباباً أجملت هنا وفصلت في دلائل أخرى من الكتاب والسنة منها قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾^(١)، وتلك الدلائل يجمعها أن للغفران أسباباً تطراً على المذنب ولولا ذلك لكانت المؤاخذة بالذنوب عبثاً ينزه عنه الحكيم تعالى، كيف وقد سماها ذنباً وتوعد عليها فكان قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾ دعوة إلى تطلب أسباب هذه المغفرة فإذا طلبها المذنب عرف تفصيلها. و ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ﴿الذُّنُوبَ﴾، أي حال جميعها، أي عمومها، فيغفر كل ذنب منها إن حصلت من المذنب أسباب ذلك^(٢).

الخامس: في قوله تعالى: ﴿يَنْعِبَادُوا لَّا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(٣).

هذا النداء وجه لعباد الله يعلمهم فيه بنفي الخوف والحزن عنهم في يوم يفزع الناس فيه وهو يوم القيامة، والخوف يكون على ما مضى، والحزن حذراً مما يأتي:

(١) سورة طه، الآية (٨٢).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤١/٢٤-٤٢).

(٣) سورة الزخرف، الآية (٦٨).

(أي: لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور، ولا حزن يصيبكم فيما مضى منها، وإذا انتفى المكروه من كل وجه، ثبت المحبوب المطلوب)^(١).

الرابع عشر: نداء الله تعالى عموم الناس:

ويمثل لهذا النوع بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

(قال ابن عباس رضي الله عنهما: يا أيها الناس خطاب أهل مكة، ويا أيها الذين آمنوا خطاب أهل المدينة وهو هاهنا عام إلا من حيث إنه لا يدخله الصغار والجانين)^(٣).

(وفي المراد بالعبادة هاهنا قولان أحدهما التوحيد والثاني الطاعة روي عن ابن عباس والخلق: الإيجاد وإنما ذكر من قبلهم لأنه أبلغ في التذكير وأقطع للجحد وأحوط في الحجة وقيل إنما ذكر من قبلهم لينبههم على الاعتبار بأحوالهم من إثابة مطيع ومعاقبة عاص)^(٤).

الخامس عشر: النداء إلى بني آدم:

وقد جاء النداء لهم في خمسة مواضع في القرآن الكريم:

الأول: في قوله تعالى: ﴿يَبْنَىْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ لِبَاسًا يُؤْرَى سَوْءَتِكُمْ وَرِيْشًا وَلِبَاسَ النُّقُوْىِ ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ ءَايٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ﴾^(٥).

(١) تفسير السعدي (ص ٧٦٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٣) معالم التنزيل (٧١/١) طبعة طيبة.

(٤) زاد المسير (٤٢/١).

(٥) سورة الأعراف، الآية (٢٦).

هذا النداء يحمل بيان النعمة على الخلق من إنزال النعم وبيان فضيلة التقوى وكل ذلك لعلهم يتذكرون فيعرفوا فضل الله عليهم.

قال الزمخشري^(١): (جعل ما في الأرض منزلاً من السماء، لأنه قضى ثم وكتب. ومنه ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزواج﴾^(٢) والريش لباس الزينة، استعير من ريش الطير، لأنه لباسه وزينته، أي أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يواري سواتكم، ولباساً يزينكم؛ لأن الزينة غرض صحيح، كما قال: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾^(٣).

و ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾^(٤) ولباس التقوى المشار إليه خير. ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى، أو أن تكون إشارة إلى اللباس الموارى للسوءة، لأنّ مواراة السوءة من التقوى، تفضيلاً له على لباس الزينة.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على فضله ورحمته على عباده. يعني إنزال اللباس ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوات وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى^(٥).

(١) محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الحوارزمي. النحوي، اللغوي، المتكلم، المعتزلي، المفسر، يلقب جار الله، لأنه جاور بمكة زماناً. ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمنشهر، قرية من قرى خوارم له التصانيف البديعة منها الكشاف في التفسير، والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة وريع الأبرار والمفصل في النحو، وغير ذلك. مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسائة. طبقات المفسرين للسيوطي (ص ١٢٠) وانظر: طبقات المفسرين للداودي (ص ١٧٢) و سير أعلام النبلاء (١٥٢/٢٠).

(٢) سورة الزمر، الآية (٦).

(٣) سورة النحل، الآية (٨).

(٤) سورة النحل، الآية (٦).

(٥) تفسير الكشاف (٩٧/٢) بتصرف.

الثاني: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ لَا يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَرَهُمَا إِنَّهُ يَرَئَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

هذا النداء لبني آدم من الحق تعالى تحذيرا لهم من فتن الشيطان الذي لا يترك فرصة لإغواء بني آدم، وقد أعلمهم الحق خاصية له وهو التمكن من رؤية البشر مع عدم تمكنهم من ذلك وبين سبحانه أن الشياطين تتمكن من ضعف الإيمان.

(خاطب الله تعالى بني آدم في هذه الآية وأمثالها بالنداء الذي يخاطب به البعيد لما كان عليه عربهم وعجمهم عند نزول هذه السورة في مكة من البعد عن الفطرة السليمة، والشرعة القويمية، تنبيها للأذهان، بما يقرع الآذان)^(٢).

وقد أخرج أبويكم من الجنة (وأنزلهما من المحل العالي إلى أنزل منه، فأنتم يريد أن يفعل بكم كذلك، ولا يألو جهده عنكم، حتى يفتنكم، إن استطاع، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالكم، وأن تلبسوا لأمة الحرب بينكم وبينه، وأن لا تغفلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم)^(٣).

الثالث: في قوله تعالى: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤).

هذا النداء فيه أمر صريح لبني آدم بأخذ الزينة الكاملة عند الذهاب إلى المساجد وإباحة الأكل والشرب ما لم يكن هناك سرف لأنه سبحانه لا يحب المسرفين.

(١) سورة الأعراف، الآية (٢٧).

(٢) تفسير المنار (٨ / ٣١٩).

(٣) تفسير السعدي (ص ٢٨٦).

(٤) سورة الأعراف، الآية (٣١).

(قوله تعالى: ﴿يَبْنَىْ ءَادَمَ﴾ هو خطاب لجميع العالم، وإن كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عريانا؛ فإنه عام في كل مسجد للصلاة. لأن العبرة للعموم لا للسبب^(١). وفي صحيح مسلم بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: من يعيرني تطوفا؟ تجعله على فرجها، وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله... فما بدا منه فلا أحله.

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢).

(دلت الآية على وجوب ستر العورة كما تقدم. وذهب جمهور أهل العلم إلى أنها فرض من فروض الصلاة. وقال الأبهري هي فرض في الجملة، وعلى الإنسان أن يسترها عن أعين الناس في الصلاة وغيرها. وهو الصحيح؛ لقوله عليه السلام للمسور بن مخزومة: (ارجع إلى ثوبك فخذها ولا تمشوا عراة)^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة. فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سد الجوعة وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلا وشرعا، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس؛ ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال؛ لأنه يضعف الجسد ويميت النفس، ويضعف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع وتدفعه العقل. وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر ولا نصيب من زهد؛ لأن ما حرمها من فعل الطاعة بالعجز والضعف أكثر ثوابا وأعظم أجرا^(٤).

(١) تفسير القرطبي (١٨٩/٧).

(٢) صحيح مسلم كتاب: التفسير باب: قوله حذوا زينتكم عند كل مسجد - حديث رقم (٢٥).

(٣) تفسير القرطبي (١٩٠/٧)، والحديث في صحيح مسلم كتاب: الحيض باب: الاعتناء بحفظ العورة حديث رقم (٧٨).

(٤) تفسير القرطبي (١٩١/٧).

وقد نقل الزمخشري في تفسيره كلاما لابن عباس رضي الله عنهما يضع الضابط أمام الناس بعدا بهم عن حد الإسراف فقال:

عن ابن عباس رضي الله عنه: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة^(١).

ويحكى: أنّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء. والعلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان، فقال له: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه. قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ فقال النصراني: ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب؟ فقال: قد جمع رسولنا ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة، قال: وما هي؟ قال قوله:

(المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأعط كل بدن ما عودته)^(٢) فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً^(٣).

الرابع في قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤).

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٣١/٥) كتاب الحديث بالكراريس - في الإسراف والنفقة رقم (٢٦٦٠١) ورقم (٢٤٨٧٨) بلفظ ما أخطأتك خلتان بدلا من (خصلتان) وانظر: تعليق التعليق (٥٤/٥).

(٢) المقاصد الحسنة (ص ٦١١) قال السخاوي حديث: المَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ، وَالْحَمِيَةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ، لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره، نعم عند ابن أبي الدنيا في الصمت من جهة وهب بن منبه قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت.

(٣) الكشف للزمخشري (٩٦/٢).

(٤) سورة الأعراف، الآية (٣٥).

في هذا النداء لبني آدم (أخبر أنه يرسل إليهم الرسل منهم لتكون إجابتهم أقرب)^(١).

(فمن اتقى ما نُهِيت عنه وأصلح نفسه بما أوجبت عليه، فلا خوف عليهم مما يترتب على التكذيب والعصيان من عذاب الدنيا والآخرة ولا هم يحزنون عند الجزاء يوم القيامة ولا في الدنيا كحزن غيرهم)^(٢).

الخامس في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٣) (إقبال على جميع البشر الذين جمعهم المحشر غير أهل الجنة الذين عجلوا إلى الجنة، فيشمل هذا جميع أهل الضلالة من مشركين وغيرهم، ولعله شامل لأهل الأعراف، وهو إسهاد على المشركين وتوبيخ لهم. والاستفهام تقريرى، وخوطبوا بعنوان بني آدم لأن مقام التوبيخ على عبادتهم الشيطان يقتضي تذكيرهم بأنهم أبناء الذي جعله الشيطان عدوا له، والعهد: الوصاية، ووصاية الله بني آدم بالألا يعبدوا الشيطان هي ما تقرر واشتهر في الأمم بما جاء به الرسل في العصور الماضية فلا يسع إنكاره. وبهذا الاعتبار صح الإنكار عليهم في حالهم الشبيهة بحال من يجحد هذا العهد وعبادة الشيطان: عبادة ما يأمر بعبادته من الأصنام ونحوها. وجملة لكم عدو مبين تعليل لجملة لا تعبدوا الشيطان وقد أغنت أن عن فاء السببية)^(٤).

السادس عشر: النداء إلى النفس المطمئنة:

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٥) ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً

(١) تفسير القرطبي (٢٠٢/٧).

(٢) تفسير المنار (٣٦٥/٨).

(٣) سورة يس، الآية (٦٠).

(٤) التحرير والتنوير (٤٧/٢٣).

(٥) سورة الفجر، الآية (٢٧-٢٨).

(هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت وقيل عند البعث وقيل عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار والأول أرجح لما روى أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال له يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك)^(١).

والمطمئنة: (أي الموقنة يقينا قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان وقيل المطمئنة التي لا تخاف حينئذ).

﴿رَاضِيَةً﴾ معناه راضية بما أعطاه الله أو راضية عن الله ومعنى المرضية مرضية عند الله أو أرضاها الله بما أعطاه)^(٢).

السابع عشر: النداء إلى معشر الجن والإنس:

وهذا جاء في قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(٣).

(هذا الخطاب للجن والإنس في الدنيا، يعني إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض هروبا من الموت ﴿فَانْفُذُوا﴾ ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ يعني أينما توجهتم أدرككم الموت).

وروي عن ابن عباس أنه قال هذا الخطاب في يوم القيامة وذلك أن السماء تتشقق بالغمم وتنزل ملائكة السموات ويقومون حول الدنيا محيطين بها وجاء الروح وهو ملك يقوم صفا وهو

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٤٨٢).

(٢) المرجع السابق (٢/٤٨٢).

(٣) سورة الرحمن، الآية (٣٣).

أكبر من جميع الخلق فحينئذ يقال لهم ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ يعني لا تنجون إلا بحجة وبرهان^(١).

الثامن عشر: نداء الله أهل الكتاب من يهود ونصارى:

وقد جاء هذا النداء في مواطن كثيرة من القرآن الكريم بلغت ثلاثة عشر موضعا:

الأول: في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

(اعلم أن النبي ﷺ لما أورد على نصارى نجران أنواع الدلائل وانقطعوا، ثم دعاهم إلى المباحلة فخافوا وما شرعوا فيها وقبلوا الصغار بأداء الجزية، وقد كان عليه السلام حريصاً على إيمانهم، فكأنه تعالى قال: يا محمد اترك ذلك المنهج من الكلام واعدل إلى منهج آخر يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم أنه كلام مبني على الإنصاف وترك الجدال، و ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي هلموا إلى كلمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض، ولا ميل فيه لأحد على صاحبه، وهي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ هذا هو المراد من الكلام.

أما قوله تعالى: (أَهْلَ الْكِتَابِ) ففيه ثلاثة أقوال أحدها: المراد نصارى نجران والثاني: المراد يهود المدينة والثالث: أنها نزلت في الفريقيين، وبدل عليه وجهان الأول: أن ظاهر اللفظ يتناولهما والثاني: روي في سبب النزول، أن اليهود قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام، ما تريد إلا

(١) بحر العلوم (٣/٣٨٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٦٤).

أن نتخذك رباً كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى: يا محمد ما تريد إلا أن نقول فيك ما قالت اليهود في عزيز فأنزل الله تعالى هذه الآية.

إنه تعالى ذكر ثلاثة أشياء أولها: (أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ) وثانيها: أَنْ (لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً) وثالثها: أَنْ (لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ) وإنما ذكر هذه الثلاثة لأن النصارى جمعوا بين هذه الثلاثة فيعبدون غير الله وهو المسيح، ويشركون به غيره وذلك لأنهم يقولون إنه ثلاثة: أب وابن وروح القدس، فأثبتوا ذوات ثلاثة قديمة سواء^(١).

الثاني: في قوله تعالى: ﴿يَتَّأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

(هذه الآية أبين الحجج على اليهود والنصارى بأن التوراة والإنجيل أنزلا من بعده وليس فيهما اسم لواحد من الأديان واسم الإسلام في كل كتاب وهو قوله " لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده " .

ثم قال تعالى " أفلا تعقلون " يقول أليس لكم ذهن الإنسانية أن تنظروا فيما تقولون^(٣).

الثالث: في قوله تعالى: ﴿يَتَّأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾^(٤).

نداء وسؤال توبيخ لأهل الكتاب الذين يكفرون بآيات الله التي تحمل صفات النبي ﷺ مع علمهم بصدقه.

(١) التفسير الكبير للرازي (٨/٢٥١-٢٥٢) بتصرف.

(٢) سورة آل عمران، الآية (٦٥).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (١/٢٢١).

(٤) سورة آل عمران، الآية (٧٠).

(لأى سبب تكفرون بما ترونه من البراهين الواضحة الدالة على نبوة محمد ﷺ وأنتم تشهدون بصحتها بما جاء في كتبكم من نعتة والبشارة به؟) (١).

الرابع: في قوله تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكُتُبِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

وبخهم على لبس الحق بالباطل وعلى كتمان الحق، لأنهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم، فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مبهما وكتموا الحق الذي يجب عليهم إظهاره، ترتب على ذلك من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتب، ولم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفة حتى يؤثره، والمقصود من أهل العلم أن يظهروا للناس الحق ويعلموا به، ويميزوا الحق من الباطل، ويظهروا الخبيث من الطيب، والحلال والحرام، والعقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة، ليهتدي المهتدون ويرجع الضالون وتقوم الحجة على المعاندين قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ (٣).

الخامس: في قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَأْهَلُ الْكُتُبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (٤). قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْهَلُ الْكُتُبِ﴾ قال الحسن: هم اليهود والنصارى، فأما آيات الله فقال ابن عباس هي القرآن ومحمد ﷺ.

(١) تفسير المراغي (٣/١٨٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٧١).

(٣) تفسير السعدي (ص ١٣٤-١٣٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية (٩٨).

وأما الشهيد فذكر فيه قولان بمعنى: الشاهد والثاني: هو الذي لا يغيب عنه شيء كأنه الحاضر الشاهد^(١).

السادس: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عَوْجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٢).

(يا معشر يهود بني إسرائيل وغيرهم ممن ينتحل التصديق بكتب الله: ﴿ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يقول: لم تضلُّون عن طريق الله ومحجته التي شرعها لأنبيائه وأوليائه وأهل الإيمان "من آمن"، يقول: من صدق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ﴿ تَبَعُونَهَا عَوْجًا ﴾، يعني: تبغون لها عوجًا)^(٣).

السابع: في قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾^(٤).

(السياق في اليهود المجاورين للرسول ﷺ، ففي هذه الآية ناداهم الله تبارك وتعالى بعنوان العلم والمعرفة وهو نسبتهم إلى الكتاب الذي هو التوراة أمراً بإيمان بكتابه، أي: القرآن الكريم وبمن أنزله عليه محمد ﷺ، إذ الإيمان بالمنزل إيمان بالمنزل عليه ضمناً. فقال: ﴿ ءَامِنُوا ﴾ بالفرقان المصدق لما معكم من أصول الدين ونعوت الرسول والأمر بالإيمان به ونصرته خفوا إلى الإيمان وتركوا التردد من قبل أن يحل بكم ما حل ببعض أسلافكم حيث مسخوا قرده وخنازير ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا ﴾ فنذهب حدقة أعينها وشاخص أنوفها ونُغلق أفواهها فتصبح

(١) زاد المسير (٣٠٩/١) بتصرف.

(٢) سورة آل عمران، الآية (٩٩).

(٣) تفسير الطبري (٥٣/٦) تحقيق أحمد شاكر.

(٤) سورة النساء، الآية (٤٧).

الوجوه أقفاء، والأقفاء وجوهاً يمشون القهقراء وهو معنى قوله: ﴿فَزُدَّهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا أَوْ نَلَعْنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ أي: الذين اعتدوا منكم في السبت حيث صادوا فيه، وهو محرم عليهم فمسخهم قرده خاسئين. ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: مأموره ﴿مَفْعُولًا﴾ ناجزاً، لا يتخلف ولا يتأخر لأن الله تعالى لا يعجزه شيء وهو على كل شيء قدير^(١).

الثامن: في قوله تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٢).

(يا أهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح، وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح، وهؤلاء النصارى يبالغون في تعظيمه وكلا طرفي قصدهم ذميم، فلهذا قال النصارى ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ وقوله ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ يعني لا تصفوا الله بالحلول والاتحاد في بدن الإنسان أو روحه، ونزهوه عن هذه الأحوال. ولما منهم عن طريق الغلو أرشدهم إلى طريق الحق، وهو أن المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وعبدته.

وأما وقوله ﴿وَكََلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.

فاعلم أنا فسرنا (الكلمة) في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾^(٣).

(١) أيسر التفاسير (١/٤٨٧-٤٨٨).

(٢) سورة النساء، الآية (١٧١).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٤٥).

والمعنى أنه وجد بكلمة الله وأمره من غير واسطة ولا نظفة^(١).

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ قيل: (هو روح كسائر الأرواح إلا أن الله تعالى أضافه إلى نفسه (تشريفًا).

وقيل: الروح هو النفخ الذي نفخه جبريل عليه السلام في دِرْعِ مريم فحملته بإذن الله تعالى، سمي النفخ روحًا لأنه ربح يخرج من الروح وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره.

وقيل: (روح منه) أي ورحمة، فكان عيسى عليه السلام رحمةً لمن تبعه وآمن به.

وقيل: الروح: الوحي، أوحى إلى مريم بالبشارة، وإلى جبريل عليه السلام بالنفخ، وإلى عيسى أن كن فكان، كما قال الله تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾^(٢) يعني: بالوحي، وقيل: أراد بالروح جبريل عليه السلام، معناه: وكلمته ألقاها إلى مريم، وألقاها إليها أيضًا روح منه بأمره وهو جبريل عليه السلام، كما قال: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ﴾^(٣).

يعني: جبريل فيها، وقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾^(٤) يعني: جبريل^(٥).

(لما بين حقيقة عيسى عليه السلام، أمر أهل الكتاب بالإيمان به وبرسله، ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة أحدهم عيسى، والثاني مريم، فهذه مقالة النصارى قبحهم الله.

فأمرهم أن ينتهوا، وأخبر أن ذلك خير لهم، لأنه الذي يتعين أنه سبيل النجاة، وما سواه فهو طريق الهلاك، ثم نزه نفسه عن الشريك والولد فقال: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أي: هو المنفرد بالألوهية، الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ أي: تنزهه وتقدس ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ﴾

(١) التفسير الكبير (٢٧١/١١)

(٢) سورة النحل، الآية (٢).

(٣) سورة القدر، الآية (٤).

(٤) سورة مريم، الآية (١٧).

(٥) تفسير البغوي طبعة طيبة (٣١٤/٢).

وَلَدٌ ﴿۱﴾ لَأَنْ ﴿۱﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿۱﴾ فالكل مملوكون له مفتقرون إليه، فمحال أن يكون له شريك منهم أو ولد.

ولما أخبر أنه المالك للعالم العلوي والسفلي أخبر أنه قائم بمصالحهم الدنيوية والأخروية وحافظها، ومجازيهم عليها تعالى) (١).

التاسع: في قوله تعالى: ﴿۲﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿۲﴾.

(يقول تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض: عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيههم، وأنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل، فقال تعالى: ﴿۲﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿۲﴾ أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه، وافتروا على الله فيه، ويسكت عن كثير مما غيره ولا فائدة في بيانه) (٣).

﴿۳﴾ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿۳﴾ يريد القرآن. لكشفه ظلمات الشرك والشك. ولإبانتته ما كان خافياً على الناس من الحق. أو لأنه ظاهر الإعجاز. أو النور، محمد ﷺ لأنه يهتدي به، كما سمي سراجاً) (٤).

(١) تفسير السعدي (ص ٢١٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (١٥).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦١/٣).

(٤) محاسن التأويل (٩١/٤).

العاشر: في قوله تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

(يقول تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى: إنه قد أرسل إليهم رسوله محمداً خاتم النبيين، الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم؛ ولهذا قال: ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى ابن مريم.

وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة، كم هي؟ فقال أبو عثمان النهدي^(٢) وقتادة - في رواية عنه: كانت ستمائة سنة. ورواه البخاري عن سلمان الفارسي. وعن قتادة: خمسمائة وستون سنة، وقيل: خمسمائة وأربعون سنة. وقال: الضحاك^(٣): أربعمائة وبضع وثلاثون سنة. وذكر ابن عساکر في ترجمة عيسى، عليه السلام عن الشعبي أنه قال: ومن رفع المسيح إلى هجرة النبي ﷺ تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة. والمشهور هو الأول، وهو أنه ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة. ولا منافاة بينهما، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية، والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين؛ ولهذا قال تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾^(٤) أي: قمرية، لتكميل الثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب. وكانت الفترة بين عيسى ابن مريم، آخر أنبياء بني إسرائيل، وبين محمد ﷺ خاتم النبيين من بني آدم على

(١) سورة المائدة، الآية (١٩).

(٢) عبد الرحمن بن مل أبو عثمان النهدي، من قضاة أدرك الجاهلية، يروي عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ،

أسلم في زمن عمر، ت ٩٥ هـ الثقات لابن حبان (٧٥/٥) وانظر: رجال صحيح مسلم (٤١٩/١)

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي من بني هلال بن عامر بن صعصعة كنيته أبو القاسم وقد قيل أبو محمد لقي جماعة من

التابعين ولم يشافه أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ ت ١٠٢ هـ وقد قيل ١٠٥ هـ، الثقات لابن حبان (٤٨٠/٦) و

سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦٠٠/٤).

(٤) سورة الكهف، الآية (٢٥).

الإطلاق، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (أنا أولى الناس بابن مريم؛ لأنه لا نبي بيني وبينه)^(١) هذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى عليه السلام نبي، والمقصود أن الله (تعالى) بعث محمداً ﷺ على فترة من الرسل، وطُمُوس من السبل، وتَغْيِير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عَمَم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصرى والصابئين)^(٢).

الحادي عشر: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾^(٣).

(يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: قل، يا محمد، لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: يا أهل الكتاب، هل تكهون منا أو تجدون علينا في شيء إذ تستهزئون بديننا، وإذ أنتم إذا نادينا إلى الصلاة اتخذتم نداءنا ذلك هزواً ولعباً) ﴿ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ ، يقول: إلا أن صدقنا وأقرنا بالله فوحدناه، وبما أنزل إلينا من عند الله من الكتاب، وما أنزل إلى أنبياء الله من الكتب من قبل كتابنا ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ، يقول: وإلا أن أكثركم مخالفون أمر الله، خارجون عن طاعته، تكذبون عليه)^(٤).

(١) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله ﷻ ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا

شَرْقِيًّا ﴾ حديث رقم (٣٤٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٧٠-٧١) طيبة بتصرف.

(٣) سورة المائدة، الآية (٥٩).

(٤) تفسير الطبري (١٠/٤٣٣) تحقيق شاكر.

الثاني عشر: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^(١).

(قال ابن عباس: جاء جماعة من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: ألسنت تُقر أن التوراة حق من عند الله؟ قال: (بلى). فقالوا: فإننا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها؛ فنزلت الآية؛ أي لستم على شيء من الدين حتى تعلموا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد عليه السلام، والعمل بما يوجبه ذلك منهما؛ ويجوز أن يكون ذلك قبل النسخ لهما.

قوله تعالى: ﴿ وَلِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ أي يكفرون به فيزدادون كفرا على كفرهم. والطغيان تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه. وذلك أن الظلم منه صغيرة ومنه كبيرة، فمن تجاوز منزلة الصغيرة فقد طغى. ومنه قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴾^(٢) أي يتجاوز الحد في الخروج عن الحق. قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ أي لا تحزن عليهم.

وهذه تسلية للنبي ﷺ، وليس بنهي عن الحزن؛ لأنه لا يقدر عليه ولكنه تسلية ونهي عن التعرض للحزن^(٣).

الثالث عشر: في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾^(٤).

(١) سورة المائدة، الآية (٦٨).

(٢) سورة العلق، الآية (٦).

(٣) تفسير القرطبي (٢٤٥/٦) بتصرف.

(٤) سورة المائدة، الآية (٧٧).

(اعلم أنه تعالى لما تكلم أولاً على أباطيل النصارى وأقام الدليل القاهر على بطلانها وفسادها، فعند ذلك خاطب مجموع الفريقين بهذا الخطاب فقال ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ والغلو نقيض التقصير. ومعناه الخروج عن الحد، وذلك لأن الحق بين طرفي الإفراط والتفريط، ودين الله بين الغلو والتقصير.

وقوله ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ صفة المصدر، أي لا تغلوا في دينكم غلواً غير الحق، أي غلواً باطلاً، لأن الغلو في الدين نوعان: غلو حق، وهو أن يبالغ في تقريره وتأكيد، وغلو باطل وهو أن يتكلف في تقرير الشبه وإخفاء الدلائل، وذلك الغلو هو أن اليهود لعنهم الله نسبوه إلى الزنا. وإلى أنه كذاب، والنصارى ادعوا فيه الإلهية.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وفيه مسألتان: المسألة الأولى: الأهواء ههنا المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة. قال الشعبي^(١): ما ذكر الله لفظ الهوى في القرآن إلا ذمه. قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢) ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدَّى﴾^(٣) ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٤)، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾^(٥).

(١) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، الإمام، علامة العصر، أبو عمرو الهمداني، ثم الشعبي. ت ١٠٤هـ، سير

أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/٢٩٤).

(٢) سورة ص، الآية (٢٦).

(٣) سورة طه، الآية (١٦).

(٤) سورة النجم، الآية (٣).

(٥) سورة الجاثية، الآية (٢٣).

قال أبو عبيدة: لم نجد الهوى يوضع إلا في موضع الشر. لا يقال: فلان يهوى الخير، إنما يقال: يريد الخير ويحبه. وقال بعضهم: الهوى إله يعبد من دون الله. وقيل: سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار، وأنشد في ذم الهوى:

إن الهوى لهو الهوان بعينه فإذا هويت فقد لقيت هوانا.

وقال رجل لابن عباس: الحمد لله الذي جعل هواي على هواك، فقال ابن عباس: كل هوى ضلالة.

المسألة الثانية: أنه تعالى وصفهم بثلاث درجات في الضلال، فبين أنهم كانوا ضالين من قبل ثم ذكر أنهم كانوا مضلين لغيرهم، ثم ذكر أنهم استمروا على تلك الحالة حتى إنهم الآن ضالون كما كانوا، ولا نجد حالة أقرب إلى العبد من الله والقرب من عقاب الله تعالى من هذه الحالة. نعوذ بالله منها، ويحتمل أن يكون المراد أنهم ضلوا وأضلوا، ثم ضلوا بسبب اعتقادهم في ذلك الإضلال أنه إرشاد إلى الحق، ويحتمل أن يكون المراد بالضلال الأول الضلال عن الدين، وبالضلال الثاني الضلال عن طريق الجنة^(١).

التاسع عشر: نداء الله تعالى بني إسرائيل:

وقد جاء هذا النداء في ستة مواضع في كتاب الله عز وجل.

الأول: في قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَآرْهَبُونِ﴾^(٢).

المراد بإسرائيل (هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله أو عبد الله. فإسرا هو العبد أو الصفوة، وإيل هو الله بالعبرية، وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة.

(١) التفسير الكبير للرازي (١٢/٤١٠-٤١١). وقد تتبعت كلام أبي عبيدة الذي نقله الرازي فلم أجده إلا عنده.

(٢) سورة البقرة، الآية (٤٠).

﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾^(١) ذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها وبطيوعوا مانحها.

وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد ﷺ المبشر به في التوراة والإنجيل.

وعبر بالفعل (أَوْفُوا) حملاً لهم على أداء ما أمروا به على وجه التمام ﴿ وَأَوْفُوا ﴾ أدوا وافية تاماً، يقال وفيت له بالعهد فأنا وافية به وأوفيت له بالعهد فأنا موف به، والاختيار أوفيت، وعليه نزل التنزيل.

والمراد بالعهد في قوله: ﴿ بَعْدِي ﴾ بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي، أو من الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز.

﴿ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم.

والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد جميعاً.

وعن قتادة: هما لئن أقمتم ولأكفرن.

﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك (زيدا رهبتة) وهو أوكد في إفادة

الاختصاص من ﴿ إِنَّا كَنَعْبُدُ ﴾^{(٢)(٣)}.

الثاني: في قوله تعالى: ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى

الْعَالَمِينَ ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية (٤٠).

(٢) سورة الفاتحة، الآية (٥).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٨٣ - ٨٤).

(٤) سورة البقرة، الآية (٤٧).

(يعني عالمي زمانهم وقال بعضهم من آمن من أهل الكتاب بمحمد ﷺ كانت له فضيلة على غيره وكان له أجران أجر إيمانه بنبيه وأجر إيمانه بمحمد ﷺ وقد روي عن رسول الله النبي ﷺ أنه قال ثلاثة يعطيهم الله الأجر مرتين من اشترى جارية فأحسن تأديبها فأعتقها وتزوجها وعبد أطاع سيده وأطاع الله تعالى ورجل من أهل الكتاب أدرك النبي ﷺ فأمن به^(١) وقيل معنى قوله ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بإنزال المن والسلوى وغير ذلك ولم يكن لأحد من العالمين غيرهم^(٢).

الثالث: في قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣) وهو نفس النداء الوارد في الآية السابقة.

الرابع: في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٤) وسيأتي الحديث عنه في النداء من عيسى عليه السلام إلى قومه.

الخامس: في قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾^(٥).

(١) سنن الدارمي - من كتاب النكاح - باب فضل من أعتق أمة ثم تزوجها حديث رقم (٢٢٩٠) وإسناد الحديث

صحيح والله أعلم.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي (٥٠/١).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٢٢).

(٤) سورة المائدة، الآية (٧٢).

(٥) سورة طه، الآية (٨٠).

(ظاهر هذه الآية أن هذا القول قيل لبني إسرائيل عند حلول هذه النعم التي عدد الله تعالى عليهم، وبين خروجهم من البحر وبين هذه المقالة مدة وحوادث ولكن يخص الله تعالى بالذكر ما يشاء من ذلك)^(١).

والمقصود من قوله: ﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾.

(هو أن الله تعالى وعد موسى بعد أن أغرق فرعون ليأتي جانب الطور الأيمن فيؤتيه التوراة فيها بيان ما يحتاجون إليه)^(٢).

(وجانب الطور: سفحه. ووصفه بالأيمن باعتبار جهة الشخص المستقبل مشرق الشمس، وإلا فليس للجبل يمين وشمال معينان، وإنما تعرف بمعرفة أصل الجهات وهو مطلع الشمس، فهو الجانب القبلي باصطلاحنا. وجعل محل المواعدة الجانب القبلي وليس هو من الجانب الغربي الذي في سورة القصص ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾^(٣) وقال فيها ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾^(٤) (فهو جانب غربي، أي من جهة مغرب الشمس من الجبل، وهو الذي آنس موسى منه ناراً)^(٥)، والمن شيء كالطل فيه حلاوة يسقط على الشجر، والسلوى: طائر، وقيل المن والسلوى، كلاهما إشارة إلى ما أنعم الله به عليهم، وهما بالذات شيء واحد لكن سماه منا بحيث إنه امتن به عليهم، وسماه سلوى من حيث إنه كان لهم به التسلي)^(٦)، (وقيل: السلوى: طائر كالسماني. قال ابن عباس رضي الله عنهما: المنّ الذي يسقط من السماء، والسلوى: طائر، قال بعضهم:

(١) تفسير ابن عطية (٥٥/٤).

(٢) التفسير الوسيط للواحي (٢١٦/٣).

(٣) سورة القصص، الآية (٣٠).

(٤) سورة القصص، الآية (٤٤).

(٥) التحرير والتنوير (٢٧٤/١٦).

(٦) المفردات في غريب القرآن (ص ٧٧٨).

أشار ابن عباس بذلك إلى ما رزق الله تعالى عباده من اللحوم والتّبات وأورد بذلك مثالا، وأصل السّلولى من التّسلي، يقال: سلّيت عن كذا، وسلّوت عنه وتسلّيت: إذا زال عنك محبّته. قيل: والسّلولان: ما يسلي، وكانوا يتداوون من العشق بخزره يحكونها ويشربونها، ويسمونها السّلولان^(١).

السادس: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلِإِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلِإِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ يعني التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد.

فيعسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملا بني إسرائيل مبشرا بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة.

وما أحسن ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب)^(٣) ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه.^(٤)

(١) المفردات في غريب القرآن (ص ٤٢٤).

(٢) سورة الصف، الآية (٦).

(٣) أخرجه البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب قوله تعالى ﴿مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ حديث رقم (٤٨٩٦) وأخرجه

مسلم - كتاب الفضائل - باب في أسمائه ﷺ حديث رقم (١٢٥).

(٤) تفسير ابن كثير ط العلمية (٨/١٣٦).

العشرون: النداء الصادر إلى الجمادات:

وقد ورد هذا النداء في القرآن الكريم في موضعين

الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(١).

(يخبر تعالى أنه لما غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة، أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر، ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾ أي: شرع في النقص، ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أي: فرغ من أهل الأرض قاطبة، ممن كفر بالله، لم يبق منهم ديار، ﴿ وَأَسْتَوَتْ ﴾ السفينة بمن فيها ﴿ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ قال مجاهد: وهو جبل بالجزيرة، تشاхت الجبال يومئذ من الغرق وتناولت، وتواضع هو لله عز وجل، فلم يغرق، وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام.

وقال قتادة: استوت عليه شهرا حتى نزلوا منها، قال قتادة: قد أبقي الله سفينة نوح، عليه السلام، على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت، وصارت رمادا.

وقال الضحاك: الجودي: جبل بالموصل: وقال بعضهم: هو الطور^(٢).

الثاني: في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٍ أُوْبَىٰ مَعَهُ، وَالطَّيْرِ وَالنَّالِ الْهَدِيدِ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَ لَيِّ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(٣).

(١) سورة هود، الآية (٤٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٣٢٣-٣٢٤).

(٣) سورة سبأ، الآية (١٠-١١).

(قوله تعالى: ﴿يَجِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ﴾ أي وقلنا يا جبال أوبي معه، أي سبحي معه، لأنه قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ورد أنه: التسبيح بلسان الحبشة، ومعنى تسبيح الجبال: هو أن الله تعالى خلق، فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة، فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه الصلاة والسلام. وقيل: المعنى سيرى معه حيث شاء؛ من التأويب الذي هو سير النهار أجمع وينزل الليل. وقرأ الحسن وقتادة وغيرهما: ﴿أُوْبِي مَعَهُ﴾ أي رجعي معه؛ من آب يؤوب إذا رجع، أوبا وأوبة وإيابا. وقيل: المعنى تصرفي معه على ما يتصرف عليه داود بالنهار، فكان إذا قرأ الزبور صوتت الجبال معه، وأصغت إليه الطير، فكأنها فعلت ما فعل.

وقال وهب بن منبه^(١): المعنى نوحى معه والطير تساعد على ذلك، فكان إذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بصداها، وعكفت الطير عليه من فوقه. فصدى الجبال الذي يسمعه الناس إنما كان من ذلك اليوم إلى هذه الساعة؛ فأيد بمساعدة الجبال والطير لئلا يجد فترة، فإذا دخلت الفترة اهتاج، أي ثار وتحرك، وقوي بمساعدة الجبال والطير. وكان قد أعطي من الصوت ما يتزاحم الوحوش من الجبال على حسن صوته، وكان الماء الجاري ينقطع عن الجري وقوفا لصوته^(٢).

الحادي والعشرون: النداء إلى إبليس لعنه الله:

وقد جاء هذا النداء صريحا في موضعين من القرآن الكريم.

الأول: في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^(٣).

(١) وهب بن منبه يماني من الأبناء تابعي ثقة وكان على قضاء صنعاء ت ١١٤ هـ انظر: الثقات للعجلي ط الدار

(٢) (٣٤٥/٢) و التاريخ الأوسط (١/٢٧٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/٢٦٥-٢٦٦).

(٣) سورة الحجر، الآية (٣٢).

(ظاهره يقتضي أن الله تعالى تكلم مع إبليس بغير واسطة وأن إبليس تكلم مع الله تعالى بغير واسطة، مع أن مكالمة الله تعالى بغير واسطة من أعظم المناصب وأشرف المراتب، فكيف يتم حصوله لرأس الكفرة ورئيسهم، ولعل الجواب عنه أن مكالمة الله تعالى إنما تكون منصباً عالياً إذا كان على سبيل الإكرام والإعظام، فأما إذا كان على سبيل الإهانة والإذلال فلا) (١).

لقد (تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة، حسداً وكفراً، وعناداً واستكباراً، وافتحاراً بالباطل، ولهذا قال: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (٢) كما قال في الآية الأخرى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (٣).

وقوله: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِذًا قَلِيلًا ﴾ (٤) (٥).

الثاني: في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ (٦).

(قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ ﴾ أي صرفك وصدك ﴿ أَنْ تَسْجُدَ ﴾ أي عن أن تسجد ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ أضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له، وإن كان خالق كل شيء وهذا كما أضاف إلى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد. فخاطب الناس بما يعرفونه في تعاملهم، فإن الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئاً بيده إلا على سبيل الإعظام والتكريم.

(١) التفسير الكبير للرازي (١٤٥/١٩) بتصرف.

(٢) سورة الحجر، الآية (٣٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٢).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٦٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٥٣٤/٤) طبعة طيبة.

(٦) سورة ص، الآية (٧٥).

وقيل: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ لما خلقت بغير واسطة. ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أي عن السجود ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي المتكبرين على ربك^(١).

الثاني والعشرون: النداء إلى الذين كفروا:

وجاء هذا النداء في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نُعَذِّرُهُمُ الْيَوْمَ إِنَّمَا يُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

(يوبخ أهل النار يوم القيامة بهذا التوبيخ فيقال لهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نُعَذِّرُهُمُ الْيَوْمَ﴾ فإنه ذهب وقت الاعتذار، وزال نفعه، فلم يبق الآن إلا الجزاء على الأعمال، وأنتم لم تقدموا إلا الكفر بالله، والتكذيب بآياته، ومحاربة رسله وأوليائه)^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٨/١٥).

(٢) سورة التحريم، الآية (٧).

(٣) تفسير السعدي ص ٨٧٤.

المطلب الثاني

النداءات الأخرى الواردة في القرآن الكريم

لمكانة النداء وأهميته ولشرف الغرض منه ودلالاته العقديّة والتشريعية والخلقية رأينا يأخذ مكانة كبيرة في القرآن الكريم، وقد سبق الحديث في المطلب السابق عن نداءات الله لأنبيائه في القرآن الكريم، وها نحن الآن نعرض للنداءات الأخرى وهي تتضمن نداءات عدة من الرسل لأقوامهم ومن الأقوام لرسولهم، ومن وإلى الملائكة، ومن الناس إلى أنفسهم، ومن وإلى عباد الله الصالحين، ومن النساء، ومن الحيوانات، ومن قوم مريم عليها السلام مخاطبين إياها، ومن الجن إلى أقوامهم، ومن الشيطان إلى آدم، ومن فرعون إلى خاصته، والنداء في قصة يوسف عليه السلام.

هذا إجمال يأتيك تفصيله بإذن الله تعالى فيما يأتي:

(١): النداء من الرسل لأقوامهم:

أولاً: من نبينا محمد ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

(١) سورة يونس، الآية (١٠٤).

(يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت إليك: إن كنتم في شك، أيها الناس، من ديني الذي أدعوكم إليه، فلم تعلموا أنه حق من عند الله: فإني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عني شيئاً، فتشكوا في صحته.

وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف.

وإنما معنى الكلام: إن كنتم في شك من ديني، فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه، وإنما ينبغي لكم أن تشكوا في الذي أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تعقل شيئاً ولا تضر ولا تنفع. فأما ديني فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه، لأني أعبد الله الذي يقبض الخلق فيميتهم إذ شاء، وينفعهم ويضربهم إن شاء. وذلك أن عبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة. وأما عبادة الأوثان فينكرها كل ذي لب وعقل صحيح^(١).

و قوله: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم﴾: يتضمن تهديدا لهم لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم^(٢).

(والمراد ب (الناس) في هذا الخطاب: المشركون من أهل مكة، أو جميع أمة الدعوة الذين لما يستجيبوا للدعوة^(٣)).

ثانياً: النداء من إبراهيم عليه السلام إلى قومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(٤).

(١) تفسير الطبري (٢١٧/١٥) طبعة شاكر.

(٢) التفسير الوسيط للواحدى (٥٦٢/٢).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠٠/١١).

(٤) سورة الأنعام، الآية (٧٨).

هذا النداء جاء في سياق الحوار الذي كان بين إبراهيم عليه السلام وبين قومه تنزل معهم في أدوار عدة ليوقفهم على حقيقة ضلالهم حتى وصل على هذا الدور وهو بذلك يستدل بمخلوقات الله تعالى المتغيرة على الثابت سبحانه الذي لا يتغير.

(فإن قيل: لم قال في الشمس: هذا، ولم يقل: هذه؟ فعنه أربعة أجوبة: أحدها: أنه رأى ضوء الشمس، لا عينها، والثاني: أنه أراد: هذا الطالع ربي. والثالث: أن الشمس بمعنى الضياء والنور، فحمل الكلام على المعنى. والرابع: أن الشمس ليس في لفظها علامة من علامات التأنيث، وإنما يشبه لفظها لفظ المذكر، فجاز تذكيرها)^(١).

(أو لصيانة الرب عن شبهة التأنيث، ليستدرجهم. إذ لو حقر بوجه ما كان سببا لعدم إصغائهم.

وقوله تعالى: ﴿ هَذَا أَكْبَرُ ﴾ أي: أكبر الكواكب جرما، وأعظمها قوة، فهو أولى بالإلهية. وفيه تأكيد لما رامه عليه الصلاة والسلام من إظهار النصفة، مع إشارة خفية إلى فساد دينهم من جهة أخرى، ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الأصغر.

﴿ فَلَمَّا أَفَلَّتْ ﴾ قَالَ صَادَعًا بِالْحَقِّ: ﴿ قَالَ يَنْقَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ أي من الأجرام المحدثة المتغيرة من حالة إلى أخرى، أو من إشراككم)^(٢).

الثالث: من نوح عليه السلام إلى قومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقَوْمُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣).

(١) زاد المسير (٤٨/٢).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٤/٤٠٣-٤٠٤) بتصرف بسيط.

(٣) سورة الأعراف، الآية (٥٩).

(أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية: أنه أرسل نوحًا إلى قومه، منذرهم بأسه، ومخوفهم سخطه، على عبادتهم غيره، فقال لمن كفر منهم: يا قوم، اعبدوا الله الذي له العباد، وذُلُّوا له بالطاعة، واخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم معبودٌ يستوجب عليكم العبادَةَ غيره، فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني: عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربكم)^(١).

الرابع: من موسى عليه السلام إلى قومه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَّا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

هذا نداء من نبي الله موسى عليه السلام لقومه بأن يتذكروا نعمة الله عليهم وقد أعطاهم نعمًا عديدة مادية ومعنوية.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾^(٣) فيهم قولان:

أحدهما: أنهم الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى.

والثاني: أنهم السبعون الذين اختارهم موسى.

﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ فيه خمسة أقاويل:

أحدها: لأنهم ملكوا أنفسهم بأن خلصهم من استعباد القبط لهم.

والثاني: لأن كل واحد ملك نفسه وأهله وماله.

(١) تفسير الطبري (١٢/٤٩٨).

(٢) سورة المائدة، الآية (٢٠).

والثالث: لأنهم كانوا أول من ملك الخدم من بني آدم.

والرابع: أنهم جعلوا ملوكاً بالمنّ والسّلوى والحجر.

والخامس: أن كل من ملك داراً وزوجة وخداماً، فهو ملك من سائر الناس.

وقد روى زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: (من كان له بيت يأوي إليه وزوجة وخدام، فهو ملك)^(١).

﴿وَأَتَانَكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ فيه قولان: أحدهما: المن والسّلوى والغمام والحجر. الثاني: كثرة الأنبياء فيهم والآيات التي جاءتهم^(٢).

الخامس: من هارون عليه السلام إلى قومه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾^(٣).

هذا الحوار جزء من حديث هارون عليه السلام مع بني إسرائيل وذلك عند الحديث عن السامري وما حدث منه مع بني إسرائيل.

(تأكيد الخبر بحرف التحقيق ولام القسم لتحقيق إبطال ما في كتاب اليهود من أن هارون هو الذي صنع لهم العجل، وأنه لم ينكر عليهم عبادته. وغاية الأمر أنه كان يستهزئ بهم في نفسه، وذلك إفك عظيم في كتابهم.

والمضاف إليه ﴿قَبْلُ﴾ محذوف دل عليه المقام، أي من قبل أن يرجع إليهم موسى وينكر عليهم. وافتتاح خطابه بـ ﴿يَقَوْمِ﴾ تمهيد لمقام النصيحة.

(١) تفسير الطبري (١٠/١٦١) وتفسير ابن كثير (٣/٧٣): وقال عنه ابن كثير: هذا مرسل غريب.

(٢) النكت والعيون للماوردي (٢/٢٤-٢٥).

(٣) سورة طه، الآية (٩٠).

ومعنى ﴿إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾: ما هو إلا فتنة لكم وليس ربا، وإن ربكم الرحمان الذي يرحمكم في سائر الأحوال، فأجابوه بأنهم لا يزالون عاكفين على عبادته حتى يرجع موسى فيصرح لهم بأن ذلك العجل ليس هو ربهم.

ورتب هارون خطابه على حسب الترتيب الطبيعي لأنه ابتدأه بزرهم عن الباطل وعن عبادة ما ليس برب، ثم دعاهم إلى معرفة الرب الحق، ثم دعاهم إلى اتباع الرسول إذ كان رسولا بينهم، ثم دعاهم إلى العمل بالشرائع^(١).

السادس: من عيسى عليه السلام إلى قومه وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾^(٢).

(أخبر تعالى إخبارا مؤكدا بلام القسم عن كفر القائلين: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وهذا قول اليعقوبية^(٣) من النصارى، ثم أخبر تعالى عن قول المسيح لهم وتبليغه كيف كان؟ فقال: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ﴾ الآية، وهذه المعاني قول المسيح بألفاظ لغته، وهي بعينها موجودة في تبليغ محمد ﷺ في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(٤) إلى غير ذلك من الآيات، وأخبرهم عيسى عليه السلام أن الله تعالى هو ربه وربهم فضلوا هم وكفروا بسبب ما رأوا على يديه من الآيات، و (المأوى) هو المحل الذي يسكنه المرء ويرجع إليه، وقوله تعالى

(١) التحرير والتنوير (٢٩٠/١٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (٧٢).

(٣) أصحاب يعقوب: قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما، فصار الإله هو المسيح. وهو

الظاهر بجسده، بل هو هو. الملل والنحل (٣٠/٢).

(٤) سورة النساء، الآية (٤٨، ١١٦).

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يحتمل أن يكون من قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل، ويحتمل أن يكون إخباراً مستأنفاً لمحمد ﷺ^(١).

السابع: من نبي الله هود الطيِّب إلى قومه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٢).

(يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا ولذلك نصب "هودًا"، لأنه معطوف به على (نوح) عليهما السلام قال هود: يا قوم، اعبدوا الله فأفردوا له العبادة، ولا تجعلوا معه إلهًا غيره، فإنه ليس لكم إله غيره ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ، ربكم فتحذرونه، وتخافون عقابه بعبادتكم غيره، وهو خالقكم ورازقكم دون كل ما سواه)^(٣).

الثامن: من نبي الله صالح الطيِّب إلى قومه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾^(٤).

(قوله تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ يعني: وأرسلنا إلى ثمود. وإنما لم ينصرف، لأنه اسم القبيلة، وفي الموضع الذي ينصرف جعله اسماً للقوم. ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وحدوا الله، وأطيعوه، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ يعني: ليس لكم رب غيره ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ﴾ يعني: هو الذي خَلَقَكُمْ، مِنَ الْأَرْضِ يعني: خلق آدم من أديم الأرض، وأنتم ولده.

(١) المحرر الوجيز (٢/٢٢١).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٦٥).

(٣) جامع البيان للطبري (١٢/٥٠٣).

(٤) سورة هود، الآية (٦١).

﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ يعني: أسكنكم وأنزلكم فيها، وأصله: أعماركم. يقال: أعمرته الدار إذا جعلتها له أبداً، وهي العُمري. وقال مجاهد: وَاسْتَعْمَرَكُمْ يعني: أطال عمركم فيها.

﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ﴾ يعني: توبوا من شرككم، ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ يعني: قريباً من دعاه، مجيباً بالإجابة لمن دعاه من أهل طاعته^(١).

التاسع: من شعيب عليه السلام إلى قومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾^(٢).

(يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ولد مدين أخاهم شعيباً، فلما أتاهم قال: ﴿ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾، يقول: أطيعوه، وتذلّلوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾، يقول: ما لكم من معبود سواه يستحقّ عليكم العبادة غيره ﴿ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾، يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم ﴿ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ ﴾.

واختلف أهل التأويل في (الخير) الذي أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين إنه يراهم به.

فقال بعضهم: كان ذلك رخص السعر وحذرهم غلاءه.

وقال آخرون: عنى بذلك: إني أرى لكم مالا وزينة من زين الدنيا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه، وذلك قوله: ﴿ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ ﴾، يعني بخير الدنيا. وقد يدخل في خير الدنيا، المال وزينة الحياة الدنيا،

(١) بحر العلوم للسمرقندي (١٥٧/٢-١٥٨).

(٢) سورة هود، الآية (٨٤).

ورخص السعر ولا دلالة على أنه عنى بقبيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض، فذلك على كل معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها.

وإنما قال ذلك شعيب، لأن قومه كانوا في سعة من عيشتهم ورخص من أسعارهم، كثيرة أموالهم، فقال لهم: لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلكم وموازينكم، فقد وسَّع الله عليكم رزقكم، ﴿وَرِئِي أَحَافٌ عَلَيْكُمْ﴾، بمخالفتكم أمر الله، وبمخسكم الناس أموالهم في مكاييلكم وموازينكم ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾، يقول: أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه^(١).

العاشر: من نبي الله سليمان عليه السلام إلى قومه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ لَنَا مِنَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(٢).

يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أباه ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والمملك الذي كان خصه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه.

وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس علمنا منكم من الطير، يعني فهمنا كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها.

وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ يقول: إن هذا الذي أوتينا من الخيرات هو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين، يقول: الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس^(٣).

(١) تفسير الطبري (٤٤٣/١٥-٤٤٥).

(٢) سورة النمل، الآية (١٦).

(٣) تفسير الطبري (٤٣٧/١٩-٤٣٨).

(٢) النداء من الأقوام إلى رسلهم:

أولاً: من قوم محمد ﷺ وهذا يمثل له بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾^(١).

وهذا النداء جاء في سياق خطاب المشركين للنبي ﷺ وتطاولهم على مقامه الشريف (الضمير في قالوا يراد به كفار قريش).

ويروى أن القائلين كانوا: عبد الله بن أبي أمية، والنضر بن الحارث، وأشباههما.

وقولهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ كلام على جهة الاستخفاف، أي بزعمك ودعواك، وهذه المخاطبة كما تقول لرجل جاهل أراد أن يتكلم فيما لا يحسن: يا أيها العالم لا تحسن تتوضأ^(٢).

(والذكر القرآن. وإنما قالوا هذا استهزاءً، لو أيقنوا أنه نُزِّلَ عليه الذكر، ما قالوا إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. قال أبو علي الفارسي^(٣): وجواب هذه الآية في سورة أخرى في قوله تعالى: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾^(٤)^(٥)).

(١) سورة الحجر، الآية (٦).

(٢) المحرر الوجيز ٣/٣٥١.

(٣) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، إمام من أئمة النحو واللغة، أخذ عن أبي علي الفارسي، مضرب المثل في حسن الخط، له مؤلفات عديدة منها: الصحاح، توفي سنة: ٣٩٣ هـ، وقيل سنة: ٤٠٠ هـ انظر: إنباه الرواة (٢/٢٢٩ - ٢٣٣)، سير أعلام النبلاء ٨٠/١٧، شذرات الذهب (٤/٤٩٧ - ٤٩٩)، الوافي بالوفيات للصفدي (٦٩/٩).

(٤) سورة القلم، الآية (٢).

(٥) زاد المسير في علم التفسير (٢/٥٢٤).

ثانيا: من قوم نبي الله إبراهيم عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾^(١).

وهذا النداء من ضمن المواجهات الشديدة التي دارت بين إبراهيم عليه السلام وقومه وذلك حينما أقدم على تكسير أصنامهم وكان من بين ما دار بينهم هذه المقولة وهم بذلك (طلبوا منه الاعتراف بذلك ليقدموا على إيذائه، فظهر منه ما انقلب الأمر عليهم حتى تمنوا الخلاص منه، فقال: بل فعله كبيرهم هذا وقد علق الفأس على رقبتك لكي يورد هذا القول فيظهر جهلهم في عبادة الأوثان)^(٢).

الثالث: من قوم نوح عليه السلام إليه وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾^(٣).

وهذا النداء صادر منهم له على جهة التملل منه وإظهار السامة وذلك لأن نبي الله نوحا عليه السلام بلغ فأحسن البلاغ وبالغ في دعائهم ونصحهم وهم لا يريدون منه نصحا.

﴿ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا ﴾ قال مقاتل^(٤): يعني: ماريتنا فأكثرت جدالنا يعني: مرأنا. وقال الكلبي^(٥): دعوتنا فأكثرت دعاءنا. ويقال: وعظمتنا فأكثرت موعظتنا.

(١) سورة الأنبياء، الآية (٦٢).

(٢) تفسير الرازي (١٥٥/٢٢).

(٣) سورة هود، الآية (٣٢).

(٤) مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني أبو الحسن وله تفسير مشهور ت ١٥٠ هـ طبقات المفسرين للداودي (ص ٢٠)

(٥) العلامة، الأخباري، أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، المفسر. وكان أيضا رأسا في الأنساب، إلا أنه

شيعي، متروك الحديث. ت ١٤٦ هـ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦/٢٤٨)، وطبقات المفسرين للداودي

(ص ١٧).

﴿ فَأَيْنَمَا تَعِدُنَا ﴾ يعني: لا نقبل موعظتك، فأتنا بما تعدنا من العذاب، إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ بأن العذاب نازل بنا^(١).

ولعلنا نلاحظ أن منطق الكفار على اختلاف أمكنتهم وأزمنتهم واحد لقد قال كفار مكة من بعدهم ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٢).

ألا ليتهم قالوا إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.

الرابع: من قوم موسى عليه السلام إليه في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُكَ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾^(٣).

وهذا النداء قد صدر منهم في ثنایا الحديث معهم حينما كان يحفزهم نبي الله موسى عليه السلام على دخول أرض القدس وهم يتعللون بعلل واهية ومنها هذا القول الذي قالوه.

و(الجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد ﴿ وَإِنَّا لَنَنذُرُكَ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾ بالقتال ﴿ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾ بغير قتال ﴿ فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾ بلا قتال، ﴿ فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ بلادهم حينئذ^(٤).

ولا شك أن قولهم هذا يدل على تمام خورهم وضعفهم، وإذا كان أعداؤهم سيخرجون وهم يدخلون بلا قتال فأبي فضل لهم وما الداعي من دخولهم إذا خرج الأعداء.

(١) بحر العلوم للسمرقندي (١٤٨/٢).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٢).

(٣) سورة المائدة، الآية (٢٢).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٤٣٩/١).

الخامس: من قوم نبي الله عيسى عليه السلام إليه وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

هذا المطلب صدر من هؤلاء القوم يريدون به آية على ما يقول، وسبق هذا الكلام من الله في سياق تذكير نبيه عيسى عليه السلام بنعمه عليه.

(قوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ فإذا إنَّ دعواهم كانت باطلة، وإنهم كانوا شاكين، وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته، ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها إن كنتم مؤمنين إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة.

والمائدة: الخوان إذا كان عليه الطعام، وهي من (مادّه) إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدّم إليه وَنُكُونٌ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة، عاكفين عليها، على أن عليها في موضع الحال، وكانت دعواهم لإرادة ما ذكروا كدعواهم الإيمان والإخلاص. وإنما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا)^(٢).

(وقال جمهور المفسرين: نزلت المائدة، ثم اختلفت الروايات في كيفية ذلك، فروى الشعبي عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: نزلت المائدة خبزاً وسمكاً، وقال عطية: المائدة سمكة فيها طعم كل طعام، قال ابن عباس نزل خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أين ما نزلوا إذا شأؤوا، وقاله وهب بن منبه، قال إسحاق بن عبد الله: نزلت المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، قال:

(١) سورة المائدة، الآية (١١٢).

(٢) تفسير الكشاف (١/٦٩٣).

فسرق منها بعضهم فرفعت، وقال عمار بن ياسر: سألوا عيسى عليه السلام مائدة يكون عليها طعام لا ينفد، فقبل لهم: فإنها مقيمة لكم وما لم تحبوا أو تخونوا، فإن فعلتم عذبتهم قال فما مضى يوم حتى خبؤوا وخانوا فمسحوا قرده وخنازير، وقال ابن عباس في المائدة أيضا، كان طعام ينزل عليهم حيث ما نزلوا، وقال عمار بن ياسر: نزلت المائدة عليها ثمار من ثمار الجنة، وقال ميسرة: كانت المائدة إذا وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليها الأيدي بكل طعام إلا اللحم.

وكثر الناس في قصص هذه المائدة بما رأيت اختصاره لعدم سنده وقال قوم: لا يصح أن لا تنزل المائدة لأن الله تعالى أخبر أنه منزلها^(١).

السادس: من قوم صالح عليه السلام وذلك في قوله تعالى ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴾^(٢).

العجيب من قوم صالح عليه السلام أنهم عكسوا القضية ظنوا أنهم يستطيعون دعوة صالح عليه السلام إلى ما يعتقدون وظنوا أنه سيستجيب لهم لذلك.

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾ يعني: كنا نرجو أن ترجع إلى ديننا قبل أن تدعونا إلى دين غير دين آبائنا، ﴿ أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴾ يعني: يربينا أمرك ودعاؤك إيانا إلى هذا الدين. ومعناه: إنا مريبون في أمرك^(٣).

(١) الخمر الوجيز لابن عطية (٢/٢٦١).

(٢) سورة هود، الآية (٦٢).

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٢/١٥٨).

السابع: من قوم شعيب عليه السلام إليه وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾^(١).

هذا الحوار دار بين شعيب عليه السلام وقومه وهو مليء بالسخرية منه ومن صلاحه.

و(في ﴿ صَلَاتِكَ ﴾ ثلاثة أوجه: أحدها: قراءتك، قاله الأعمش.

الثاني: صلاتك التي تصلها لله تعبدًا.

الثالث: دينك الذي تدين به وأمرت باتباعه لأن أصل الصلاة الاتباع.

﴿ تَأْمُرُكَ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: تدعوك إلى أمرنا.

الثاني: فيها أن تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا يعني من الأوثان والأصنام.

﴿ أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما كانوا عليه من البخس والتطفيف.

الثاني: الزكاة، كان يأمرهم بها فيمتنعون منها.

الثالث: قطع الدراهم والدنانير لأنه كان ينههم عنه.

﴿ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم قالوا ذلك استهزاء به.

الثاني: معناه أنك لست بحليم ولا رشيد على وجه النفي.

(١) سورة هود، الآية (٨٧).

الثالث: أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد على وجه والحقيقة وقالوا أنت حلیم رشید فلم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟ والحلم والرشد لا يقتضي منع المالك من فعل ما يشاء في ماله^(١).

الثامن: من قوم هود عليه السلام إليه وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢).

هذا النداء الصادر من قوم هود عليه السلام إنما صدر منهم جحوداً ونكراناً لما جاءهم به وأيقنوا بصدقه فكان كفرهم عن تعمد.

فقولهم: (مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ) كذب منهم وجحود، كما قالت قريش لرسول الله ﷺ: لولا أنزل عليه آية من ربه، مع فوت آياته الحصر^(٣).

و(قَوْلُهُمْ: (مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ) أي بحجة، والبينة سميت بينة لأنها تبين الحق من الباطل، ومن المعلوم أنه عليه السلام كان قد أظهر المعجزات إلا أن القوم بجهلهم أنكروها، وزعموا أنه ما جاء بشيء من المعجزات.

قوله: (وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ) وهذا يدل على الإصرار والتقليد والجحود^(٤).

التاسع: من قوم لوط عليه السلام إليه وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾^(٥).

(١) النكت والعيون للماوردي (٢/٤٩٦-٤٩٧).

(٢) سورة هود، الآية (٥٣).

(٣) الكشف للزمخشري (٢/٤٠٣).

(٤) التفسير الكبير للرازي (١٨/٣٦٤).

(٥) سورة الشعراء، الآية (١٦٧).

هذا النداء يدعو للعجب إذ إنه يدل على أن أهل الباطل لا يحبون وجود أهل الحق معهم بل يريدون أن يعم الباطل جميع الناس، والمنطق السليم عند أولى الألباب أن يقولوا كيف وصلت إلى الحق ودلنا على الوصول إليه.

قال قوم لوط: ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ ﴾ عن نهينا عن إتيان الذكران ﴿ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ من بين أظهرنا وبلدنا^(١).

وصدق ربي سبحانه: ﴿ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴾^(٢).

(٣) النداء من وإلى الملائكة ونضرب لذلك مثلاً مما صدر منهم وآخر مما وجه إليهم:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾^(٣).

(هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام عن أمر الله لهم بذلك، أن الله قد اصطفاها أي اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهارتها من الأكدار والوساوس، واصطفاها ثانياً مرة بعد مرة لجلالته على نساء العالمين)^(٤).

وأما ما وجه إلى الملائكة فيستشهد له بقوله تعالى: ﴿ وَادْعُوا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴾^(٥).

(١) تفسير الطبري (١٩/٣٨٨-٣٨٩).

(٢) سورة الزخرف، الآية (٧٨).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٤٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٣/٢).

(٥) سورة الزخرف، الآية (٧٧).

هذا نداء من أهل النار لحازنها يطلبون منه أن يطلب من ربهم أن يميتهم ليستريحوا من عناء النار وشقائها.

(ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم، فنالهم فيها من البلاء ما نالهم، مالكا خازن جهنم ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: ليمتنا ربك، فيفرغ من إمامتنا، فذكر أن مالكا لا يجيبهم في وقت قيلهم له ذلك، ويدعهم ألف عام بعد ذلك، ثم يجيبهم، فيقول لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَنكُوثُونَ﴾^(١).

(٤) نداء من الناس إلى أنفسهم:

أ- فرحا وسرورا قال الله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

هذا النداء الصادر من الرجل الصالح الذي سبق ذكره في نفس هذه السورة التي جاء فيها هذا النداء من قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣)، ونصحهم وبالغ في نصحه لهم غير أنهم قتلوه ولم يستجيبوا لنصحه وإرشاده: ﴿قِيلَ لَهُ فِي الْحَالِ: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ فَقَالَ مَخْبِرًا بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْكِرَامَةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَإِخْلَاصِهِ، وَنَاصِحًا لِقَوْمِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، كَمَا نَصَحَ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أي: بأي: شيء غفر لي، فأزال عني أنواع العقوبات، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ بأنواع المثوبات والمسرات، أي: لو وصل علم ذلك إلى قلوبهم، لم يقيموا على شركهم^(٤).

(١) تفسير الطبري (٢١/٦٤٠).

(٢) سورة يس، الآية (٢٦).

(٣) سورة يس، الآية (٢٠).

(٤) تفسير السعدي (ص ٦٩٤-٦٩٥).

ب- نداء من الناس إلى أنفسهم حسرة وندما:

قال الله تعالى: ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾^(١).

قوله عز وجل: ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها كتب الأعمال في أيدي العباد، قاله مقاتل.

الثاني: أنه وضع الحساب، قاله الكلبي، فعبر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة.

﴿ فَفَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ لأنه أحصاه الله ونسوه.

﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾.

وفي الصغيرة تأويلان: أحدهما: أنه الضحك، قاله ابن عباس.

الثاني: أنها صغائر الذنوب التي تغفر باجتناب كبائرهما.

وأما الكبيرة ففيها قولان:

أحدهما: ما جاء النص بتحريمه.

الثاني: ما قرن بالوعيد والحذِّ.

ويحتمل قولاً ثالثاً: أن الصغيرة الشهوة، والكبيرة العمل.

(١) سورة الكهف، الآية (٤٩).

قال قتادة: اشتكى القوم الإحصاء وما اشتكى أحد ظلماً، وإياكم المحقرات من الذنوب فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه.

﴿وَوَجِدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ (يحتمل تأويلين:

أحدهما: ووجدوا إحصاء ما عملوا حاضراً في الكتاب.

الثاني: ووجدوا جزاء ما عملوا عاجلاً في القيامة. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ يعني من طائع في نقصان ثوابه، أو عاص في زيادة عقابه^(١).

(٥) نداء من وإلى عباد الله الصالحين:

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يُجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾^(٢).

هذا الحوار دار بين ذي القرنين وجماعة من عباد الله الصالحين يطلبون منه العون على فئة بغت واستطالت عليهم ظلماً وزوراً.

اختلف الناس في ذي القرنين على أقوال:

(هو الإسكندر الذي ملك الدنيا، قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمrod وبختنصر وكان بعد نمrod وقيل كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه.

وقيل نبياً وقيل ملكاً من الملائكة.

(١) النكت والعيون للماوردي (٣/٣١٢-٣١٣).

(٢) سورة الكهف، الآية (٩٤).

وعن علي عليه السلام أنه قال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا فضرب عن قرنه الأمن في طاعة الله فمات ثم بعته الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعته الله فسمي ذا القرنين.

وقال عليه السلام: سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها.

وقيل: كان له قرنان أي صغيرتان أو انقرض في وقته قرنان من الناس؛ أو لأنه ملك الروم وفارس أو الترك والروم أو كان لتاجه قرنان أو على رأسه ما يشبه القرنين أو كان كريم الطرفين أبا وأما وكان من الروم^(١).

و(يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، وهما من ولد يافث. وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الجيل والديلم)^(٢).

(واختلف الناس في (إفسادهم) الذي وصفوهم به، فقيل: (إفسادهم): أكل بني آدم، وقالت فرقة (إفسادهم) إنما عندهم توقعاً، أي سيفسدون، فطلبوا وجه التحرز منهم، وقالت فرقة: (إفسادهم) هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلوم من البشر، وهذا أظهر الأقوال، لأن الطائفة الشاكية إنما تشكت من ضرر قد نالها، وقولهم فَهَلْ بُجَعِلُ لَكَ خَرْجاً استفهام على جهة حسن الأدب، و (الخرج):

المجبي، وهو الخراج، وقال قوم: الخرج: المال يخرج مرة، والخراج المجبي المتكرر، فعرضوا عليه أن يجمعوا له أموالاً يقيم بها أمر السد، قال ابن عباس خَرْجاً: أجراء^(٣).

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣١٦/٢). قلت: وهذه الأقوال لا دليل عليها.

(٢) الكشف للزمخشري (٧٤٦/٢).

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٤٢/٣) بتصرف.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^(١).

(ابتداء لقمان لموعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل. وكان أصل فساد الاعتقاد أحد أمرين هما الدهرية والإشراك، فكان قوله لا تشرك بالله يفيد إثبات وجود إله وإبطال أن يكون له شريك في إلهيته.

وجملة ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ تعليل للنهي عنه وتحويل الأمر، فإنه ظلم لحقوق الخالق، وظلم المرء لنفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظلم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم، وظلم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها)^(٢).

(٦) نداء من النساء وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنَّي أَخْتَلِفُ أَيُّكُمْ كَرِيمٌ ﴾^(٣).

هذا النداء من بلقيس إلى جندها وخاصة قومها وهو ضمن حديث جرى بينها وبينهم.

و(قوله): ﴿ كَرِيمٌ ﴾ ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: حُسْنُ مَضْمُونِهِ وَمَا فِيهِ.

وثانيها: وصفته بِالكَرِيمِ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ مَلِكٍ كَرِيمٍ.

وثالثها: أَنَّ الْكِتَابَ كَانَ مَخْتُومًا.

(١) سورة لقمان، الآية (١٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٥٥/٢١).

(٣) سورة النمل، الآية (٢٩).

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (كَرَّمَ الْكِتَابَ حَتْمُهُ) ^(١) وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (يَكْتُبُ إِلَى الْعَجَمِ، فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ إِلَّا كِتَابًا عَلَيْهِ خَاتَمٌ فَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ خَاتَمًا) ^{(٢)(٣)}.

ولنتأمل في صدق امرأة جمعت بين نقيصتين: نقيصة الشرك والأنوثة كان سببا في إيمانها وإيمان من معها، ولو أنها قالت كما قال بعض الرجال " ما أريكم إلا ما أرى " لكانت عاقبتها كعاقبته فسبحان من وفق امرأة وخذل رجلا عطل عقله وانقاد وراء هواه.

(٧) نداء من الحيوانات ويمثل لهذا بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَنْوَأَ عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُم لَّا يُحِطُّ بِكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ ۗ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٤).

هذا النداء جاء في سياق الحديث عن تفقد سليمان مملكته من الجن والإنس والطير وأثناء سيره مر على واد من النمل فقالت نملة منه هذا القول.

(قوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَنْوَأَ عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾ وذلك أن سليمان كان له بساط فرسخ في فرسخ، ويقال: أربع فراسخ في أربع فراسخ، وكان يضع عليه كرسيه وجميع عساكره عليه، ثم

(١) رواه القضاعي من حديث محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي محمد بن السائب عن أبي صالح مولى أم هاني عن ابن عباس مرفوعا بهذا بزيادة وهو قوله تعالى ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَىٰ كِتَابِ كَرِيمٍ ﴾ ومن هذا الوجه أخرج الطبراني في الأوسط، بل رواه أيضا من حديث السدي أيضا عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، والسدي راويه من الوجهين متروك. المقاصد الحسنة (ص ٥٠٤) فعليه الحديث لا يصح. انظر: أيضا كشف الخفاء ت هندراوي (١٢٨/٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الأحكام - باب الشهادة على الخط المختوم، وما يجوز من ذلك وما يضيق عليهم، وكتاب الحاكم إلى عامله والقاضي إلى القاضي حديث رقم (٧١٦٢) من طريق أنس بن مالك، بلفظ قال: لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم، قالوا: إنهم لا يقرءون كتابا إلا مختوما، " فاتخذ النبي ﷺ خاتما من فضة، كأني انظر: إلى ويبصه، ونقشه: محمد رسول الله " والحديث أخرجه مسلم - كتاب الباس والزينة - باب في اتخاذ النبي ﷺ خاتما لما أراد أن يكتب إلى العجم حديث رقم (٥٦).

(٣) التفسير الكبير للرازي (٥٥٤/٢٤).

(٤) سورة النمل، الآية (١٨).

يأمر الريح فترفعه، وتذهب به مسيرة شهر في ساعة واحدة. فركب ذات يوم في جموعه، فمر بواد النمل في أرض الشام. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمُ﴾ يعني: في بيوتكم، ويقال: حجركم ﴿لَا يَحِطُّمَنَّكُمْ﴾ أي لا يهلككنكم، ويقال: لا يكسرركم سُليمانُ وَجُنُودُهُ بأن يظلموكم.

وإنما خاطبهم بقوله ﴿ادْخُلُوا﴾ بخطاب العقلاء، لأنه حكى عنهم ما يحكى عن العقلاء، ثم قال: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني: قوم سليمان لا يشعرون بكم ولو كانوا يشعرون بكم، لا يحطمونكم لأنهم علموا أن سليمان ملك عادل لابغي فيه ولا جور فيه، ولئن علم بها لم توطأ.

ويقال: وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يعني: جنوده خاصة، لأنه علم أن سليمان يعلم بمكانه ويتعاهده.

ويقال: وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يعني: النمل لا يشعرون بجنود سليمان حتى أخبرتهم النملة المنذرة، فرفع الريح صوتها إلى سليمان. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا كما يكون ضحك الأنبياء عليهم السلام، وإنما ضحك من ثنائها على سليمان بعدله في ملكه، يعني: أنه لو شعر بكم لم يحطمنكم. ويقال: فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا أي متعجباً. ويقال: فرحاً بما أنعم الله تعالى عليه^(١).

(٨) نداء من قوم مريم عليها السلام:

وذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَأَخَّتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾^(٢).

وهذا الخطاب إنما وجه إلى مريم عليها السلام حينما جاءت بوليدها تحمله بين يديها ولم تكن ذات زوج فعجب قومها من ذلك:

(قوله تعالى: ﴿يَتَأَخَّتَ هَرُونَ﴾ في المراد بهارون هذا خمسة أقوال:

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٥٧٦/٢).

(٢) سورة مريم، الآية (٢٨).

أحدها: أنه أخ لها من أمِّها، وكان من أمثل فتى في بني إسرائيل.

عن ابن عباس. وقال الضحاك: كان من أبيها وأمِّها.

والثاني: أنها كانت من بني هارون، قاله الضحاك عن ابن عباس. وقال السدي^(١): كانت من

بني هارون أخي موسى عليهما السلام، فنُسبت إليه، لأنها من ولده.

والثالث: أنه رجل صالح كان من بني إسرائيل، فشَبَّهوها به في الصلاح، وهذا مروى عن ابن

عباس أيضاً، وقتادة، ويدل عليه ما روى المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل

نجران، فقالوا: أستم تقرأون: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾ وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟ فلم

أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون

بأنبيائهم والصالحين قبلهم)^(٢).

والرابع: أن قوم هارون كان فيهم فُسَّاقٌ وُزُنَاةٌ، فنسبوا إليهم، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: أنه رجل من فُسَّاقِ بني إسرائيل شَبَّهوها به، قاله وهب بن منبه.

فعلى هذا يخرج في معنى «الأخت» قولان:

أحدهما: أنها الأخت حقيقة.

والثاني: المشابهة، لا المناسبة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ

أُخْتِهَا﴾^(٣).

(١) أبو محمد الحجازي إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ابن أبي كريمة، الإمام، المفسر، ثم الكوفي، الأعور، أحد موالي قريش. ت ١٢٧ هـ. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/٢٦٤) و طبقات المفسرين للدودي (ص ١٥).

(٢) أخرجه مسلم - كتاب الآداب - باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء حديث رقم (٩).

(٣) سورة الزخرف، الآية (٤٨).

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ ﴾ يعنون: عمران امرأ سوء أي: زانياً ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ ﴾ حنة

﴿ بَغِيًّا ﴾ زانية، فمن أين لك هذا الولد؟! (١).

(٩) نداء من الجن وهذا يمثل له بقوله تعالى:

﴿ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

(يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الذين صُرفوا إلى رسول الله ﷺ من الجن لقومهم لما انصرفوا إليهم من عند رسول الله ﷺ: ﴿ يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يقول: يصدق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على رُسله.

وقوله ﴿ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ﴾ يقول: يرشد إلى الصواب، ويدل على ما فيه الله رضا ﴿ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يقول: وإلى طريق لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام (٣).

(١٠) نداء من الشيطان لآدم عليه السلام ويمثل له بقوله تعالى ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (٤).

قوله: ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ قد تقدم أنه (دلاهما بغرور) ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٥).

(١) زاد المسير لابن الجوزي (١٢٩/٣).

(٢) سورة الأحقاف، الآية (٣٠).

(٣) تفسير الطبري (١٤٠/٢٢).

(٤) سورة طه، الآية (١٢٠).

(٥) سورة الأعراف، الآية (٢١).

وقد تقدم أن الله تعالى عهد إلى آدم وزوجه أن يأكلا من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة، فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها وكانت شجرة الخلد، يعني التي من أكل منها خلد ودام مكنته، وقد جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد، فقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة عن أبي الضحاك، سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال:

(إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، وهي شجرة الخلد)^(١)(٢).

(١١) نداء من فرعون ويمثل له بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٣).

وهذا النداء جاء من فرعون إلى وزيره في سياق حديث بينهما في أمر نبي الله موسى ﷺ وهذا الحوار يكشف عن جهل وصلف وغرور من فرعون الذي ينكر إلهية الله عز وجل ويريد أن يطلع إلى إله العالمين ليقنته.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده أي مالكم من إله غيري أو هو على ظاهره وأن إلهاً غيره غير معلوم عنده ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ ﴾ أي اطبخ لي الآجر واتخذه وإنما لم يقل مكان الطين هذا لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة بهذه العبارة ولأنه أفصح وأشبهه بكلام الجبارة إذ أمر هامان وهو وزيره بالإيقاد على الطين منادي باسمه بـ"يا" في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر ﴿ فَاجْعَل لِي صَرْحًا ﴾ قصراً عالياً ﴿ لَعَلِّي أَطَّلِعُ ﴾ أي أصعد والاطلاع الصعود ﴿ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد (مسند أبي هريرة) حديث رقم (٩٩٥٠) والحديث في صحيح البخاري دون قوله (وهي شجرة الخلد) فهي رواية ضعيفة انظر: مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون (١٦ / ٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير ٥ (٢٨٢/٢٨٢).

(٣) سورة القصص، الآية (٣٨).

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أي موسى ﴿مِنَ الْكٰذِبِينَ﴾ في دعواه أن له إلهاً وأنه أرسله إلينا رسولاً، وقد تناقض المخدول فإنه قال ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلٰهِ غَيْرِي﴾ ثم أظهر حاجته إلى هامان وأثبت لموسى إلهاً وأخبر أنه غير متيقن بكذبه وكأنه تحصن من عصا موسى عليه السلام فليس وقال لعلى أطلع إلى إله موسى روي أن هامان جمع خمسين ألف بناء وبني صرحاً لم يبلغه بناء أحد من الخلق فضرب الصرح جبريل عليه السلام بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا هلك^(١).

(١٢) النداء في قصة يوسف عليه السلام وقد ورد في ستة عشر موضعاً، أكتفي بعرض مثال واحد في ذلك قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وهذا النداء صدر من إخوة يوسف حينما اتخذ حيلة لأخذ أخيه منهم.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ أي في السن أو القدر، ذكروا له حاله استعطافاً له عليه.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ بدله فإن أباه ثكلان على أخيه المهالك مستأنس به.

﴿إِنَّا نَرٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إلينا فأتمم إحسانك، أو من المعتودين بالإحسان فلا تغير عادتك^(٣).

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٦٤٤/٢) بتصرف.

(٢) سورة يوسف، الآية (٧٨).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١٧٢/٣.

المبحث الثالث

أقسام النداء باعتبار أغراضه

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: نداء المدح.

المطلب الثاني: نداء الذم

المطلب الثالث: نداء التنبيه

المطلب الرابع: نداء الإضافة

المطلب الخامس: نداء النسبة

المطلب السادس: نداء التسمية

المبحث الثالث

أقسام النداء باعتبار أغراضه

ذكر العلماء أن النداء ينقسم باعتبار أغراضه إلى ستة أقسام.

قال أبو الليث السمرقندي^(١): (اعلم أن النداء في القرآن على ستة مراتب نداء مدح ونداء ذم ونداء تنبيه ونداء إضافة ونداء نسبة ونداء تسمية)^(٢).

(١) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الليث السمرقندي الإمام، الفقيه، المحدث، الزاهد، إمام الهدى وكان له تفسير القرآن وكتاب النوازل في الفقه وخزانة الأكمل وتنبيه الغافلين وبستان العارفين ت ٣٣٩ هـ طبقات المفسرين

للداودي (ص ٩١) و سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣٢٢/١٦)

(٢) بحر العلوم (٥٩/١)

المطلب الأول

نداء المدح

المدح هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا^(١).

فالمدح هو أن تثني على الممدوح بما فيه من الصفات الجميلة حليقة كانت أو اختيارية، وعليه فنداء المدح هو نداء الثناء والكرامة والتشريف والتعظيم.

مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾^(٣).

قال السيوطي: (خطاب الكرامة كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾)^(٤).

ولقد افتتحت سورة الأحزاب بهذا النداء لسيد الخلق ﷺ وبهذا الوصف الكريم، على سبيل التشريف والتعظيم.

قال أبو حيان في تفسيره «البحر المحيط» ما نصّه: «نداء النبي ﷺ ب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ هو على سبيل التشريف والتكرمة، والتنويه بمحلّه وفضيلته»^(٥).

(١) التعريفات (٢٦٥/١).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١).

(٣) سورة المائدة، الآية (٦٧).

(٤) الإتيان في علوم القرآن (١١١/٣).

(٥) البحر المحيط (٢٠٧/٧)، وانظر: الكشاف (ص ٨٤٦) والتسهيل لعلوم التنزيل (٣٥٦/٢) والتفسير الوسيط

(١٦٩/١١) وغرائب القرآن وغرائب الفرقان (٥٩٢/٢).

و قال أبو الليث السمرقندي: (فأما نداء المدح فمثل قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ﴾^(١).

(١) بحر العلوم (٥٩/١)

المطلب الثاني

نداء الذم

قال الرازي في مختاره " الذمُّ ضد المدح وقد ذمُّه من باب رد فهو ذَمِيمٌ " (١).

ونداء الذم هو نداء اللوم والعيب والتوبيخ والإهانة.

قال السيوطي: (خطاب الذم نحو: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْنِدِرُوا الْيَوْمَ﴾ ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ولتضمنه الإهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين وأكثر الخطاب ب ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على المواجهة وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة إعراضاً عنهم كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٢).

قال السعدي: (أي: يوبخ أهل النار يوم القيامة بهذا التوبيخ فيقال لهم: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْنِدِرُوا الْيَوْمَ﴾ (أي: فإنه ذهب وقت الاعتذار، وزال نفعه، فلم يبق الآن إلا الجزاء على الأعمال، وأنتم لم تقدموا إلا الكفر بالله، والتكذيب بآياته، ومحاربة رسله وأوليائه) (٣).

(١) مختار الصحاح (١/٢٢٦).

(٢) الإتيان في علوم القرآن (٣/١١٠).

(٣) تفسير السعدي (١/٨٧٤).

قال ابن عاشور^(١) ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ فَتَرْوُونَ﴾ (١) لآعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿﴾ افتتاحها ب ﴿قُلْ﴾ للاهتمام بما بعد القول بأنه كلام يراد إبلاغه إلى الناس بوجه خاص منصوص فيه على أنه مرسل بقول يبلغه وإلا فإن القرآن كله مأمور بإبلاغه، ولهذه الآية نظائر في القرآن مفتوحة بالأمر بالقول في غير جواب عن سؤال منها ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ هَادُوا وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ في [سورة الجمعة: ٦]. والسور المفتوحة بالأمر بالقول خمس سور: ﴿قُلْ أَوْحَى﴾ [الجن: ١]، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوذتان، فالثلاث الأول لقول يبلغه، والمعوذتان لقول يقوله لتعويذ نفسه.

والنداء موجه للأربعة الذين قالوا للنبي ﷺ: فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد، كما في خبر سبب النزول وذلك الذي يقتضيه قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ كما سيأتي. وابتدئ خطابهم بالنداء لإبلاغهم، لأن النداء يستدعي إقبال أذهانهم على ما سيلقي عليهم. ونودوا بوصف الكافرين تحقيراً لهم وتأيداً لوجه التبرؤ منهم وإيداناً بأنه لا يخشاهم إذا ناداهم بما يكرهون مما يثير غضبهم لأن الله كفاه إياهم وعصمه من أذاهم^(٢)

قال أبو الليث السمرقندي: (ونداء الدم مثل قوله تعالى ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿يَتَّيِبُهَا﴾) (٣).

(١) محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشرف تونس وكبير علمائها. ولي قضاءها ثم الفتيا فنقابة الأشراف. وتوفي بتونس. له كتب منها حاشية على القطر لابن هشام، في النحو وغيره ت ١٢٨٤هـ الأعلام للزركلي (١٧٣/٦) و معجم المؤلفين (١٠١/١٠).

(٢) التحرير والتنوير (٥٠٩/٣٠-٥١٠).

(٣) بحر العلوم. (٥٩/١).

قال البقاعي^(١) عند قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾^(٢):

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي تدينوا باليهودية^(٣).

قال الآلوسي: (وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم أن يقول لهم إظهارا لكذبهم فإنهم كانوا

يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون أن الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون: ﴿لَنْ يَدْخُلَ

الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾^(٤).

(١) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، برهان الدين أبو الحسن، العلامة المحدث

الحافظ. وله تصانيف كثيرة حسنة منها كتاب "الجواهر والدرر في مناسبة الآي والسور" و "النكت على شرح ألفية

العراقي" ت ٨٨٥هـ طبقات المفسرين للداودي (ص ٣٤٨) و نظم العقيان في أعيان الأعيان (ص ٢٤)

(٢) سورة الجمعة، الآية (٦).

(٣) نظم الدرر (٧/٩٢٣)

(٤) روح المعاني (٢٨/٩٦)

المطلب الثالث

نداء التنبيه

قال الجرجاني^(١): (التنبيه في اللغة: هو الدلالة عما غفل عنه المخاطب وفي الاصطلاح ما يفهم من مجمل بأدنى تأمل إعلاما بما في ضمير المتكلم للمخاطب)^(٢).

فنداء التنبيه: دعاء المخاطب و إعلامه بما في ضمير المتكلم.

قال أبو الليث السمرقندي: (ونداء التنبيه مثل قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾^(٣) ثم قال عند قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٤).

فهاهنا ذكر نداء التنبيه فقال ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أخبر بالنداء أنه يريد أن يأمر أمرا أو ينهى عن شيء ثم بين الأمر فقال ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ يعني وحدوا وأطيعوا ربكم ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ معناه أطيعوا ربكم الذي هو خالقكم فخلقكم ولم تكونوا شيئا ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني وخلق الذين من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعصية وتنجون من العقوبة)^(٥).

(١) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، عالم بالعربية، له مؤلفات عديدة منها: التعريفات، حاشية على تفسير البيضاوي، ت ٨١٦ هـ. انظر: بغية الوعاة (١٩٦/٢)، الأعلام للزركلي (٧/٥)، معجم المؤلفين (٢١٦/٧).

(٢) التعريفات (٩٣/١).

(٣) بحر العلوم (٥٩/١).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٥) المرجع السابق (٥٩/١).

قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(١): " هذا تهديد، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب؛ حيث قال: ﴿الْكَرِيمِ﴾ حتى يقول قائلهم: غره كرمه. بل المعنى في هذه الآية: ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم-أي: العظيم-حتى أقدمت على معصيته، وقابلته بما لا يليق؟ كما جاء في الحديث: "يقول الله يوم القيامة: ابن آدم، ما غرك بي؟ ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟"^(٢)^(٣).

والمقصود بالنداء هنا: التنبيه إلى ما سيأتي بعده من توجيهات، وليس المقصود به طلب الإقبال على شيء معين^(٤).

(١) سورة الانفطار، الآية (٦).

(٢) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (٤٩٨/٢)، والمعجم الطبراني (١٤٣/١)، والمجالسة وجواهر العلم (٣٠٠/١)، وقال محققه مشهور حسن سلمان: إسناده ضعيف.

(٣) تفسير ابن كثير/ (٣٤١/٨).

(٤) انظر: الوسيط لسيد طنطاوي (٤٤٥٧/١).

المطلب الرابع

نداء الإضافة

الإضافة: هي لغةً: مطلق إسنادٍ لشيءٍ أي إمالته له، أو نسبته إليه، واصطلاحاً: نسبة تقييدية بين اثنين توجب لثانيهما الجر أبداً وإن شئت قلت: إسناد اسم لآخر منزلاً الثاني من الأول منزلة التنوين، أو ما يقوم مقامه كنون الجمع في لزومه لحالة واحدة وهي الجر أبداً ويسمى الأول مضافاً والثاني مضافاً إليه، وقيل بالعكس، وقيل: كل منهما لكل منها^(١).

فنداء الإضافة: هو نداء اسم مسند لاسم آخر.

مثل قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِ﴾ و ﴿يَتَاهَلُ الْكُتُبِ﴾.

قال ابن عاشور (وذكر المؤمنين بوصف العبودية المضافة لله تعالى تنويه بهم وتقريب، وذلك اصطلاح غالب في القرآن في إطلاق العبد والعباد مضافا إلى ضميره تعالى كقوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧] ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [ص: ٤٥] ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨]، وربما أطلق العبد غير مضاف مراد به التقريب أيضا كقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ [ص: ٣٠]، أي العبد لله، ألا ترى أنه لما أريد ذكر قوم من عباد الله من المشركين لم يؤت بلفظ العباد مضافا كما في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الاسراء: ٥] إلا بقرينة مقام

(١) حاشية الخضري على ابن عقيل (٢٥/٢).

التوبيخ في قوله: ﴿ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ [الفرقان: ١٧] لأن صفة الإضلال قرينة على أن الإضافة ليست للتقريب، وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] فقرينة التغليب هي مناط استثناء الغاوين من قوله: ﴿عِبَادِي﴾ وينسب إلى الشافعي:

ومما زادني شرفا وفخرا... وكدت بأخصمي أطأ الثريا.

دخولي تحت قولك {يا عبادي}... وأن أرسلت أحمد لي نبيا.

والمراد بهم هنا الذين آمنوا بالنبي ﷺ فإنهم الذين يخطرون بالبال عند ذكر أحوال المشركين الذين كفروا به وقالوا فيه ما هو منه بريء خطور الضد بذكر ضده^(١).

قال الواحدي^(٢) في تفسيره قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٨) وقال في هذه السورة ﴿يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٧٠)^(٤) هناك خاطبهم تطفئا في استدعائهم إلى الحق، بأن وجه الخطاب إليهم، وههنا وجه الخطاب إلى غيرهم إهانة لهم لصدهم عن الحق.

فإن قيل: لم جاز أن يقال لليهود والنصارى (أهل الكتاب)، وهم لا يعملون به، ولم يجوز مثل ذلك في أهل القرآن؟

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٢٣).

(٢) علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان واحد عصره في التفسير، وصنف التفاسير الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول ت ٤٦٨ هـ طبقات المفسرين للداودي (ص ١٢٧) و شذرات

الذهب في أخبار من ذهب (٢٩١/٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٩٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية (٧٠).

قيل: إن القرآن (اسم) خاص لما أنزل على محمد ﷺ، فأما الكتاب فيجوز أن يذهب به إلى معنى: يا أهل الكتاب المحرف عن جهته.

وأيضاً فإنهم نسبوا إلى الكتاب، احتجاجاً عليهم بالكتاب لإقرارهم به كأنه قيل يا من يقر بأنه من أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله؟^(١).

(١) التفسير البسيط للواحدى (٤٥٤/٥)

المطلب الخامس

نداء النسبة

قال الجرجاني النسبة: إيقاع التعلق بين الشيعين، والنسبة الثبوتية ثبوت شيء لشيء على وجه هو هو^(١).

وقال الراغب: (النسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان:

نسب بالطول كالأشتراك من الآباء والأبناء. ونسب بالعرض كالنسبة بين بني الإخوة، وبني الأعمام. قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. وقيل: فلان نسيب فلان. أي: قريبه، وتستعمل النسبة في مقدارين متجانسين بعض التجانس يختص كل واحد منهما بالآخر، ومنه: النسيب، وهو الانتساب في الشعر إلى المرأة بذكر العشق، يقال: نسب الشاعر بالمرأة نسبا ونسيبا^(٢).

وعليه فنداء النسبة: هو دعاء الانتساب لمن هو مشترك في هذه النسبة ومختص بها.

قال أبو الليث السمرقندي (ونداء النسبة مثل قوله تعالى ﴿يَبْنَىٰٓ ءَادَمَ﴾ ﴿يَبْنَىٰٓ﴾) **إِسْرَائِيلَ**^(٣).

(١) التعريفات (٣٠٨/١).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن. نسخة محققة (٤٢٢/٢).

(٣) بحر العلوم. (٥٩/١).

قال الطبري: (القول في تأويل قوله: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾).

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره معرّفًا خلقه ما أعدّ لحزبه وأهل طاعته والإيمان به وبرسوله، وما أعدّ لحزب الشيطان وأوليائه والكافرين به وبرسوله: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، يقول: إن يجئكم رسلي الذين أرسلهم إليكم بدعائكم إلى طاعتي، والانتهاء إلى أمري ونهيي ﴿مِّنكُمْ﴾، يعني: من أنفسكم، ومن عشائركم وقبائلكم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾، يقول: يتلون عليكم آيات كتابي، ويعرّفونكم أدلتي وأعلامي على صدق ما جاؤوكم به من عندي، وحقيقة ما دعوكم إليه من توحيدي ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ﴾، يقول: فمن آمن منكم بما أتاه به رُسلي مما قص عليه من آياتي وصدّق، واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله ﴿وَأَصْلَحَ﴾، يقول: وأصلح أعماله التي كان لها مفسدًا قبل ذلك من معاصي الله بالتحوُّب منها ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها، وشهواتهم التي تجنّبوها، اتباعًا منهم لنهي الله عنها، إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك^(١).

قال البقاعي: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ﴾ أي فلم أحصكم بذلك عن أبناء غير نوعكم ليكون ذلك التخصيص حاملاً لكم على العصيان بل ليكون موجباً للطاعات والعرفان^(٢).

(١) تفسير الطبري (٤٠٦/١٢).

(٢) نظم الدرر (٣٩٤/٦).

المطلب السادس

نداء التسمية

قال الجرجاني (الاسم: ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة وهو ينقسم إلى اسم عين وهو الدال على معنى يقوم بذاته كزيد و عمرو و إلى اسم معنى وهو ما لا يقوم بذاته سواء كان معناه وجوديا كالعلم أو عدميا كالجهل)^(١).

ونداء التسمية: هو نداء الاسم.

قال أبو الليث السمرقندي: (ونداء التسمية مثل قوله تعالى " يا داود " " يا إبراهيم ")^(٢).

والمتأمل لنداءات النبي ﷺ في القرآن الكريم، يجد أن الله سبحانه لم يناده باسمه العلم لحكمة عظيمة. ولذلك جعل - سبحانه - نداءه بالنبي والرسول في قوله: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ. يا أَيُّهَا الرَّسُولُ وترك نداءه باسمه، كما قال: يا آدم، يا موسى، يا عيسى، يا داود: كرامة له وتشريفاً، وتنويهاً بفضله^(٣).

(١) التعريفات (٤٠/١).

(٢) بحر العلوم (٥٩/١).

(٣) انظر: الكشاف (ص ١٤٦) و التسهيل لعلوم التنزيل (٣٥٦/٢) والتفسير الوسيط (١٦٩/١١).

المبحث الرابع

المخاطبون بندااء الناس في القرآن الكريم

المقرر عند أهل الأصول أن ألفاظ العموم أقسام:

(أحدها: «ما عرف باللام غير العهدية»، أي: التي ليست للعهد، وهو يعني هذا القسم - من ألفاظ العموم إما لفظ واحد، نحو: السارق والسارقة، أو جمع، ثم الجمع إما أن يكون له واحد من لفظه، كالمسلمين والمشركين، والذين جمع الذي، نحو: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أو لا يكون له واحد من لفظه، كالناس والحيوان والماء والتراب، إذ لا يقال فيه: ناسة، ولا حيوانة، ولا ماءة، ولا ترابة؛ لأن هذه ألفاظ وضعت لتدل على جنس مدلولها لا على آحاده منفردة^(١). قال الدكتور سعد الشثري في شرحه لمختصر الروضة): والعموم في لغة العرب له ألفاظ محددة، إذا ورد واحد منها دلنا ذلك على أن الحكم يشمل جميع الداخلين في الاسم العام، بحيث يشمل كل فرد على جهة الاستقلال.

وذكر المؤلف هنا الألفاظ التي تفيد العموم بنفسها بدون حاجة إلى قرينة، وهذا القول القائل بأن العموم له ألفاظ تدل عليه بنفسها هو قول جماهير الأمة سواء كانوا من أهل السنة أو من غيرهم، قالوا: إن العموم يؤخذ من ألفاظ محددة، ذكر المؤلف منها خمسة أقسام:

(١) شرح مختصر الروضة (٢/٤٦٦).

القسم الأول: المعرف ب (ال) الجنسية، و (ال) هنا قد تكون للجنس مثل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(١) فإنه لا يراد بها أناس معينون وإنما يراد بها جميع الأفراد، ولذلك يقال: إن (ال) هنا هي (ال الجنسية)، بينما قد ترد (ال) ولا يراد الجنسية وإنما يراد بها (ال) العهدية، كما في قوله تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾^(٢).

فهنا الألف واللام ليست لجنس الرسل، وإنما يقصد بها رسول معين هو موسى عليه السلام. والأصل في (ال) أن تكون للجنس، وأن تفيد العموم، إلا أن يرد معها دليل أو قرينة. سواء كانت قرينة لفظية أو قرينة حالية. تدل على أن المراد (ال) العهدية وليست الجنسية^(٣) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٤). وسائر الخطاب الوارد بلفظ الناس، وهو عام في المؤمنين والكفار، بل هو في الأصل للكفار، لأن العالم كلهم كانوا كفارا قبل ورود الخطاب، فلما ورد لم يرد إلا على كافر، فهدى الله سبحانه وتعالى لاتباعه بعضا دون بعض^(٥).

قال شيخ الإسلام^(٦): (وكذلك في سائر الآيات إذا تأملته إلى قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٧) الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

(١) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٢) سورة المزمل، الآية (١٦).

(٣) شرح مختصر الروضة للشثري (١/٤٨٤-٤٨٥).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٥) شرح مختصر الروضة للتركي (١/٢٠٩).

(٦) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية شيخنا الإمام تقي الدين أبو العباس الحراني، فريد العصر علما ومعرفة وذكاء وحفظا وكرما وزهدا وفرط شجاعة وكثرة تأليف والله يصلحه ويسدده ت ٧٢٨هـ

معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/٥٦).

فمن الذين خرجوا من هذا العموم الثاني فلم يخلقهم الله له؟^(١).

وقد ذكر الأصوليون مسائل مهمة منها: ورود الخطاب على لسان الرسول ﷺ هل يدخل فيه.

قال الآمدي^(٢): (ورود الخطاب على لسان الرسول ﷺ بقوله: "يا أيها الذين آمنوا يا أيها الناس يا عبادي" "يدخل الرسول في عمومهم عندنا وعند أكثر العلماء خلافاً لطائفة من الفقهاء والمتكلمين ومنهم من قال: كل خطاب ورد مطلقاً ولم يكن الرسول مأموراً في أوله يأمر الأمة به كهذه الآيات فهو داخل فيه وإليه ذهب أبو بكر الصيرفي^(٣) والحليمي^(٤) من أصحاب الشافعي، حجة من قال: يدخل في العموم وهو المختار حجتان.

الأولى: أن هذه الصيغ عامة لكل إنسان وكل مؤمن وكل عبد، والنبي ﷺ سيد الناس والمؤمنين، والعبادة والنبوة غير مخرجة له عن إطلاق هذه الأسماء عليه فلا تكون مخرجة له عن هذه العمومات.

الحجة الثانية: أنه ﷺ كان إذا أمر الصحابة بأمر وتخلف عنه ولم يفعله فإنهم كانوا يسألونه ما بالك لم تفعله؟ ولو لم يعقلوا دخوله فيما أمرهم به لما سألوه عن ذلك وذلك كما روي عنه ﷺ

(١) مجموع الفتاوى (٤٤٣/٦).

(٢) أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي، الملقب سيف الدين الآمدي، الآمدي نسبة إلى آمد، وهي مدينة كبيرة في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم (ت ٦٣١ هـ) وفيات الأعيان (٢٩٣/٣) و سير أعلام النبلاء (٣٦٤/٢٢).

(٣) هو محمد بن عبد الله أبو بكر الصيرفي الفقيه الأصولي أحد أصحاب الوجوه في الفروع والمقالات في الأصول، تفقه على ابن سريج. قال القفال الشاشي كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي، قال الشيخ أبو إسحاق وله مصنفات في أصول الفقه وغيرها توفي بمصر سنة (٣٣٠). انظر: طبقات الشافعية (١١٦/١-١١٧).

(٤) أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني؛ ولد بجرجان سنة ثمان ثمان وثلاثين وثلثمائة، وحمل إلى بخاري، وكتب الحديث عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حبيب وغيره، وتفقه على أبي بكر الأودني وأبي بكر القفال، ثم صار إماماً معظماً مرجوعاً إليه بما وراء، انظر: وفيات الأعيان (١٣٧/٢).

أنه أمر أصحابه بفسخ الحج إلى العمرة ولم يفسخ فقالوا له: أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ ولم ينكر عليهم ما فهموه من دخوله في ذلك الأمر بل عدل إلى الاعتذار وهو قوله: إني قلدت هدياً^(١) وروي عنه أنه قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة^(٢).

ومن المسائل الخطاب الوارد شفاهاً في زمن النبي ﷺ والأوامر العامة كقوله تعالى: "يا أيها الناس ويا أيها الذين آمنوا" ونحوه هل يخص الموجودين في زمنه أو هو عام لهم ولمن بعدهم؟ اختلفوا فيه:

فذهب أكثر أصحابنا وأصحاب أبي حنيفة والمعتزلة إلى اختصاصه بالموجودين في زمن رسول الله ﷺ ولا يثبت حكمه في حق من بعدهم إلا بدليل آخر.

وذهبت الحنابلة وطائفة من السالفين والفقهاء إلى تناول ذلك لمن وجد بعد عصر النبي ﷺ. حجة النافين من وجهين:

الأول: أن المخاطبة شفاهاً بقوله تعالى: "يا أيها الناس ويا أيها الذين آمنوا" تستدعي كون المخاطب موجوداً أهلاً للخطاب إنساناً مؤمناً ومن لم يكن موجوداً في وقت الخطاب لم يكن متصفاً بشيء من هذه الصفات فلا يكون الخطاب متناولاً له.

الثاني: أن خطاب المجنون والصبي الذي لا يميز ممتنع حتى إن من شافهه بالخطاب استهجن كلامه وسفه في رأيه مع أن حالهما لوجودهما واتصافهما بصفة الإنسانية وأصل الفهم وقبولهما للتأديب بالضرب وغيره أقرب إلى الخطاب لهما ممن لا وجود له.

(١) صحيح مسلم - كتاب الحج، باب: بيان أن القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد حديث رقم (١٧٦).
(٢) صحيح البخاري - كتاب الحج، باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت وإذا سعى على غير وضوء بيئ الصفا والمروة حديث رقم (١٦٥١)، وانظر: صحيح مسلم - كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ - حديث رقم (١٤٧).

احتج الخصوم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة والمعقول.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾^(١) وأما السنة فقوله ﷺ: "بعثت إلى الأحمر والأسود"^(٢) ولو لم يكن خطابه متناولاً لمن بعده لم يكن رسولاً إليه ولا مبلغاً إليه شرع الله تعالى وهو خلاف الإجماع وأيضاً قوله ﷺ "حكمي على الواحد حكمي على الجماعة"^(٣) ولفظ الجماعة يستغرق كل من بعده فلو لم يكن حكمه على من في زمانه حكماً على غيرهم كان على خلاف الظاهر.

وأما الإجماع فهو أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين وإلى زماننا هذا ما زالوا يحتجون في المسائل الشرعية على من وجد بعد النبي ﷺ بالآيات والأخبار الواردة على لسان النبي ﷺ ولولا عموم تلك الدلائل اللفظية لمن وجد بعد ذلك لما كان التمسك بها صحيحاً وكان الاسترواح إليها خطأ وهو بعيد عن أهل الإجماع.

وأما المعقول فهو أن النبي ﷺ كان إذا أراد التخصيص ببعض الأمة نص عليه كما ذكرناه في مسألة خطاب النبي ﷺ للواحد هل هو خطاب للباقيين؟ ولولا أن الخطاب المطلق العام يكون خطاباً لكل لما احتاج إلى التخصيص.

والجواب على النصوص الدالة على كون النبي ﷺ عليه وسلم مبعوثاً إلى الناس كافة إنما تلزم أن لو توقف مفهوم الرسالة والبعثة إلى كل الناس على المخاطبة لكل بالأحكام الشرعية شفهاً

(١) سورة سبأ، الآية (٢٨)

(٢) سنن الدارمي من كتاب السير - باب الغنيمَةِ لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ قَبْلَنَا حديث رقم (٢٥١٠)، ومسند الأمام أحمد حديث (١٩٢٩٤) قلت إسناده صحيح وأصل الحديث في الصحيحين من حديث جابر بلفظ (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً).

(٣) ليس له أصل بهذا اللفظ كما قال العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي وقال في الدرر كالتزكشي لا يعرف وسئل عنه المزني والذهبي فأنكره ثم قال العجلوني ويعني عنه ما رواه ابن ماجه وابن حبان والترمذي وقال حسن صحيح (إني لا أصافح النساء وما قولي لامرأة واحدة إلا كقولي لمائة امرأة) انتهى انظر: كشف الخفاء (١/٤٣٧).

وليس كذلك بل ذلك يتحقق بتعريف البعض بالمشافهة وتعريف البعض بنصب الدلائل والأمارات وقياس بعض الوقائع على بعض ويدل على ذلك أن أكثر الأحكام الشرعية لم يثبت بالخطاب شفاهاً لقلّة النصوص وندرته وكثرة الوقائع وما لزم من ذلك أن لا يكون النبي ﷺ رسولاً ولا مبلغاً بالنسبة إلى الأحكام التي لم تثبت بالخطاب شفاهاً.

فإن قيل: والدلائل التي يمكن الاحتجاج بها في الأحكام الشرعية على من وجد بعد النبي ﷺ غير الخطاب فيما ذكرتموه إنما يعلم كونها حجة بالدلائل الخطابية فإذا كان الخطاب الموجود في زمن النبي ﷺ لا يتناول من بعده فقد تعذر الاحتجاج به عليه.

قلنا: أمكن معرفة كونها حجة بالنقل عن النبي ﷺ أنه حكم بكونها حجة على من بعده أو بالإجماع المنقول عن الصحابة على ذلك.

وأما قوله ﷺ: "حكمي على الواحد حكمي على الجماعة" فالكلام في اختصاصه بالموجودين في زمنه كالكلام في الأول. وأما انعقاد الإجماع على صحة الاستدلال بالآيات والأخبار الواردة على لسانه ﷺ على من وجد بعده وهو أشبه حجج الخصوم فجوابه أنا بينا امتناع المخاطبة لمن ليس بموجود بما لا مرء فيه وعند ذلك فيجب اعتقاد استناد أهل الإجماع إلى النصوص من جهة معقولها لا من جهة ألفاظها جمعاً بين الأدلة^(١).

ومن المسائل هل العبيد غير الأحرار داخلون في خطاب الناس أو لا.

قال الزركشي في البحر المحيط: (ولا يشترط في المكلف الحرية بل يدخل العبيد في الخطاب العام نحو ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهو كالحر إلا أن يقوم دليل على تخصيص الخطاب بالأحرار هذا هو الصحيح^(٢).

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢/ ١٥ - ١٧).

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٣٠٩).

ومن المسائل هل الجن مكلفون وداخلون في خطاب الناس أو لا.

قال الزركشي في البحر المحيط: (ولا يشترط في التكليف الإنسية بل الجن مكلفون في الجملة، وقد وقع نزاع بين المتأخرين في أن الجن مكلفون بفروع الدين فقال بعض محققيهم: إنهم مكلفون بها في الجملة لكن لا على حد تكليف الإنس بها، لأنهم يخالفون الإنس بالحد والحقيقة، فبالضرورة يخالفونهم في بعض التكليف.

مثاله. أن الجن قد أعطي بعضهم قوة الطيران في الهواء فهو مخاطب بقصد البيت الحرام للحج طائراً، والإنسان لعدم تلك القوة لا يخاطب بذلك. هذا في طرف زيادة تكليفهم على تكليف الإنس، فكل تكليفه يتعلق بخصوص طبيعة الإنس ينتفي في حق الجن، لعدم تلك الخصوصية فيهم.

والدليل على تكليف الجن بالفروع الإجماع على أن النبي ﷺ أرسل بالقرآن إلى الإنس والجن، وجميع أوامره ونواهيه يتوجه إلى الجنسين^(١).

وفي صحيح البخاري بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عند قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾^(٢) قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم^(٣).

قال البغوي: ﴿الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^(١)، بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع.

(١) البحر المحيط في أصول الفقه (١/٣٠٩).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٥٧).

(٣) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ، فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ

وَلَا تَحْوِيلًا﴾ رقم الحديث (٤٧١٤).

﴿ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾^(١)، يعني يدخل في الجنى كما يدخل في الإنسى، ويوسوس للجنى كما يوسوس للإنسى، قاله الكلبي، وقوله: فِي صُدُورِ النَّاسِ أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجنة والناس، فسمى الجن ناسا كما سماهم رجالا، فقال: ﴿ وَأَنْتَ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾^(٢)، وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث: جاء قوم من الجن فوقعوا فقيل: من أنتم؟

قالوا: أناس من الجن. وهذا معنى قول الفراء، قال بعضهم: ثبت أن الوسواس للإنسان من الإنسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان، فجعل الوسواس من فعل الجنة والناس جميعا، كما قال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾^(٣)، كأنه أمر أن يستعيز من شر الجن والإنس جميعا^(٤).

قال القاضي جلال الدين البلقيني^(٥) عند الباقي على عمومته: ومثاله عزيز إذ مامن عام إلا ويتخيل فيه التخصيص فقوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ قد يخص منه غير المتكلف^(٦).

وقال السيوطي: خطاب العام والمراد به الخصوص كقوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ لم يدخل فيه الأطفال والمجانين^(٧).

(١) سورة الناس، الآية (٥).

(٢) سورة الناس، الآية (٦).

(٣) سورة الجن، الآية (٦).

(٤) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

(٥) معالم التنزيل للبخاري (٧٢٩/٤)، توفيق الرحمان في دروس القرآن (٥٥٥/٤).

(٦) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان أبو الفضل البلقيني الشافعي، كان إماما ذكيا نحويا أصوليا مفسرا حافظا فصيحا بليغا جهوري الصوت عارفا بالفقه ودقائقه ت ٨٣٤ هـ طبقات المفسرين للداودي (ص ٣٢٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠٦/٤).

(٧) الإتقان في علوم القرآن (٤٩/٣).

قال الأمين الشنقيطي^(١): (ثم ترسل السورة في تقسيم الناس إلى الأقسام الثلاثة: مؤمنين، وكافرين، ومذبذبين بين بين، وهم المنافقون. ثم يأتي النداء الصريح وهو أول نداء في المصحف لعموم الناس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾^(٢)، وقيم البراهين على استحقاقه للعبادة وعلى إمكان البعث بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) (٤) (٥).

ويفهم من عموم النداء إلى الخلق ويؤكد هذا المعنى الطاهر ابن عاشور فيقول: (جاء الخطاب بيا أيها الناس: ليشمل جميع أمة الدعوة الذين يسمعون القرآن يومئذ وفيما يأتي من الزمان. فضمير الخطاب في قوله ﴿خَلَقَكُمْ﴾ عائد إلى الناس المخاطبين بالقرآن، أي لثلاثي يختص بالمؤمنين إذ غير المؤمنين حينئذ هم كفار العرب وهم الذين تلقوا دعوة الإسلام قبل جميع البشر لأن الخطاب جاء بلغتهم، وهم المأمورون بالتبليغ لبقية الأمم)^(٦).

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فهي للفريقين جميعاً من الكفار والمؤمنين^(٧).

(١) المرجع السابق (١٠٩/٣).

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، عالم بالتفسير والفقهاء واللغة، انتقل إلى المملكة العربية السعودية وعمل في التعليم، له مؤلفات عديدة منها: أضواء البيان، دفع إيهاام الاضطراب في آي الكتاب وغير ذلك، ت ١٣٩٣هـ. ١١ الأعلام للزركلي (٤٥/٦).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٢).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٨٧/٩).

(٦) التحرير والتنوير (٨/٤).

(٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١٧٩/١)، التفسير الصحيح (١١٧/١) لحكمت ياسين.

وعليه فإن الخطاب ب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ عام لكل الموجودين وهذا يفهم من كلام أهل اللغة والأصوليين والمفسرين.

المبحث الخامس

الوجوه البلاغية والأسرار الأسلوبية في النداء

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأوجه الدلالية لكلمتي الناس والإنسان في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الأسرار البلاغية في النداء على وجه العموم.

المطلب الثالث: استخدام حرف النداء "ياء" مع الناس في القرآن وحذفها.

المطلب الرابع: السر في إضافة "أي" في عموم نداء الناس في القرآن الكريم.

المطلب الأول

الأوجه الدلالية لكلمتي الناس والإنسان في القرآن الكريم

لمعرفة الأوجه الدلالية لكلمة الناس، يتطلب النظر في كلام العلماء عن مدلول كلمة الناس واستعمالات القرآن لها، ونبدأ بتعريف الناس.

الناس: (اسم) للحيوان الآدمي. وواحد الناس إنسان.

والجمع: ناس وأناسي.

قال ابن فارس^(١): سمي الإنس إنسا لظهورهم. ويقال: آنست

الشيء: رأيته. وأنست الصوت: سمعته. وأنست: علمت.^(٢)

ومن ثم يتضح لنا أن مدلول الكلمة هنا الظهور والوضوح.

والأنيس: كل ما يؤنس به.^(٣) والناس بتشديد السين: العطشان.

وعليه فمدلوله الإيناس بهم.

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني المالكي، المعروف بالرازي، رأسًا في الأدب والنحو، له عدة مؤلفات منها:

المجمل في اللغة، فقه اللغة، مقدمة في النحو، توفي سنة: ٣٩٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/١٠٣)، بغية الوعاة

(١/٣٥٢)، شذرات الذهب (٣/١٣٢).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/١٤٥).

(٣) انظر: مختار الصحاح (١/١١).

قال الراجز: وبلد تسمي قطاه نسا^(١).

ويقال لمكة: الناسية، لقلة الماء بها^{(٢)(٣)}.

وذكر بعض المفسرين أن الناس في القرآن على اثني عشر وجهها: -

أحدها: النبي محمد ﷺ ومنه قوله تعالى في النساء: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٤). وإنما عبر بالناس لأن حياة الناس جميعا به ﷺ.

والثاني: سائر الرسل. ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٥).

وقيل إن (على) ها هنا بمعنى " اللام "

والثالث: المؤمنون. ومنه قوله تعالى في [البقرة]: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٦).

والرابع: مؤمنو أهل [كتاب] التوراة. ومنه قوله تعالى [في البقرة]: ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾^(٧). يريد يريد ابن سلام و أصحابه.

(١) انظر: المخصص (٤/ ١١٧) قال العجاج: وبلد تسمي قطاه نسا، يعني يابسة من العطش. و لسان العرب (٢٣٠/٦).

(٢) ينظر: المخصص (٤/ ٤٣٨)، ولسان العرب (٢٣٠/٦).

(٣) نزهة الأعمى النواظر في علم الوجوه والنظائر (١/ ٦٠١-٦٠٢).

(٤) سورة النساء، الآية (٥٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٦٣).

(٥) سورة البقرة، الآية (١٤٣)، انظر: الكشف والبيان. (٨/٢).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٦١)، انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٢/ ١٠٦).

(٧) سورة البقرة، الآية (١٣)، انظر: النكت والعيون. (١/ ٧٥).

والخامس: أهل مكة. ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(١)، وفي الحج: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾^(٢)، وهو اللفظ عام وإن خوطب به أهل مكة.

وفي آل عمران: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾^(٣) وفي يونس: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ﴾^(٤)، وفي النمل: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(٥).

والسادس: اليهود. ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿لِيَأْتِيَنَّكَ مِنَ الْيَهُودِ الْفِتْنَةُ وَلِيَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾^(٦).

والسابع: بنو إسرائيل. ومنه قوله تعالى في آل عمران: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٧) من قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ^(٨)، وفي المائدة: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾^(٩).

والثامن: أهل مصر. ومنه قوله تعالى في يوسف: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾^(١٠) وفيها: ﴿فِيهِ يُعَاثُ يُعَاثُ النَّاسُ﴾^(١٠).

(١) سورة البقرة، الآية (٢١)، انظر: تفسير البغوي (٩٣/١).

(٢) سورة الحج، الآية (٥)، انظر: زاد المسير (٤٠٦/٥).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٧٣)، انظر: البحر المديد (٥٤٤/١).

(٤) سورة يونس، الآية (٢٣)، انظر: التحرير والتنوير (٥٨/١١).

(٥) سورة النمل، الآية (٨٢)، انظر: اللباب في علوم الكتاب (٢٠٢/١٥).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٥٠)، انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١١٦/١).

(٧) سورة آل عمران، الآية (٣ - ٤)، انظر: محاسن التأويل (تفسير القاسمي).

(٨) سورة المائدة، الآية (١١٦)، انظر: زاد المسير (٤٦٤/٢) بالمعنى.

(٩) سورة يوسف، الآية (٤٦)، انظر: الكشف والبيان (٢٢٧/٥).

(١٠) سورة يوسف، الآية (٤٩).

والتاسع: نعيم بن مسعود. ومنه قوله تعالى في آل عمران: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ﴾^(١)، فالكلمة الأولى أريد بها نعيم بن مسعود. والثانية أهل مكة. والعاشر: ربيعة ومضر. ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾^(٢).

والحادي عشر: من كان من عهد آدم إلى زمن نوح. ومنه قوله تعالى [في البقرة]: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(٣)، [وفي يونس]: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾^(٤). والثاني عشر: سائر الناس. ومنه قوله تعالى في الحج: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾^(٥)، وفي الحجرات: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾^(٦).

وقد زاد مقاتل وجها ثالث عشر، فقال: والناس: الدجال. ومنه قوله تعالى (في حم المؤمن): ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٧) وذكروا صاحب اللسان: أن كلمة الناس: تصدق على الجن والإنس، وأصل كلمة الناس أناس فخفف.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٧٣)، انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢١٧/١).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٩٩)، انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٤٢٢/٢) والكشف والبيان (١١٣/٢).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢١٣).

(٤) سورة يونس، الآية (١٩). انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨٠/٣).

(٥) سورة الحج، الآية (١)، انظر: البحر المديد (٥٨٢/٤).

(٦) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٧) سورة غافر، الآية (٥٧)، انظر: زاد المسير في علم التفسير (٢٩٦/٥).

(٨) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (٦٠٢/١-٦٠٥).

والنوس: تذبذب الشيء. ناس الشيء ينوس نوسا ونوسانا: تحرك وتذبذب متديا. وقيل لبعض ملوك حمير: ذو نواس لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقيه.

وذو نواس: ملك من أذواء اليمن سمي بذلك لذؤابتين كانتا تنوسان على ظهره. وناس نوسا: تدلى واضطرب وأناسه هو. وفي حديث أم زرع ووصفها زوجها: ملأ من شحم عضدي، وأناس من حلي أذني؛ أرادت أنه حلي أذنيها قرطة^(١).

قال ابن الجوزي: (الإنسان: واحد الناس، والجمع: ناس وأناسي، ولا يصرف. وقيل: سمي إنسان: لأنه يأنس بجنسه.

وقال ابن قتيبة: سمي الإنس إنسا، لظهو\رهم، وإدراك البصر [إياهم]^(٢).

وهو من قولك: آنت كذا، أي: أبصرته. قال الله عز وجل: ﴿إِنِّي ءَأَنَسْتُ نَارًا﴾^(٣) أي: أبصرت. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي^(٤).

وذهب إلى هذا قوم من المفسرين من أهل اللغة واحتجوا في ذلك بتصغير إنسان، وذلك: أن العرب تصغره على " أنيسيان"^(٥): بزيادة ياء، كأن مكبره " إنسيان"^(٦) إفعالان. من النسيان، النسيان، ثم تحذف الياء من مكبره استخفافا، لكثرة ما يجري على اللسان، فإذا صغر رجعت

(١) لسان العرب (٦/٢٤٥) مادة نوس.

(٢) انظر: المحيط في اللغة (٨/٣٨٨).

(٣) سورة طه، الآية (١٠).

(٤) بحر العلوم (١/٧٢).

(٥) العين للخليل الفراهيدي (٧/٣٠٤).

(٦) العين للخليل الفراهيدي (٧/٣٠٤).

الياء ورد ذلك إلى أصله، لأنه لا يكثر مصغرا كما يكثر مكبرا. والبصريون يجعلونه " فعلان (١)".

على التفسير الأول. وقالوا: زيدت الياء في تصغيره، كما زيدت في تصغير ليلة فقالوا: ليلية، (كذا لفظ به العرب بزيادة).

وذكر بعض المفسرين أن الإنسان في القرآن على خمسة وعشرين وجها:

- أحدها: آدم عليه السلام.

ومنه قوله تعالى في المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ (١٢) (٢)،

وفي سورة الرحمن: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (١٤) (٣)، ومثله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ (٤).

والثاني: أولاد آدم. ومنه قوله تعالى في ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (٥)،

نَفْسُهُ (٥)، وفي هل أتى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ (٦)، وفي النزاعات: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ

الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ (٣٥) (٧)، ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمَائِكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢) (٨).

(١) انظر: المحيط في اللغة (٣٨٨/٨).

(٢) سورة المؤمنون، الآية (١٢)، انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٥٥٥/١٠).

(٣) سورة الرحمن، الآية (١٤)، انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٩٨/٧).

(٤) سورة الإنسان، الآية (١)، انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٦٠/٣).

(٥) سورة ق، الآية (١٦)، انظر: تفسير ابن كثير/دار الفكر (٢٦٩/٤).

(٦) سورة الإنسان، الآية (٢)، انظر: اللباب في علوم الكتاب (٥/٢٠).

(٧) سورة النزاعات، الآية (٣٥)، تفسير ابن كثير/دار الفكر (٥٦٦/٤).

(٨) سورة العلق، الآية (١ - ٢)، انظر: المحرر الوجيز. (٤٧٣/٥).

والثالث: أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ومنه قوله تعالى في الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾^(١)، نزلت في أبي بكر الصديق [رضي الله عنه].

والرابع: سعد بن أبي وقاص. ومنه قوله تعالى في لقمان:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾^(٢)، وهي نزلت في سعد.

والخامس: الوليد بن المغيرة. ومنه قوله تعالى في التين:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٣)، وقيل: نزلت في هشام بن المغيرة.

والسادس: قرط بن عبد الله ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(٤).

والسابع: أبو جهل ابن هشام.

ومنه قوله تعالى في سورة العلق: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْعَىٰ﴾^(٥).

والثامن: النضر بن الحارث. ومنه قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٦).

والتاسع: برصيصا العابد. (منه) قوله تعالى في الحشر: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ﴾^(٧).

(١) سورة الأحقاف، الآية (١٥)، التحرير والتنوير (٢٥/٢٦).

(٢) سورة لقمان، الآية (١٤)، انظر: النكت والعيون. (٣٣٤/٤).

(٣) سورة التين، الآية (٤).

(٤) العاديات، الآية (٦)، انظر: تفسير الرازي (٤٨٢١/١).

(٥) سورة العلق، الآية (٦)، انظر: تفسير الطبري (٥٢٦/٢٤).

(٦) سورة الإسراء، الآية (١١)، انظر: الهداية الى بلوغ النهاية (٤١٥٣/٦).

(٧) سورة الحشر، الآية (١٦)، انظر: زاد المسير في علم التفسير (١١/٦).

والعاشر: بديل بن ورقاء.

(ومنه) قوله تعالى في الحج: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ (٦٦) (١).

والحادي عشر: الأحنس بن شريق (ومنه) قوله في سأل سائل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا

﴿١٩﴾ (٢).

والثاني عشر: الأسود بن عبد الأسد. ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا

﴿٦﴾ فَمُلْقِيهِ (٣).

والثالث عشر: عياش بن أبي ربيعة، ومنه قوله تعالى في العنكبوت: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

حَسَنًا﴾ (٤). كذلك قال بعض المفسرين والصحيح انها نزلت في سعد بن أبي وقاص.

والرابع عشر: كلدة بن أسيد، وقيل أسيد بن كلدة.

ومنه قوله تعالى في الانفطار: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) (٥).

والخامس عشر: عقبة بن أبي معيط. ومنه قوله تعالى في الفرقان: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ

لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ (٦) (٦).

(١) سورة الحج، الآية (٦٦)، انظر: تفسير الخازن. (٢٦/٥).

(٢) سورة المعارج، الآية (١٩).

(٣) سورة الانشقاق، الآية (٦)، انظر: تفسير القرطبي (٢٧١/١٩).

(٤) سورة العنكبوت، الآية (٨)، انظر: التحرير والتنوير (١٣٨/٢٠).

(٥) سورة الانفطار، الآية (٦)، انظر: تفسير الخازن (٢١٦/٧).

(٦) سورة الفرقان، الآية (٢٩)، انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٥/٦).

والسادس عشر: أبو طالب بن عبد المطلب. (ومنه) قوله تعالى في الطارق: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ

خُلِقَ ٥﴾ (١).

والسابع عشر: عتبة بن أبي لهب. (ومنه) قوله تعالى في عبس: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ

٢٤﴾ (٢).

والثامن عشر: عدي بن ربيعة. (ومنه) قوله تعالى في القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَبْجَعَ عِظَامَهُ

٣﴾ (٣).

والتاسع عشر: عتبة بن ربيعة. ومنه قوله تعالى في هود: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ

نَزَعْنَا مِنَّا إِنْتَهُ، لِيَعُوذَ كَقُورٍ ٩﴾ (٤).

وفي بني إسرائيل: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّ بِجَانِبِهِ ١﴾ (١).

(١) سورة الطارق، الآية (٥)، انظر: بحر العلوم (٥٤٦/٣).

(٢) سورة عبس، الآية (٢٤)، انظر: زاد المسير في علم التفسير (١٢٤/٦).

(٣) سورة القيامة، الآية (٣)، تفسير القرطبي (٩٣/١٩).

(٤) سورة هود، الآية (٩)، لم أجد حسب اطلاعي ما ذكره المؤلف و قد قال في زاد المسير: عند قوله تعالى ﴿ولئن أذقنا

أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، قاله ابن عباس.

والثاني: في عبد الله بن أبي أمية المخزومي، ذكره الواحدي.

والثالث: أن الإنساهاهاها اسم جنس. (٣٢٣/٣).

والعشرون: أمية بن خلف. (ومنه) قوله تعالى في الفجر: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ

وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾^(٢)

وفيها: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾^(٣)

والحادي والعشرون: أبي بن خلف. (ومنه) قوله تعالى في النحل: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

نُطْفَةٍ ﴿٤﴾^(٤)، وفي مريم: ﴿أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾^(٥) وفي

يس: ﴿أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾^(٦)

والثاني والعشرون: الحارث بن عمرو. (ومنه) قوله تعالى في البلد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ

﴿٤﴾^(٧)، وقيل: نزلت في كلدة بن أسيد^(٨).

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٣)، انظر: تفسير القرطبي (٣٧٢/١٥) عند فصلت ولم أجد لها حسب اطلاعي عند سورة بني إسرائيل.

(٢) سورة الفجر، الآية (١٥) انظر: تفسير البغوي (٢٥١/٥).

(٣) سورة الفجر، الآية (٢٣)، انظر: التحرير والتنوير (٣٢٦/٣٠).

(٤) سورة النحل، الآية (٤) انظر: المحرر الوجيز. (٣٧٧/٣).

(٥) سورة مريم، الآية (٦٧) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٧٢/٣).

(٦) سورة يس، الآية (٧٧)، انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٤١٦/٢).

(٧) سورة البلد، الآية (٤)، انظر: بحر العلوم (٥٥٩/٣).

(٨) التحرير والتنوير (٣٠٩/٣٠).

والثالث والعشرون: أبو حذيفة بن عبد الله. ومنه قوله تعالى: في يونس: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ

الضُرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾^(١). وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة^(٢).

والرابع والعشرون: أبو لهب بن عبد العزى بن عبد المطلب (ومنه) قوله تعالى في العصر: ﴿إِنَّ

الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾^(٣).

والخامس والعشرون: الكافر (ومنه) قوله تعالى في الزلزلة: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا﴾^(٤) ^(٥).

يغلب تعبير القرآن عن الإنسان أنه في ضعف وقلق، وربما في معصية وغرور وتكبر.

(١) سورة يونس، الآية (١٢)، تفسير البحر المحيط (١٣٣/٥).

(٢) المرجع السابق (١٣٣/٥).

(٣) سورة العصر، الآية (٢)، انظر: تفسير الرازي (٤٨٣٣/١).

(٤) سورة الزلزلة، الآية (٣)، انظر: الدر المنثور (٥٩٢/٨).

(٥) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (١/ ١٧٦ - ١٨٣).

المطلب الثاني

الأسرار البلاغية في النداء على وجه العموم

إن النداء له وجوهه البلاغية وأسراره الأسلوبية، يتبين ذلك فيما يلي:

- ١ - في النداء إقامة علاقة مع شخص آخر، إما للحوار معه وإما لأغراض أخرى تفهم من سياق الكلام.
 - ٢ - فيه حث على الاهتمام بموضوع الكلام ودعوة للتبصر فيه، مما يعطي المضمون قيما رمى إليها المنادي.
 - ٣ - فيه توجيه الأنظار إلى المنادي وتركيز الاهتمام حوله.
 - ٤ - كما أن فيه ضربا من الإيجاز واختصارا للكثير من الكلام.
 - ٥ - ناهيك بالتلون الكلامي والالتفات البليغ مما يرغب في الاستمالة، ويبعث الاطمئنان في نفس السامع، ويقوي الحاجة إلى التفكير، وتخيل المعنى.^(١)
- وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومما ورد في القرآن:

١- إظهار التحسر، كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾^(٢).

(١) النداء في اللغة والقرآن (ص ١٦٠-١٦١).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٣١).

- ٢ - الإهانة، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ (٥١)^(١).
- ٣ - إظهار الشفقة والعطف، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمْتُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ (٢).
- ٤ - التأنيس والتلطف، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾ (١)^(٣)، ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (١)^(٤) وغير ذلك^(٥).
- ٥ - الترقيق والاستشفاع كقوله: ﴿يَبْنُوهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ (٦)^(٧).

(١) سورة الواقعة، الآية (٥١).

(٢) سورة الصف، الآية (٥).

(٣) سورة المزمل، الآية (١).

(٤) سورة المدثر، الآية (١).

(٥) انظر: نداء الله نبيه الكريم في آي الذكر الحكيم (ص ٦١).

(٦) سورة طه، الآية (٩٤).

(٧) التحرير والتنوير (١٦/٢٩٢).

المطلب الثالث

استخدام حرف النداء "ياء" مع الناس في القرآن وحذفها

صح عند النحاة حذف حرف النداء (يا) (دون غيره من الأحرف الأخرى، وهو يحذف لفظاً،

ويبقى تقديراً، ومنه قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾^(١)

غير أن هناك مواضع يمتنع فيها الحذف، ومواضع يجوز.

١- المواضع التي يمتنع فيها الحذف هي:

أ- لفظ الجلالة إذا لم يكن محتوماً بالميم المشددة، نحو: يا الله.^(٢)

ب- إذا كان المنادى ضمير المخاطب عند من يجيزه، أما ضمير الغيبة والمتكلم فلا يناديان مطلقاً.

قال الر اجز: (يا أبحر بن أبحر يا أنتا أنت الذي طلقت عام جعثا)^(٣) (٤).

(١) سورة يوسف، الآية (٢٩).

(٢) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٥/٤).

(٣) ينسب هذا البيت إلى الأحوص؛ وينسب إلى سالم بن دارة؛ وهو الصواب. والبيت من عدة أبيات؛ يقولها الشاعر في في مر بن واقع، وصوب بعضهم الشاهد هكذا: أنت الذي طلقت عام جعثا. المفردات لغريبة: الأبحر: المنتفخ البطن. طلقت: فارقت حلائلك. عام جعثا؛ أي: في الوقت الذي وقعت في المجاعة. المعنى: يذم المخاطب بقوله: يا عظيم البطن وابن عظيمها، أنت الذي فارقت زوجاتك حين لم تجد ما تسد به رمقك وتملاً به كرشك، وأبيت السعي؛ لجلب رزقهن. موطن الشاهد: "يا أنتا" وجه الاستشهاد: نادى الضمير.

(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٨/٤).

ج- المنادى المستغاث كقول الشاعر:

تكنفني الوشاة فأزعجوني... فيا للناس للواشي المطاع^(١)

د - المنادى البعيد نحو: يا زيد، إذا كان بعيداً منك. وإنما لم يحذف حرف النداء فيه لأن المراد

إطالة الصوت بحرف النداء، والحذف ينافيه.^(٢)

هـ - إذا كان المنادى اسم جنس غير معين، أي نكرة غير مقصودة.

قال الشاعر:

فيا راكبا إما عرضت فبلغنْ ندماي من نجران أن لا تلاقيا^(٣)

و- المنادى المندوب:

(١) انظر: اللوحة في شرح الملحة (٦٢٠/٢) هذا بيتٌ من الوافر، وهو لقيس بن ذريح، ونُسب - أيضاً - إلى حسان بن ثابت - رضي الله عنه. و (تكنفني): أحاطوا بي. و (الوشاة): التمامون، وأصله من الوشي؛ لأهم يُرَيِّنون الكذب، ويُجسِّنون الباطل. ووجه الشاهد: أنه لا يستعمل للمستغاث من أحرف النداء إلا (يا). ولا يجوز حذفها لأن المقصود فيه مد الصوت، والحذف ينافيه، ولا حذف المستغاث. أما المستغاث له فحذفه جائز. انظر: جامع الدروس العربية (١٦١/٣).

(٢) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو (٢٠٧/٢).

(٣) والبيت لعبد يغوث الحارثي من قصيده ينوح فيها على نفسه، عندما أسرته تيم الرباب في يوم الكلاب الثاني؛ ومطلعها:

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا... فما لكما في اللوم خيرٌ ولا ليا.

المفردات الغريبة: عرضت: أي ظهرت، وقيل معناها: أتيت العروض؛ والعروض: اسم لمكة والمدينة وما حولهما.

ندماي: جمع ندمان؛ وهو المؤنس في مجلس الشراب. نجران: بلد باليمن.

المعنى: يندب الشاعر حظه، وينادي الركبان؛ وهو في الأسر؛ فيقول: إذا بلغت العروض، فبلغوا ندماي ورفاقي وأهلي

وأحبابي؛ أنه لا تلاقي بيننا؛ فنحن في الأسر، ولا ندري ما الله صانع بنا. موطن الشاهد: "يا راكبا" منادى نكرة

غير مقصودة. انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (١٤/٤).

فوا كبدا من حب من لا يحبني... "ومن عبرات ما لهن فناء"^(١)

ز- المنادى المتعجب منه:

فتقول في التعجب من كثرة الماء "ياللماء!. يا ماء!. يا ماء!"^(٢)، ونحو: يا لفضل الوالدين؛
للتعجب من كثرة فضلها^(٣).

٢- ما يجوز حذفه: والحذف جائز مع غير ما سبق: ولكنه يقل في مواضع أشهرها:

أ- إن كان المنادى اسم إشارة، غير متصل بكاف الخطاب، مثل هذا وهؤلاء، قال ابن
عقيل: (الحذف مع اسم الإشارة قليل وكذا مع اسم الجنس حتى إن أكثر النحويين
منعوه ولكن أجازوه طائفة منهم وتبعهم المصنف ولهذا قال ومن يمنعه فانصر عاذله أي
انصر من يعذله على منعه لورود السماع به فمما ورد منه مع اسم الإشارة قوله تعالى:
﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤) أي يا هؤلاء^(٥).

ب- إذا كان المنادى اسم جنس لمعين، أي النكرة المقصودة.

(١) البيت لمجنون ليلى في ديوانه (ص ٣٥)، انظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك (٥٧/٣) المعنى يقول: يا للألم من حب
من لا يحبني ومن دموع لا نهاية لها. فوا: "الفاء": بحسب ما قبلها، "وا": حرف نداء وندبة. كبدا: منادى مندوب
ولا يجوز حذف حرف النداء من المنادى المندوب لأن المقصود فيه مد الصوت، والحذف ينافيه، انظر: جامع
الدروس العربية (١٥٦/٣).

(٢) انظر: جامع الدروس العربية (١٦٣/٣).

(٣) النحو الوافي (٣/٤).

(٤) سورة البقرة، الآية (٨٥).

(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢٥٧/٣).

قال ابن عقيل: (ومما ورد منه مع اسم الجنس قولهم أصبح ليل أي يا ليل وأطرق كرا^(١) أي يا كرا)^(٢) وفي السنة قوله ﷺ: "ثوبي حجر"^(٣) والأصل: ثوبي يا حجر. ومن شواهد قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾^(٥) ومنه أيضا قول الخطيب: أيها الناس^(٦). الناس^(٦).

والمتأمل لنداءات الناس في القرآن الكريم يجد أنه لم يحذف منها حرف النداء إلا في مواضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا^(٧) (وقوله: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ﴾ هذا منادى، وصدر الله هذه الجملة بالنداء للتنبيه، و"النَّاسُ": يشمل الكافر والمؤمن. قوله: ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ أي: بآخرين يتقون الله عزوجل،

(١) هذا جزء من مثل، وقامه: "إن النعام في القرى"؛ وهو مثل يضرب لمن تكبر وقد تواضع من هو أشرف منه؛ أي اخفض يا كرا عنقك للصيد، فإن من هو أكبر وأطول عنقا منك -وهو النعام- قد صيد وجيء به من مكانه إلى القرى؛ وأصله: يا كروان، فرخم، بحذف النون والألف، ثم قلبت الواو ألفا؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها. انظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١٨/٣).

(٢) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢٥٧/٣).

(٣) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الحَضِرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حديث رقم (٣١٧٥) ومسلم في كتاب الحيض باب جواز الاغتسال في الخلوة عريانا حديث رقم (٥١٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٩١)

(٥) سورة الحجر، الآية (٥٧).

(٦) انظر: النداء في القرآن الكريم (ص ٣٦ - ٣٩).

(٧) سورة النساء، الآية (١٣٣).

ويقومون بأمره، وهذا كقوله تعالى ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُواْ أَمْثَلَكُمْ ﴾^(١) وهذا تهديد من الله عز وجل أن يخالف أوامره أحد^(٢).

وقد ذكر بعض الباحثين أن (يا) تحذف قبل أي وأية في تسع آيات في القرآن الكريم^(٣).

(١) سورة محمد، الآية (٣٨).

(٢) تفسير القرآن الكريم لسورة النساء (٣١٥/٢)

(٣) أسرار النحو في ضوء أساليب القرآن (٤/٤١٦).

المطلب الرابع

السرف في إضافة "أي" في عموم نداء الناس في القرآن الكريم

قال العكبري^(١): (عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾^(٢): أي اسم مبهم لوقوعه على كل شيء أتى به في النداء توصلاً إلى نداء ما فيه الألف واللام إذا كانت (يا) لا تباشر الألف واللام، وبنيت لأنها اسم مفرد مقصود، وها مقحمة للتنبيه؛ لأن الأصل أن تباشر (يا) الناس، فلما حيل بينهما بأي، عوض من ذلك (ها)، والناس وصف لأي لا بد منه؛ لأنه المنادى في المعنى، ومن هاهنا رفع؛ ورفع أن يجعل بدلاً من ضمة البناء، وأجاز المازني نصبه كما يجيز يا زيد الظريف، وهو ضعيف لما قدمنا من لزوم ذكره، والصفة لا يلزم ذكرها^(٣).

قال الزمخشري: (وأي وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام، كما أنّ (ذو) و (الذي) وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجملة. وهو اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء، فالذي يعمل فيه حرف النداء هو (أي) والاسم التابع له صفته، كقولك: يا زيد الظريف إلا أن (أيا) لا يستقل بنفسه استقلال (زيد) فلم ينفك من الصفة. وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد. وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة و

(١) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري الحنبلي، الشيخ، الإمام، العلامة، النحوي الفرضي البارع الضرير الملقب بحب الدين. ولد سنة ٥٣٨ هـ وتوفي ببغداد سنة ٦١٦ هـ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٩١/٢٢) و طبقات

المفسرين للداودي (ص ٢١٩) تاريخ اربل (٤٢٠/٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٣) التبيان في إعراب القرآن (٣٨/١).

موصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء و مكافئته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضاً مما يستحقه أئ من الإضافة. فان قلت: لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره؟ قلت: لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة: لأن كل ما نادى الله له عباده- من أوامره ونواهيته، وعظاته وزواجره ووعدته ووعيدته، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه- أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون. فاقترضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ^(١).

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/٨٩ - ٩٠)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن (٣/٢٨٣).

الفصل الثاني

موضوعات نداء الناس في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نداءات عقديّة.

المبحث الثاني: نداءات تشريعية.

المبحث الثالث: نداءات خلقية.

المبحث الأول

نداءات عقديّة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: توحيد الإلهية.

المطلب الثالث: إرسال الرسل عليهم السلام.

المطلب الرابع: الأمر باتباع الرسل عليهم السلام.

المطلب الخامس: الإيمان بالبعث.

المطلب الأول

توحيد الربوبية

يحسن بنا التعريف بتوحيد الربوبية قبل الحديث عن الآيات المتعلقة به.

التوحيد في اللغة: قال ابن فارس: (وحد الواو والحاء والذال: أصل واحد يدل على الانفراد).^(١) وقال الجوهري^(٢): (الوحدة: الانفراد. تقول: رأيتُه وحده)^(٣).

قال ابن منظور^(٤): (التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له)^(٥).

فالتوحيد مصدر وحد يوحد توحيداً أي جعل الشيء واحداً.

وأما في الشرع: هو العلم والاعتقاد بتفرد الرب بصفات الكمال، وإفراده وحده بالعبادة، وهو ثلاثة أقسام، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات^(٦).

(١) مقاييس اللغة (٩٠/٦).

(٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، إمام من أئمة النحو واللغة، أخذ عن أبي علي الفارسي، مضرب المثل في حسن الخط، له مؤلفات منها: الصحاح، توفي سنة: ٣٩٣ هـ، وقيل سنة: ٤٠٠ هـ. انظر: إنباه الرواة ٢٢٩/١ - ٢٣٣، سير أعلام النبلاء ٨٠/١٧، شذرات الذهب (٤٩٧/٤).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصباح العربية (٥٤٧/٢).

(٤) محمد بن مكرم بن علي - وقيل رضوان - بن أحمد ابن أبي القاسم بن حقة بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل، صاحب لسان العرب في اللغة، الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية. ت ٧١١ هـ بغية الوعاة (٢٤٨/١) و الأعلام للزركلي (١٠٨/٧).

(٥) لسان العرب (٤٥٠/٣)، وانظر: تاج العروس (٢٦٨/٩).

(٦) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي، (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي) (١٠/٣).

وقال شيخ الإسلام: (حقيقة التوحيد: وهو أن لا يَشْرِكُهُ شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه)^(١).

وأما الرب، فقال ابن الأثير^(٢) (الرب: يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال رب كذا)^(٣).

قال الراغب: (الرب في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال رَبَّه، وربَّاه وربَّبه. فالرب مصدر مستعار للفاعل، ولا يقال الرب مطلقا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات، نحو قوله: ﴿طَيْبَةً وَرَبِّ غَفُورٍ﴾^(٤).

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا﴾^(٥) أي: آلهة، وتزعمون أنهم الباري مسبب الأسباب، والمتولي لمصالح العباد، وبالإضافة يقال له ولغيره، نحو قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦)، ﴿رَبِّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾^(٧)، ويقال: رب الدار، ورب الفرس لصاحبهما، وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَنَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾^(٨)، وقوله تعالى: ﴿أَرْجِعْ إِلَيَّ﴾

(١) مجموع الفتاوى (٧٤/٣) وانظر: التدمرية (ص ١٢٤).

(٢) أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، ثم الموصللي، الكاتب، ابن الأثير، القاضي، الرئيس، العلامة، البارع، الأوحد، البليغ، مجد الدين، صاحب (جامع الأصول)، و (غريب الحديث)، وغير ذلك. ت ٦٠٦ هـ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤٨٨/٢١) و وفيات الأعيان (٤٤٣/٤).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٧٩/٢).

(٤) سورة سبأ، الآية (١٥).

(٥) سورة آل عمران، الآية (٨٠).

(٦) سورة الفاتحة، الآية (٢).

(٧) سورة الصافات، الآية (١٢٦).

(٨) سورة يوسف، الآية (٤٢).

رَبِّكَ ﴿١﴾، وقوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ ﴿٢﴾، قيل: عنى به الله تعالى، وقيل: عنى به الملك الذي رباه، والأول أليق بقوله.

والربوبية مصدر، يقال في الله عز وجل، وجمع الرب أرباب، قال تعالى: ﴿أَرْبَابٌ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٣﴾، ولم يكن من حق الرب أن يجمع إذ كان إطلاقه لا يتناول يتناول إلا الله تعالى، لكن أتى بلفظ الجمع فيه على حسب اعتقاداتهم، لا على ما عليه ذات الشيء في نفسه، والرب لا يقال في التعارف إلا في الله ﴿٤﴾.

قال ابن جرير الطبري: (الرب في كلام العرب متصرف على معان: فالسيد المطاع فيها يدعى ربا، والرجل المصلح للشيء يدعى ربا، والمالك للشيء يدعى ربه، وقد يتصرف أيضا معنى الرب في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة. فرينا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر) ﴿٥﴾.

أما عن توحيد الربوبية: فهو الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبره والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، ولا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له ولا مماثل، ولا سمي له ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته، ومقتضيات أسمائه وصفاته ﴿٦﴾.

(١) سورة يوسف، الآية (٥٠).

(٢) سورة يوسف، الآية (٢٣).

(٣) سورة يوسف، الآية (٣٩).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص ٣٣٦ - ٣٣٧).

(٥) تفسير الطبري (١/١٤٢ - ١٤٣).

(٦) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص ٢٣).

(فتوحيد الربوبية فعل الرب، مثل الخلق والرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر وإنبات النبات، وتدير الأمور..^(١)). فتوحيد الربوبية هو: إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدير^(٢).

والقرآن إنما يذكر توحيد الربوبية مع أن الكفار مقرون به من أجل أن يبين دلالاته ويقيمه برهاناً على توحيد الألوهية، فيحتج عليهم بما أقروا به من باب الإلزام لهم: كيف تقرون الله بالربوبية، ولا تقرون له بالألوهية والعبودية . فإيمان العبد بالله ربا يستلزم إخلاص العبادة له وكمال الذل بين يديه. إن كل شيء في الوجود يدل على الله سبحانه وتعالى، إذ ما من شيء إلا وهو آية من آياته. قال أبو العتاهية^(٣):

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكــــــــــــــــة وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وقد جاء تقرير توحيد الربوبية في القرآن الكريم في آيات كثيرة ولكنني اقتصر على ما نادى الله الناس بها من أجله من نداءات الناس، وركزت على آيتين من هذه النداءات.

(١) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) (ص ٣٧١).

(٢) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص ٤٠).

(٣) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزى (من قبيلة عنزة) بالولاء، أبو اسحاق الشهير ب أبي العتاهية: شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع. كان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتاً في اليوم، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل ت ٢١١ هـ. الأعلام للزركلي (١/٣٢١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُٓ اِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَنْ يَخْلُقُوْا ذِكَابًا وَّلَوْ اَجْتَمَعُوْا لَهُٓ وَاِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّكَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوْهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوْبِ ﴿٧٣﴾﴾^(١).

أولاً: النداء في الآية.

قال ابن عطية: الخطاب بقوله ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ قيل هو خطاب يعم العالم، وقيل هو خطاب للمؤمنين حينئذ الذين أراد الله تعالى أن يبين عندهم خطأ الكافرين ولا شك أن المخاطب هم ولكنه خطاب يعم جميع الناس^(٢).

قال السعدي: هذا خطاب للمؤمنين والكفار، المؤمنون يزدادون علماً وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة^(٣).

ثانياً: الغرض من الآية تقييح عبادة الأوثان ونقصان عقول عابديها^(٤).

ثالثاً: موضوع النداء توحيد الله تعالى في ربوبيته.

قال الشنقيطي: (وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُٓ اِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَنْ يَخْلُقُوْا ذِكَابًا وَّلَوْ اَجْتَمَعُوْا لَهُٓ﴾، وقوله: ﴿اَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ اَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ اَمْ خَلَقُوا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَالَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَا يَخْلُقُوْنَ شَيْئًا وَّهُمْ يُخْلَقُوْنَ ﴿٤٠﴾ اَمْوَاتٌ غَيْرٌ اَحْيَاءٍ﴾^(٦)، إلى غير ذلك من الآيات. فهذه

(١) سورة الحج، الآية (٧٣).

(٢) تفسير ابن عطية (٤/١٣٣).

(٣) تفسير السعدي (ص ٥٤٦).

(٤) المرجع السابق (ص ٥٤٦).

(٥) سورة الطور، الآية (٣٥ - ٣٦).

(٦) سورة النحل، الآية (٢٠ - ٢١).

الآيات تبين أن الذي يستحق أن يعبد هو من يخلق الخلق، ويبرزهم من العدم إلى الوجود. أما غيره فهو مخلوق مربوب، محتاج إلى من يخلقه، ويدبر شئونه^(١).

وهذه الآية واضحة الدلالة في أن من يدعى من دون الله لا يستطيع أن يخلق ولا أن يدبر شئون نفسه فكيف بغيره.

قال ابن كثير: (أخبر تعالى أنه لو اجتمعت آلهتهم كلها، ما استطاعوا خلق ذبابة، بل لو استلبتهم الذبابة شيئاً من حقير المطاعم وطار، لما استطاعوا إنقاذ ذلك منها، فمن هذه صفة وحاله، كيف يعبد ليرزق ويستنصر؟ ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾^(٢) أي: بل هم مخلوقون مصنوعون كما قال الخليل: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾^(٣) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ^(٤).

قال الزجاج عند هذه الآية: (لأنهم عبدوا من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر وما لم ينزل به حجة. فأعلمهم الله عز وجل الجواب فيما جعلوه لله مثلاً، وجعلوه له نيراً، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾^(٥) يعني الأصنام، وكل من دعي من دون الله إله لا إله إلا الله وحده. وقوله: (وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه) أعلم الله - جل ثناؤه - أنه الخالق، ودل على وحدانيته بجميع ما خلق ثم أعلم أن الذين عبدوا من دونه لا يقدر على خلق واحد قليل ضعيف من خلقه، ولا على استنقاذ تافه حقير منه. ثم قال: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٥).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٣٠/٢).

(٢) سورة النحل، الآية (٢٠).

(٣) سورة الصافات، الآية (٩٥ - ٩٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٥٢٩/٣).

(٥) سورة الحج، الآية (٧٤).

أي ما عظموه حق عظمته، ثم أعلم بعد ذكره ضعف قوة المعبودين قوته فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

وقال السعدي: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلوباً لاهية، وأسماعاً معرضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع، وهو هذا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ شمل كل ما يدعى من دون الله، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من باب أولى، ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ بل أبلغ من ذلك لو ﴿يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ وهذا غاية ما يصير من العجز. ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ الذي هو المعبود من دون الله ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين.

فهذا ما قدر ﴿اللَّهُ حَقُّ قَدْرِهِ﴾ حيث سوى الفقير العاجز من جميع الوجوه، بالغني القوي من جميع الوجوه، سوى من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بمن هو النافع الضار، المعطي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف.^(٢)

وقال ابن عثيمين^(٣): وهو مثل عظيم، كل الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً، ولو اجتمعوا له، لو يجتمع جميع الآلهة التي تعبد من دون الله وجميع السلاطين وجميع الرؤساء وجميع المهندسين على أن يخلقوا ذباباً واحداً ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ونحن في هذا العصر وقد

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤٣٨/٣).

(٢) تفسير السعدي (ص ٥٤٦).

(٣) أبو عبد الله محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان الوهبي التميمي، علامة فقيه مفسر زاهد، له مؤلفات كثيرة منها: الشرح المتمتع على زاد المستقنع، أصول في التفسير، ت ١٤٢٠هـ، نظر في ترجمته: موقع الشيخ

تقدمت الصناعة هذا التقدم الهائل لو اجتمع كل هؤلاء الخلق أن يخلقوا ذباباً ما استطاعوا، حتى لو أنهم كما يقولون: صنعوا آدمياً آلياً ما يستطيعون أن يخلقوا ذبابة، هذا الآدمي الآلي ما هو إلا الآلات تتحرك فقط، لكن لا تجوع، ولا تعطش، ولا تحتر، ولا تبرد، ولا تتحرك إلا بتحريك، الذباب لا يمكن أن يخلقه كل من سوى الله، فالله سبحانه وتعالى وحده هو الخالق^(١).

أما الآية الثانية: فقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّؤَقِّفُ وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾^(٢).

أولاً: النداء في الآية ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾.

قال السمرقندي: يا كفار مكة. أي أنه خاص^(٣).

وقال القرطبي: هذا احتجاج على العالم^(٤).

والأقرب أن الخطاب عام لكل الناس ويدخل فيه المشركون على وجه الخصوص لأنهم هم الذين أنكروا البعث.

ثانياً: الغرض من النداء التذكير بما يدل على الخالق ابتداء^(١).

(١) تفسير العثيمين: جزء عم (ص ١٥٩-١٦٠).

(٢) سورة الحج، الآية (٥).

(٣) تفسير السمرقندي (٤٤٩/٢) وانظر: تفسير السمعي (٤١٩/٣) و زاد المسير في علم التفسير (٢٢٣/٣).

(٤) تفسير القرطبي (٦/١٢) تفسير ابن عطية (١٠٧/٤).

ثالثاً: موضوع النداء توحيد الربوبية.

قال شيخ الإسلام: (وَأَمَّا هُنَا فَالْمَقْصُودُ ذِكْرُ مَا يَدُلُّ عَلَى الْخَالِقِ تَعَالَى ابْتِدَاءً فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَهُوَ مِنَ الْعَلَقَةِ الدَّمُ يَصِيرُ مُضْعَةً وَهُوَ قِطْعَةٌ لَحْمٍ كَاللَّحْمِ الَّذِي يُمَضَّعُ بِالْفَمِ ثُمَّ تَخَلَّقَ فَتُصَوَّرَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ﴾ فَإِنَّ الرَّحِمَ قَدْ يَفْقِدُهَا غَيْرَ مُخَلَّقَةٍ. فَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَبْدَأَ خَلْقِهِمْ وَيَرَوْنَ ذَلِكَ بِأَعْيُنِهِمْ. وَهَذَا الدَّلِيلُ وَهُوَ خَلْقُ الْإِنْسَانِ مِنْ عَلَقٍ يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ النَّاسِ. فَإِنَّ النَّاسَ هُمْ الْمُسْتَدِلُّونَ وَهُمْ أَنْفُسُهُمُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ وَالْآيَةُ. فَإِلَى النَّاسِ هُوَ الدَّلِيلُ وَهُوَ الْمُسْتَدِلُّ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١) وَقَالَ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢). وَهَذَا كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٣) وَهُوَ دَلِيلٌ يَعْلَمُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُهُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَفِي مَنْ يَرَاهُ مِنْ بَنِي جِنْسِهِ^(٤) فَأَحْسَنُ مَا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى رَبوبية الخالق هو الاستدلال بخلق الإنسان نفسه فتأمل هذا.

قال ابن القيم^(٦): (فأعد الآن النظر فيك وفي نفسك مرة ثانية من الذي دبرك بألطف تدبير، وأنت جنين في بطن أمك في موضع لا يد تنالك ولا بصر يدركك ولا حيلة لك في التماس الغذاء ولا في دفع الضرر فمن الذي أجرى إليك من دم الأم ما يغذوك كما يغذوا الماء النبات،

(١) مجموع الفتاوى (٢٦٣/١٦).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٢١)

(٣) سورة فصلت، الآية (٥٣).

(٤) سورة الطور، الآية (٣٥).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٦٣/١٦).

(٦) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، شمس الدين الشهير بابن القيم الجوزية، الفقيه الحنبلي الأصولي المفسر، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، له مؤلفات كثيرة منها زاد المعاد، والتبيان في أقسام القرآن توفي سنة ٧٥١هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٣٧/٥)، المقصد الأرشد لابن مفلح (٣٨٤/٢)، طبقات المفسرين

للداودي (ص ٢٨٤).

وقلب ذلك الدم لبناً ولم يزل يغذيك به في أضيق المواضع وأبعدها من حيلة التكسب والطلب حتى إذا كمل خلقك واستحكمت وقوي أديمك على مباشرة الهواء وبصرك على ملاقاته الضياء وصلبت عظامك على مباشرة الأيدي، والتغلب على الغبراء هاج الطلق من أمك فأزعجك إلى الخروج أيما إزعاج إلى عالم الابتلاء^(١). فابن القيم رحمة الله عليه وضع لنا وجه الدلالة من التدرج في خلق الإنسان على وجود خالق مدبر حكيم سبحانه.

قال الحافظ الحكمي^(٢): (الخالق أي: المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾^(٣)).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾^(٥)، إلى أن قال: فالله تبارك وتعالى الخالق وكل ما سواه مخلوق له، مربوب له، لا خالق غيره، فجميع السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما وحركات أهلها وسكناتهم وأرزاقهم وأجالتهم وأقوالهم وأعمالهم كلها مخلوقات له

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور (١/٢٥٥-٢٥٦).

(٢) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي: فقيه أديب، من علماء (جيزان) بين الحجاز واليمن. له مؤلفات كثيرة منها (الجوهرة الفريدة في العقيدة) و(سلم الوصول إلى علم الأصول) ارجوزة، و (معارج القبول) شرح لها، و (أعلام السنة المنشورة) (منظومة) في الحث على طلب العلم. ت ١٣٤٢ هـ الأعلام للزركلي (٢/١٥٩).

(٣) سورة الزمر، الآية (٦).

(٤) سورة المؤمنون، الآية (١٢ - ١٤).

(٥) سورة مريم، الآية (٦٧).

محدثه كائنة بعد أن لم تكن، وهو خالق ذلك كله وموجده ومبدئه ومعيده، فمنه مبدأها وإليه منتهاها ﴿إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^{(١)(٢)}. فالآية عظيمة الدلالة على ربوبية الخالق في خلق الإنسان أولاً ثم في أثر من آثاره كما في خاتمها فقد قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ فكيف بأرض خاشعة هامدة لا زرع فيها ولا نبات ثم ينزل عليها المطر فتتهتز وتنبت، فمن الذي خلقها ودبرها وأخرج ما في جوفها.

(١) سورة الشورى، الآية (٥٣).

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/١٣١).

المطلب الثاني

توحيد الإلهية

بالنظر فيما كتبه أهل اللغة في تعريف الألوهية يتضح أن الإلهية: (أل هـ: (أله) يأله بالفتح فيهما (إلهة) أي عبد. ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما «ويذكرك و (إلهتك)»^(١) بكسر الهمزة أي وعبادتك وكان يقول إن فرعون كان يعبد^(٢). ومنه قولنا الله وأصله (إلاه) على فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه أي معبود كقولنا إمام بمعنى مؤتم به، فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرتة في الكلام ولو كانتا عوضاً منهما لما اجتمعتا مع المعوض في قولهم (الإله) وقطعت الهمزة في النداء للزومها تفخيماً لهذا الاسم^(٣).

قال أبو العباس الفيومي^(٤): (أله يأله من باب تعب، إلهة بمعنى عبد عبادة وتأله تعبد والإله المعبود وهو الله سبحانه وتعالى ثم استعاره المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى والجمع آلهة

(١) وهي قراءة علي وابن عباس وابن مسعود وأنس بن مالك وعلقمة والجحدري والتميمي وأبي طلوت وأبي رجاء: "وَيَذَرُكَ وَإِلَاهَتَكَ" المختصب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢٥٦/١).

(٢) قيل كان فرعون جعل للناس أصناماً يعبدونها، وجعل نفسه الإله الأكبر، ولذلك قال (أنا ربكم الأعلى)، فألهتك على هذا هي تلك الأصنام. انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣٧٨/٣).

(٣) مختار الصحاح (ص ٢٠) وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٢٢٣/٦).

(٤) أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: لغوي، اشتهر بكتابه (المصباح المنير - ط) ت بعد ٧٧٠ هـ انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٣٧٢/١)، معجم المؤلفين (١٣٢/٢)، والأعلام للزركلي (٢٢٤/١).

فالإله فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط وأما الله فقيل غير مشتق من شيء بل هو علم لزمته الألف واللام^(١).

ومن ثم فإن الألوهية تدور حول معنى العبودية.

وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة ونفيها عما سواه^(٢).

قال ابن عثيمين: (توحيد الألوهية: ويقال له: توحيد العبادة باعتبارين؛ فباعتبار إضافته إلى الله يسمى: توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة. وهو إفراد الله - عز وجل - بالعبادة. فالمستحق للعبادة هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾^(٣)^(٤) فعلى العبد أن يفرد ربه وإلهه وخالقه بالعبادة حتى يكون قد حقق هذا التوحيد العظيم، الذي هو موضوع دعوة الرسل، والأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال، فأول نداء في كتابه العزيز، وأول أمر يمر بك في كلامه الكريم، وهو خطاب لجميع الناس، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم في تحقيق توحيد الألوهية.

بل إن الناس ما خلقوا إلا للعبادة، فهي الغاية العظمى من إيجاد الخلق. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥): (يعني إلا ليوحدون^(٦))، وقالوا: إلا ليعرفون يعني ما أمرتهم أمرتهم إلا بالعبادة ولو أنهم خلقوا للعبادة. ما عصوا طرفة عين^(٧).

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/١٩).

(٢) فتح الله الحميد الجيد في شرح كتاب التوحيد (ص ١٨٧)، وانظر: مذكرة التوحيد (ص ٣٨) و انظر: شرح كشف الشبهات لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص ٢٠)، وهو تعريف غالب أئمة الدعوة في هذه البلاد. وانظر: لوامع

الأنوار البهية (١/١٢٩)، وينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص ٥٠).

(٣) سورة لقمان، الآية (٣٠).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٤).

(٥) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (٥٥/١٧).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد.^(٢)

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) ﴿٣﴾.

قال القرطبي (واختلف من المراد بالناس هنا على قولين: أحدهما: الكفار الذين لم يعبدوه، يدل عليه قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾^(٤).

الثاني: أنه عام في جميع الناس، فيكون خطابه للمؤمنين باستدامة العبادة، وللكافرين بابتدائها. وهذا حسن)^(٥).

قال السعدي: (هذا أمر عام لكل الناس، بأمر عام، وهو العبادة الجامعة، لامتنال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿٦﴾).

العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية:

ومن القواعد العقدية المهمة في الباب: أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية. قال أبو جعفر الطحاوي^(٧) (من ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية،

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٤/١٣٣).

(٢) تفسير البغوي - طيبة (١/٧١)، وانظر: الباب في علوم الكتاب (١/٤٠٩).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٣).

(٥) تفسير القرطبي (١/٢٢٥).

(٦) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٧) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي، الفقيه الحنفي؛ انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه بمصر، وكان شافعي المذهب صاحب التصانيف، صنف (اختلاف العلماء)، (الشروط)، و (أحكام القرآن)، و (معاني الآثار) ت ٣٢١ هـ. سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٥/٢٧)، ووفيات

ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يسلمون في الأول، وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وحده، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، لا شريك له في ذلك، فلم تعبدون غيره، وتعملون معه آلهة أخرى؟ كقوله تعالى:

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ ءَإِلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا ۗ ﴾^(١) يقول الله تعالى ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ ءَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۗ ﴾^(٢) في آخر كل آية يقول:

﴿ ءَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ ۗ ﴾ أي إله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتج عليهم بذلك، وليس المعنى أنه استفهام: هل مع الله إله؟ كما ظنه بعضهم؛ لأن هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى، كما قال تعالى: ﴿ أَيَنْتَكُمُ لَنْتَشْهَدُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِلَهَاءُ أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ ۗ ﴾^(٣)، وكانوا يقولون: ﴿ أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ ۗ ﴾^(٤)، لكنهم ما كانوا يقولون: إن معه إلهًا: ﴿ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ ﴾^(٥)، بل هم مقرون بأن الله وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات. وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

الأعيان (٧١/١).

(١) سورة النمل، الآية (٥٩).

(٢) سورة النمل، الآية (٦٠).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٩).

(٤) سورة ص، الآية (٥).

(٥) سورة النمل، الآية (٦١).

تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾^(١) وكذلك قوله في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾^(٢). وأمثال ذلك^(٣).

ويقول الشنقيطي: (ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيد في عبادته ؛ ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده، ووبخهم منكرًا عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده ؛ لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾^(٤). فلما أقروا بربوبيته وبخهم منكرًا عليهم شركهم به غيره، بقوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾. ومنها قوله ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥)، فلما اعترفوا وبخهم منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ثم ذكر كثيرا من الأمثلة، إلى أن قال: والآيات بنحو هذا كثيرة جدا، ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار ؛ لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة ؛ نحو قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾^(٦)، وقوله: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِيَّ رَبًّا﴾^(٧)، وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار ؛ لأن

(١) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٤٦).

(٣) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (ص ٣٦) وينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/١٣٥).

(٤) سورة يونس، الآية (٣١).

(٥) سورة المؤمنون، الآية (٨٤ - ٨٥).

(٦) سورة إبراهيم، الآية (١٠).

(٧) سورة الأنعام، الآية (١٦٤).

استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار، لأنهم لا ينكرون الربوبية، كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه^(١).

وقد قرر الله سبحانه في كتابه العزيز أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية باستدلالات عدة، اقتضت على ما نادى الله الناس من أجله لتحقيق هذا التوحيد.

أولاً: الاستدلال بالخلق:

فالمنفرد بالخلق هو المستحق للعبادة، فنادى الله الناس وأمرهم بعبادته واستدل عليهم بخلقه لهم. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) قال عبدالرزاق عفيفي^(٣) (والطريق الفطري لإثبات توحيد الإلهية الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية. فإن قلب الإنسان يتعلق أولاً بمصدر خلقه، ومنشأ نفعه وضره، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقربه إليه، وترضيه عنه، وتوثق الصلات بينه وبينه، فتوحيد الربوبية باب لتوحيد الإلهية. إلى أن قال ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وقوله تعالى إلى قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٤) فجعل - سبحانه - تفرده بالربوبية بالربوبية خلقاً للحاضرين والسابقين، وتمهيداً للأرض، ورفعاً السماء بغير عمد يرونها، وإنزاله الأمطار ليحيي بها الأرض بعد موتها، ويخرج بها رزقاً لعباده باباً إلى توحيد الإلهية وآية بينة على استحقاقه وحده العبادة^(٥).

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/١٩-٢١).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٣) عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية النوي عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، و نائباً لرئيسها، وذلك وذلك إلى أن توفي رحمه الله ت ١٤١٥ هـ موقع الإفتاء التابع للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية

السعودية <http://www.alifta.Com>

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٢).

(٥) مذكرة التوحيد (ص ٣٨-٤٠).

قال القرطبي: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ خص تعالى خلقه لهم من بين سائر صفاته إذ كانت العرب مقرة بأن الله خلقها، فذكر ذلك حجة عليهم وتقريعا لهم. وقيل: ليذكرهم بذلك نعمته عليهم. إلى أن قال في قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فيقال إذا ثبت عندهم خلقهم ثبت عندهم خلق غيرهم، فالجواب: أنه إنما يجري الكلام على التنبيه والتذكير ليكون أبلغ في العظة، فذكرهم من قبلهم ليعلموا أن الذي أمت من قبلهم وهو خلقهم يميتهم، وليفكروا فيمن مضى قبلهم كيف كانوا، وعلى أي الأمور مضوا من إهلاك من أهلك، وليعلموا أنهم يتلون كما ابتلوا. والله أعلم^(١).

ويعلق ابن القيم على هذا الاستدلال قائلا: (فهذا استدلال في غاية الظهور ونهاية البيان على جميع مطالب أصول الدين من إثبات الصانع وصفات كماله من قدرته وعلمه وإرادته وحياته وحكمته وأفعاله وحدوث العالم وإثبات نوعي توحيده تعالى توحيد الربوبية المتضمن أنه وحده الرب الخالق الفاطر وتوحيد الإلهية المتضمن أنه وحده الإله المعبود المحبوب الذي لا تصلح العبادة والذل والخضوع والحب إلا له ثم قرر تعالى بعد ذلك إثبات نبوة رسوله محمد أبلغ تقرير وأحسنه وأتمه وأبعده عن المعارض فثبت بذلك صدق رسوله في كل ما يقوله وقد أخبر عن المعاد والجنة والنار فثبت صحة ذلك ضرورة. فقررت هذه الآيات هذه المطالب كلها على أحسن وجه فصدرها تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وهذا خطاب لجميع بني آدم يشتركون كلهم في تعلقه بهم ثم قال: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ فأمرهم بعبادة ربهم وفي ضمن هذه الكلمة البرهان القطعي على وجوب عبادته لأنه إذا كان ربنا الذي يربينا بنعمة وإحسانه وهو مالك ذواتنا ورقابنا وأنفسنا وكل ذرة من العبد فمملوكه له ملكا خالصا حقيقيا وقد رباه بإحسانه إليه وإنعامه عليه عبادته له وشكره إياه واجب عليه ولهذا قال: ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ ولم يقل إلهكم والرب هو السيد والمالك والمنعم والمربي والمصلح والله تعالى هو الرب بهذه الاعتبار كلها فلا

(١) تفسير القرطبي (١/٢٢٦).

شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة من هذا شأنه وحده لا شريك له. ثم قال: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ فنبه بهذا أيضا على وجوب عبادته وحده وهو كونه أخرجهم من العدم إلى الوجود وأنشأهم واخترعهم وحده بلا شريك باعترافهم وإقرارهم كما قال في غير موضع من القرآن ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١) فإذا كان هو وحده الخالق فكيف لا يكون وحده المعبود وكيف يجعلون معه شريكا في العبادة وأنتم مقرون بأنه لا شريك له في الخلق. وهذه طريقة القرآن يستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فنبه بذلك على أنه وحده الخالق لكم ولآبائكم ومن تقدمكم وإنه لم يشركه أحد في خلق من قبلكم ولا في خلقكم وخلقته تعالى لهم متضمن لكمال قدرته وإرادته وعلمه وحكمته وحياته وذلك يستلزم لسائر صفات كماله ونعوت جلاله فتضمن ذلك إثبات صفاته وأفعاله ووحدانيته في صفاته فلا شبيه له فيها ولا في أفعاله فلا شريك له فيها ثم ذكر المطلوب من خلقهم وهو أن يتقوه فيطيعونه ولا يعصونه ويذكرونه فلا ينسونه ويشكرونه ولا يكفرونه فهذه حقيقة تقواه وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قيل إنه تعليل للأمر وقيل تعليل للخلق وقيل المعنى اعبدوه لتتقوه بعبادته وقيل المعنى خلقكم لتتقوه وهو أظهر لوجوه: أحدها: أن التقوى هي العبادة والشيء لا يكون علة لنفسه.

الثاني: أن نظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢).

الثالث: أن الخلق أقرب في اللفظ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ من الأمر.

ولمن نصر الأول أن يقول لا يمتنع أن يكون قوله لعلكم تتقون تعليلا للأمر بالعبادة ونظيره قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

(١) سورة لقمان، الآية (٢٥).

(٢) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٨٣).

فهذا تعليل لكتب الصيام ولا يمتنع أن يكون تعليلا للأمرين معا وهذا هو الأليق بالآية والله أعلم. ثم قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾^(١) فذكر تعالى دليلا آخر متضمنا للاستدلال بحكمته في مخلوقاته فالأول متضمن لأصل الخلق والإيجاد ويسمى دليل الاختراع والإنشاء والثاني متضمن للحكم المشهودة في خلقه ويسمى دليل العناية والحكمة وهو تعالى كثيرا ما يكرر هذين النوعين من الاستدلال في القرآن ونظيره قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾^(٢) وسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ^(٣) وَسَخَّرَ لَكُمُ الْيَلَّ وَالنَّهَارَ^(٤) فذكر خلق السموات والأرض ثم ذكر منافع المخلوقات وحكمها ونظيره قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾^(٥) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا^(٦) إلى آخر الآيات على أن في هذه الآيات من الأسرار والحكم بما بحسب عقول العالمين أن يفهموه ويدركوه ولعله أن يمر بك إن شاء الله التنبيه على رائحة يسيرة من ذلك. ونظير ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٧) وهذا كثير في

(١) سورة البقرة، الآية (٢٢).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٣٢ - ٣٣).

(٣) سورة النمل، الآية (٦٠ - ٦١).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

القرآن لمن تأمله. وذكر سبحانه في سورة البقرة قرار العالم وهو الأرض وسقفه وهو السماء وأصول منافع العباد وهو الماء الذي أنزله من السماء فذكر المسكن والسكن وما يحتاج إليه من مصالحه ونبه تعالى يجعله للأرض فراشا على تمام حكمته في أن هيأها لاستقرار الحيوان عليها فجعلها فراشا ومهادا وبساطا وقرارا وجعل سقفها بناء محكما مستويا لا فطور فيه ولا تفاوت ولا عيب ثم قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) فتأمل هذه النتيجة وشدة لزومها لتلك المقدمات قبلها وظفر العقل بما بأول وهلة وخلوصها من كل شبهة وريبة وقادح وإن كل متكلم ومستدل ومحاج إذا بالغ في تقرير ما يقرره وأطاله وأعرض القول فيه فغايته إن صح ما يذكره أن ينتهي إلي بعض ما في القرآن فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من البرهان الشافي في التوحيد أي إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال فكيف يجعلون له أندادا وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه في فعله^(٢).

ثانيا: الاستدلال بالموت:

نادى الله الناس بحقيقة لا ينكرها أحد، وهذه الحقيقة كثر ذكرها في القرآن ليتعظ الناس بها، وكفى بالموت واعظا وباللهم مذكرا. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٤) قال ابن جرير الطبري: القول في تأويل هذه الآية (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت إليك إن كنتم في شك أيها الناس من ديني الذي أدعوكم إليه، فلم تعلموا أنه حق من عند الله: فإني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن شيء، فتشكوا في صحته. وهذا

(١) سورة البقرة، الآية (٢٢).

(٢) بدائع الفوائد (٤/١٣٢-١٣٤).

(٣) سورة يونس، الآية (١٠٤).

تعريض وحن من الكلام لطيف. وإنما معنى الكلام: إن كنتم في شك من ديني، لا ينبغي لكم أن تشكوا فيه، وإنما ينبغي لكم أن تشكوا في الذي أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تعقل شيئاً، ولا تضر ولا تنفع، فأما ديني فلا ينبغي لكم أن تشكوا فيه، لأني أعبد الله الذي يقبض الخلق فيميتهم إذ شاء، وينفعهم ويضر من يشاء؛ وذلك أن عبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة، وأما عبادة الأوثان فينكرها كل ذي لب وعقل صحيح. وقوله: ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقول: ولكن أعبد الله الذي يقبض أرواحكم، فيميتكم عند آجالكم. ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وهو الذي أمرني أن أكون من المصدقين بما جاءني من عنده^(١).

قال الشوكاني^(٢): (قوله قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني أمر سبحانه رسوله بأن يظهر التباين بين طريقته وطريقة المشركين مخاطباً لجميع الناس، أو للكفار منهم، أو لأهل مكة على الخصوص بقوله: إن كنتم في شك من ديني الذي أنا عليه، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ولم تعلموا بحقيقته ولا عرفتم صحته، وأنه الدين الحق الذي لا دين غيره، فاعلموا أني بريء من أديانكم التي أنتم عليها فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله في حال من الأحوال ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم أي: خصه بالعبادة لا أعبد غيره من معبوداتكم من الأصنام وغيرها، وخص صفة المتوفي من بين الصفات: لما في ذلك من التهديد لهم أي: أعبد الله الذي يتوفاكم فيفعل بكم ما يفعل من العذاب الشديد، ولكونه يدل على الخلق: أولاً، وعلى الإعادة: ثانياً، ولكونه أشد الأحوال مهابة في القلوب، ولكونه قد تقدم ذكر الإهلاك والوقائع

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٢ / ٣٠٣ - ٣٠٤).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها، له ١١٤ مؤلفاً منها فتح القدير ١٢٥٠ هـ. الأعلام للزركلي

(٢٩٨/٦)، وانظر: هدية العارفين (٢/٣٦٥).

النازلة بالكفار من الأمم السابقة، فكأنه قال: أعبد الله الذي وعدني بإهلاككم. ولما ذكر أنه لا يعبد إلا الله بين أنه مأمور بالإيمان فقال: وأمرت أن أكون من المؤمنين أي: بأن أكون من جنس من آمن بالله وأخلص له الدين^(١).

وكما أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فكذلك توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية.

قال صالح الفوزان: (وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الألوهية، فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً؛ فلا بد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقه؛ كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ أَتَقَدَّمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾^(٢)^(٣). ولأن كل من عبد الله وحده لا شريك له سبحانه، فلا بد أن يكون معتقداً بربوبية خالقه الذي بيده الخلق والأمر.

ولقد تنوعت الدعوة في القرآن الكريم، لتحقيق هذا التوحيد العظيم، الذي من أجله أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الجهاد في سبيله، قال ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)^(٤).

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/٥٤١ - ٥٤٢).

(٢) سورة الشعراء، الآية (٧٥ - ٨٢).

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص ٣٥).

(٤) صحيح البخاري كتاب الإيمان: باب باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) [سورة التوبة، الآية ٥: [حديث رقم (٢٥) وأخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله) حديث رقم (٣٦)].

فمن أساليبه في القرآن وطرائقه على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي:

١- الأمر بعبادته سبحانه قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(١) وقوله

تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(٢)

٢- النهي عن عبادة مَنْ سواه كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿٢٤﴾^(٣) وكما في الآية السابقة.

٣- إرسال الرسل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّاغُوتَ﴾^(٤).

٤- إخبارهم بالغاية والحكمة من إيجاد الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥).

٥- إخبارهم بأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد العبادة وقد سبقت الإشارة إليه.

٦- خطورة الوقوع في ضده، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٦).

وغيرها كثير وكثير لمن تأمل القرآن العظيم وهذا كما ذكرت على سبيل التمثيل.

(١) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٢) سورة النساء، الآية (٣٦).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٢).

(٤) سورة النحل، الآية (٣٦).

(٥) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

(٦) سورة المائدة، الآية (٧٢).

المطلب الثالث

إرسال الرسل عليهم السلام

أولاً: تعريف الرسول في اللغة:

قال الراغب: (الرسول: أصل الرسل: الانبعاث على التؤدة ويقال: ناقة رسالة: سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه: الرسول المنبعث، وتصور منه تارة الرفق، فقيل: على رسلك، إذا أمرته بالرفق، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول، والرسول يقال تارة للقول المتحمل وتارة لمتحمل القول والرسالة. والرسول يقال للواحد والجمع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(١)، وللجمع: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) وجمع الرسول رسل. ورسول الله تارة يراد بها الملائكة، وتارة يراد بها الأنبياء، فمن الملائكة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٣)، وقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ لِنَاصِلُوا إِلَيْكَ﴾^(٤)، ومن الأنبياء قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾^(٥)، ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَمَا﴾

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٨).

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٦).

(٣) سورة التكوير، الآية (١٩).

(٤) سورة هود، الآية (٨١).

(٥) سورة آل عمران، الآية (١٤٤).

(٦) سورة المائدة، الآية (٦٧).

نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴿١﴾، فمحمول على رسله من الملائكة والإنس. وقد يكون بعث من له اختيار، نحو إرسال الرسل، قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ﴿٢﴾، ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَلَأَيْنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾، وقد يكون ذلك بالتخلية، وترك المنع، نحو قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيْطِينَ عَلَى الْكُفْرِينَ تَؤُذُهُمْ أَزًّا﴾ ﴿٨٣﴾، والإرسال يقابل الإمساك. قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿٥٦﴾ (٦).

والإرسال: التوجيه وقد أرسلت إليه وهي الرسالة والرسالة، وقد ترأسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض، والرسول: الرسالة والمرسل والجمع أرسل ورسل (٧).

وعلى هذا فالرسول: هو الموجه والمبعوث إلى قوم ليؤدي إليهم رسالة ويبلغهم أمرا.

ثانيا: تعريف الرسول في الاصطلاح:

قال الطحاوي: الرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه (٨).

وقال الألوسي في تعريف الرسول: هو من أوحى إليه بشرع جديد (٩).

والتعريف الثاني فيه إشكال سيأتي في الفرق بين الرسول والنبي.

(١) سورة الأنعام، الآية (٤٨).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٦١).

(٣) سورة الشعراء، الآية (٥٣).

(٤) سورة مريم، الآية (٨٣).

(٥) سورة فاطر، الآية (٢).

(٦) المفردات في غريب القرآن (ص ٣٥٢ - ٣٥٣).

(٧) المخصص (٤١٦/٣).

(٨) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (ص ١١٧)، وانظر: أيضا: تفسير الألوسي (١٦٥/٩).

(٩) تفسير الألوسي (١٦٥/٩).

ثالثاً: تعريف النبي لغة:

قال الراغب: (النبي بغير همز، قال النحويون: أصله الهمز فترك همزه، واستدلوا بقولهم: مسيلمة نبيئ سوء. وقال بعض العلماء: هو من النبوة، أي: الرفعة، وسمي نبيا لرفعة محله عن سائر الناس المدلول عليه بقوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾^(١). فالنبي بغير الهمز أبلغ من النبيء بالهمز، لأنه ليس كل منبأ رفيع القدر والمحل. والنبوة والنباوة: الارتفاع، ومنه قيل: نبا بفلان مكانه، كقولهم: قض عليه مضجعه، ونا السيف عن الضريبة: إذا ارتد عنه ولم يمض فيه، ونا بصره عن كذا تشبيهاً بذلك)^(٢).

قال الجوهري: (والنَّبَوَةُ والنبَاوَةُ: ما ارتفع من الأرض. فَإِنْ جعلت النَّبِيَّ مأخوذاً منه، أي أنه شُرِّفَ على سائر الخلق فأصله غير الهمز، وهو فعيل بمعنى مفعول، وتصغيره نبي، والجمع أنبياء)^(٣).

قال أبو الفضل^(٤): (قوله ونبيك الذي أرسلت النبي يهمز ولا يهمز فمن همزه جعله من النبأ وهو الخبر فعيل بمعنى فاعل لأنبائه عن أمر الله تعالى وشريعته وما بعثه به وقيل بمعنى مفعول لأن الله أنباه بوحيه وإسرار غيبه وقيل أيضاً اشتق من النبي مهموز وهو ما ارتفع من الأرض لرفعة منازلهم وقيل النبي بالهمز أيضاً الطريق فسموا بذلك لأنهم الطرق إلى الله ومن لم يهمز وهي

(١) سورة مريم، الآية (٥٧).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص ٧٩٠).

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/٢٥٠٠)، وانظر: مختار الصحاح (ص ٣٠٤).

(٤) القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي؛ كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها "الإكمال في شرح كتاب مسلم، ومنها "مشارك الأنوار" وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي: الموطأ والبحاري ومسلم ت ٥٤٤ هـ تهذيب الأسماء واللغات (٢/٤٣) وفيات الأعيان (٣/٤٨٣).

لغة قريش فأما تسهيلا من الهمز وقيل من النبوة وهو الارتفاع لرفعة منازلهم وشرفهم على الخلق كما تقدم^(١) فالنبي هو المخبر عن الله سبحانه الهادي لقومه وهو أعلاهم منزلة وأشرفهم قدرا.

رابعا: تعريف النبي اصطلاحا:

فالطحاوي يرى: أن النبي من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه^(٢).

قال الألوسي: النبي من بعث لتقرير شرع من قبله^(٣).

والتعريفان لم يسلمتا من الاعتراضات كما ذكرت. ونحتاج إلى تحرير أكثر ولعل هذا يتبين من خلال الفرق بين الرسول والنبي.

خامسا: الفرق بين الرسول والنبي:

قال شيخ الإسلام: (والمقصود هنا: الكلام على النبوة؛ فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبيء بما أنبأ الله به؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليلبغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يلبغه عن الله رسالة؛ فهو نبي،

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/٢).

(٢) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (ص ١١٧)، قال الأشقر: وهذا الذي ذكره هنا بعيد لأمر:

الأول: أن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيِّ ﴾ [سورة الحج، الآية: ٥٢]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ. الثاني: أن ترك البلاغ كتمان لוחي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتفم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثم يموت هذا العلم بموته، الثالث: قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس: " عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد " فدلَّ هذا على أنَّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم. الرسل والرسالات (ص ١٤ - ١٥).

(٣) تفسير الألوسي (١٦٥/٩)، واختاره الأشقر في كتابه الرسل والرسالات (ص ١٥)، وهذا أيضاً يرد عليه اعتراض، وهو أن النبي ﷺ مكث أعواما بعد النبوة لم يؤمر فيها بالتبليغ، حتى نزلت عليه سورة المدثر. وأصبح رسولا فأخذ يبلغ، قال ابن كثير: وبهذا حصل الإرسال، كما حصل بالأول النبوة. تفسير ابن كثير ت سلامة (٢٦٢/٨).

وليس برسول؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾؛ فذكر إرسالاً يعمّ النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول؛ فإنّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله؛ كنوح. وقد ثبت في الصحيح أنّه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض^(٢).

وقد كان قبله أنبياء؛ كشيث، وإدريس^(٣) عليهما السلام، وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً. قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح، عشرة قرون كلهم على الإسلام.

أنبياء بني إسرائيل يحكمون بالتوراة فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم؛ لكونهم مؤمنين بهم؛ كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول. وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرهم بشريعة التوراة، وقد يُوحى إلى أحدهم وحي خاص في قصة معينة، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يفهمه الله في قضية معنى يطابق القرآن؛ كما فهم الله سليمان حكم القضية التي حكم فيها هو وداود. فالأنبياء ينبتهم الله؛ فيخبرهم بأمره، ونهيته، وخبره. وهم يُنبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر، والنهي. فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، ولا بُدّ أن يكذب الرسل قوم؛ قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾^(٤).

(١) سورة الحج، الآية (٥٢).

(٢) حديث الشفاعة، وفيه قوله ﷺ: "فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض.. " الحديث أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى: ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ حديث رقم ٤٧١٢. ومسلم في صحيحه (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها حديث رقم ٣٢٧).

(٣) قال ابن كثير: عن نبي الله إدريس "كان أول بني آدم أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام". البداية والنهاية ط إحياء التراث (١/١١١).

(٤) سورة الذاريات، الآية (٥٢).

وقال: ﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾^(١)؛ فإنَّ الرسل تُرسل إلى مخالفين؛ فيكذبهم بعضهم. وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(١٠٩) حتى إذا استيسر الرُّسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴿١١٠﴾^(٢). وقال: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾^(٥١) فقلوه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾^(٤): دليل على أن النبي مرسل، ولا يسمى رسولا عند الإطلاق؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق؛ كالعالم، ولهذا قال النبي ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء"^(٥).

ليس من شروط الرسول أن يأتي بشرع جديد وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإنَّ يوسف كان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾^(٦)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا

(١) سورة فصلت، الآية (٤٣).

(٢) سورة يوسف، الآية (١٠٩ - ١١٠).

(٣) سورة غافر، الآية (٥١).

(٤) سورة الحج، الآية (٥٢).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم ٣٦٤١) والترمذي في جامعه (كتاب

العلم، باب فضل الفقه على العبادة. ٢٦٨٢) وابن ماجه في سننه المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب

العلم، رقم ٢٢٣. وقد صححه الألباني في (صحيح سنن الترمذي ٢٣٤٢)، و (صحيح سنن ابن ماجه ١٤٣).

(٦) سورة غافر، الآية (٣٤).

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ (١).

إلى أن قال: فرسل الله الذين يبلغون عن الله أمره ونهيه: هي رسل الله عند الإطلاق.

وأما من أرسله الله ليفعل فعلاً بمشيئة الله وقدرته: فهذا عامٌ يتناول كلَّ الخلق (٢).

تعددت الأقوال في الفرق بين النبي والرسول، وكلّهما لا تخلو من مناقشة، ولا تسلم من اعتراضات ترد عليها. ولكن من أسلم الفروقات، وهو ما لخصته من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في وجهة نظري.

أولاً: النبي: هو من يُنبئ بما أنبأ الله به، ولا يُسمّى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنه لم يُرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق؛ كالعالم؛ إذ النبي يعمل بشريعة من قبله. فالأنبياء يُنبئهم الله؛ فيخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره، وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله من الخبر، والأمر، والنهي.

ثانياً: الرسول: هو من أنبأه الله وأرسله إلى من خالف أمره، ليلبغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول. فالرسل: من أرسلوا إلى كفار يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له. فإنّ الرسل ترسل إلى مخالفين، فيكذبهم بعضهم. والرسول يُسمّى رسولاً على الإطلاق؛ لأنّه يُرسل إلى قوم بما لا يعرفونه. وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإنّ يوسف عليه السلام كان رسولاً، وكان على ملة إبراهيم عليه السلام، وداود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة.

(١) سورة النساء، الآية (١٦٣).

(٢) النبوات لابن تيمية (٢/٧١٤ - ٧٢١).

سادسا: أهمية الرسل في حياة البشر:

قال عبدالرزاق عفيفي: (الأفعال الاختيارية منها ما تحمد عاقبته، فيجمل بالعاقل فعله والحرص عليه، ولو ناله في سبيل تحصيله حرج ومشقة، وأصابه منه في عاجل أمره كثير من الآلام، ومنها من تسوء مغبته، فيجدر بالعاقل أن يتماسك دونه، وأن يتنكب طريقه خشية شره، وطلباً للسلامة من ضره، وإن كان فيه ما فيه من اللذات العاجلة التي تغري الإنسان بفعله وتخدعه عما فيه سلامته، غير أن العاقل قد يقصر في كثير شؤونه عن التمييز بين حسن الأفعال وقبيحها، ونافعها وضارها، فلا بد له من معين يساعده على إدراك ما قصر عنه إدراكه، وقد يعجز كلياً عن العلم بما يجب عليه علمه، لأنه ليس في محيط عقله ولا دائرة فكره، مع ما في علمه به من صلاحه وسعادته، وذلك كمعرفته بالله واليوم الآخر والملائكة تفصيلاً، فكان في ضرورة إلى أن يهديه الطريق في أصول دينه، وقد يتردد في أمر، إما لعارض هوى وشهوة، أو لتزاحم الدواعي واختلافها، فيحتاج إلى من ينقذه من الحيرة، ويكشف له حجاب الضلالة بنور الهدى، فبان بذلك حاجة العالم إلى رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويكلمهم بمعرفة ما قصرت عنه أفهامهم، ويوقفهم على حقيقة ما عجزوا عنه، ويدفع عنهم آلام الحيرة ومضرة الشكوك. أضف إلى ذلك أن تفاوت العقول وتباين الأفكار واختلاف الأغراض والمنافع ينشأ عنه تضارب الآراء وتناقض المذاهب، وذلك يفضي إلى سفك الدماء، ونهب الأموال، والاعتداد على الأغراض، وانتهاك الحرمات، وبالجملة ينتهي إلى تخريب وتدمير لا إلى تنظيم وحسن تدبير، ولا يرتفع ذلك إلا برسول يأتي بفصل الخطاب، ويقدم الحجة، ويوضح المحجة، وينشر العدل، فاقتضت حكمة الله أن يرسل الرسل، وينزل الكتب، رحمة بعباده، وإقامة للعدل بينهم، وتبصيراً لهم بما يجب عليهم من حقوق خالقهم، وإعانة لهم على أنفسهم،

وإعدادا إليهم، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب^(١).

فحكمة إرسال الرسل تتلخص في:

١- إقامة الحجة على الخلق حتى لا يحتج أحد على الله، يقول تعالى: ﴿لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٢).

قال الواحدي: (فيه دليل على أنه لو لم يبعث الرسل لكان للناس حجة في ترك الطاعة والتوحيد والمعرفة، وقد قال في آية أخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾^(٣) فبين أنهم كانوا يحتجون بعدم الرسول لو لم يبعث إليهم^(٤) وقال أيضا سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٥).

قال ابن كثير عند هذه الآية: (إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه، كقوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُم خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾^(٦) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ^(٦) وكذا قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ

(١) الحكمة من إرسال الرسل (ص ٦٢-٦٣).

(٢) سورة النساء، الآية (١٦٥).

(٣) سورة طه، الآية (١٣٤).

(٤) البسيط (٧/١٩٧-١٩٨) وينظر: تفسير الطبري (٧/٦٩٣).

(٥) سورة الإسراء، الآية (١٥).

(٦) سورة المللك، الآية (٨ - ٩).

حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ ^(١) وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ^(٢) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحد النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ^(٣).

٢- ومن الحكم في إرسال الرسل البشارة والندارة، فيبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعذاب قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَن ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ^(٤).

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: وما نرسل رسلنا إلا ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم القيامة، جزاء منا لهم على طاعتنا، وبإندار من عصانا وخالف أمرنا، عقوبتنا إياه على معصيتنا يوم القيامة، جزاء منا على معصيتنا، لنعذر إليه، فيهلك إن هلك عن بينة. ﴿فَمَن ءَامَنَ وَأَصْلَحَ﴾ يقول: فمن صدق من أرسلنا إليه من رسلنا إنذارهم إياه، وقبل منهم ما جاءوه به من عند الله وعمل صالحا في الدنيا، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ^(٥) عند قدومهم على ربهم من عقابه وعذابه الذي أعده الله لأعدائه وأهل معاصيه: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٦) عند ذلك على ما ما خلفوا وراءهم في الدنيا و القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأما الذين كذبوا بمن أرسلنا إليه من رسلنا

(١) سورة الزمر، الآية (٧١).

(٢) سورة فاطر، الآية (٣٧).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤٩/٥).

(٤) سورة الأنعام، الآية (٤٨ - ٤٩).

(٥) سورة البقرة، الآية (٣٨).

(٦) سورة البقرة، الآية (٣٨).

وخالفوا أمرنا ونهينا ودافعوا حجتنا، فإنهم يباشروهم عذابنا وعقابنا على تكذيبهم ما كذبوا به من حججنا ﴿يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(١) يقول: بما كانوا يكذبون^(٢) وغير ذلك من الحكم مما أشير إليه سابقا، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل يعلمونهم ويرشدونهم ويهدونهم إلى دين الله، ولولا رحمة الله ما أرسل إليهم، ولوكلهم إلى العهد السابق الذي أخذه عليهم وهم في أصلاب آبائهم، وعذبهم بناء عليه^(٣).

وقد جاءت نداءات الناس في القرآن الكريم في عدة مواضع تذكيرا لهم بهذه النعمة العظيمة، ورحمة بهم لينالوا السعادة في الدارين.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٤).

أولاً: النداء في الآية.

قال الطبري قوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ مشركي العرب، وسائر أصناف الكفر^(٥).

قال القرطبي: هذا خطاب للكل^(٦). وقد ورد عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس: يا أيها الناس أي الفرقين جميعا من الكافرين والمنافقين^(٧). والنداء يتناول الجميع للعموم اللفظ والله أعلم.

(١) سورة البقرة، الآية (٥٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٥٥/٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم لسورة النساء (٤٨٦/٢).

(٤) سورة النساء، الآية (١٧٠).

(٥) تفسير الطبري (٦٩٧/٧).

(٦) تفسير القرطبي (٢٠/٦)، وانظر: زاد المسير في علم التفسير (٥٠٠/١)، و تفسير السعدي (ص ٢١٥).

(٧) تفسير ابن أبي حاتم - محققا (١١٢٢/٤).

ثانياً: الغرض من النداء إقامة الحجّة والتذكير بالعهد السابق.

ثالثاً: موضوع النداء إرسال الرسل.

قال الطبري ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ﴾ يعني: محمداً ﷺ^(١) قال ابن عثيمين: و(الرسول) هو محمد ﷺ؛ لأن (أل) هنا للعهد الذهني، إذ لا رسول مع محمد ﷺ^(٢).

قد جاءكم ﴿بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يقول الطبري: أي (بالإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ديناً، يقول: من ربكم: يعني من عند ربكم)^(٣). وفيه إشارة إلى أنه يجب قبول الرسول والإيمان به لأنه قال من ربكم.

وقال ابن الجوزي: أي بالهدى، والصدق^(٤).

وقال القرطبي: أي بالقرآن. وقيل: بالدين الحق، وقيل: بشهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: الباء للتعدية، أي جاءكم ومعه الحق، فهو في موضع الحال^(٥). والآية تدل على جميع ما ذكر، فهو من اختلاف التنوع.

وقوله ﴿فَكَاْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ قال ابن عثيمين: الفاء للتفريع، أي فيتفرع على ذلك وجوب الإيمان. أي آمنوا بالرسول وبما جاء به^(٦). قال الطبري: (فصدقوه وصدقوا بما جاءكم به من عند ربكم من الدين، فإن الإيمان بذلك خير لكم من الكفر به)^(٧).

(١) تفسير الطبري (٦٩٧/٧) وانظر: تفسير القرطبي (٢٠/٦) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤٢٤/٢).

(٢) تفسير القرآن الكريم لسورة النساء (٤٩٨/٢).

(٣) تفسير الطبري (٦٩٧/٧).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٥٠٠/١).

(٥) تفسير القرطبي (٢٠/٦).

(٦) تفسير القرآن الكريم لسورة النساء (٥٠٠/٢).

(٧) تفسير الطبري (٦٩٧/٧).

قال السعدي عند هذه الآية (يأمر تعالى جميع الناس أن يؤمنوا بعبده ورسوله محمد ﷺ وذكر السبب الموجب للإيمان به، والفائدة في الإيمان به، والمضرة من عدم الإيمان به، فالسبب الموجب هو إخباره بأنه جاءهم بالحق. أي: فمجيئه نفسه حق، وما جاء به من الشرع حق، فإن العاقل يعرف أن بقاء الخلق في جهلهم يعمهون، وفي كفرهم يترددون، والرسالة قد انقطعت عنهم غير لائق بحكمة الله ورحمته، فمن حكمته ورحمته العظيمة نفس إرسال الرسول إليهم، ليعرفهم الهدى من الضلال، والغي من الرشد، فمجرد النظر في رسالته دليل قاطع على صحة نبوته. وكذلك النظر إلى ما جاء به من الشرع العظيم والصراط المستقيم. فإن فيه من الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلية، والخبر عن الله وعن اليوم الآخر ما لا يعرف إلا بالوحي والرسالة. وما فيه من الأمر بكل خير وصلاح، ورشد وعدل وإحسان، وصدق وبر وصلة وحسن خلق، ومن النهي عن الشر والفساد والبغي والظلم وسوء الخلق، والكذب والعقوق، مما يقطع به أنه من عند الله. وكلما ازداد به العبد بصيرة، ازداد إيمانه ويقينه، فهذا السبب الداعي للإيمان. وأما الفائدة في الإيمان فأخبر أنه خير لكم والخير ضد الشر. فالإيمان خير للمؤمنين في أبدانهم وقلوبهم وأرواحهم وديناهم وأخراهم. وذلك لما يترتب عليه من المصالح والفوائد، فكل ثواب عاجل وآجل فمن ثمرات الإيمان، فالنصر والهدى والعلم والعمل الصالح والسرور والأفراح، والجنة وما اشتملت عليه من النعيم كل ذلك مسبب عن الإيمان. كما أن الشقاء الدنيوي والأخروي من عدم الإيمان أو نقصه. وأما مضرة عدم الإيمان به ﷺ فيعرف بضد ما يترتب على الإيمان به. وأن العبد لا يضر إلا نفسه، والله تعالى غني عنه لا تضره معصية العاصين، ولهذا قال: ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: الجميع خلقه وملكه، وتحت تدبيره وتصريفه ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ﴾ بكل شيء ﴿ حَكِيمًا ﴾ في خلقه وأمره. فهو العليم بمن يستحق الهداية والغواية، الحكيم في وضع الهداية والغواية موضعهما^(١).

(١) تفسير السعدي (ص ٢١٥).

قال ابن عثيمين وختم الله هذه الآية بقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ بالعلم والحكمة إشارة إلى أن كفر هؤلاء الذين كفروا بالرسول ﷺ كان عن علم وحكمة من الله، أما كونه عن علم فلأنه في ملكه، ولن يكون في ملكه ما لا يعلمه. وأما كونه عن حكمة فلأنه لا تقوم أحوال العباد ولا دين العباد إلا بهذا التقسيم، أي: أن يكون بعضهم مؤمنا وبعضهم كافرا، ولولا هذا الانقسام ما قام علم الجهاد، ولا تميز المؤمن من الكافر^(١).

وفي النداء الثاني من نداءات الناس في إرسال الرسل يقول تعالى: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ لَكَرِيمٌ مُّذِرٌ مُّذِينٌ﴾^(٢).

أولا: النداء في الآية.

قوله: ﴿قُلْ يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ﴾ قال القرطبي: يعني أهل مكة^(٣).

ويرى السعدي: أن الخطاب لجميع الناس^(٤) فيقول عند هذه الآية يأمر تعالى عبده ورسوله محمدا ﷺ أن يخاطب الناس جميعا، بأنه رسول الله حقا، مبشرا للمؤمنين بثواب الله، منذرا للكافرين والظالمين من عقابه.

ثانيا: الغرض من النداء الإعلام بأن تكذيبهم واستهزاءهم لا يضر الرسل^(٥).

ثالثا: موضوع النداء إرسال الرسل وإقامة الحجّة.

(١) تفسير القرآن الكريم لسورة النساء (٥٠١/٢).

(٢) سورة الحج، الآية (٤٩).

(٣) تفسير القرطبي (٧٨/١٢) وانظر: التحرير والتنوير (٢٩٣/١٧).

(٤) تفسير السعدي (ص ٥٤١).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٢٩٣/١٧).

قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: (استئناف بعد المواعظ السالفة والإنذارات، وافتتاحه بقل للاهتمام به، وافتتاح المقول بنداء الناس للفت ألباهم إلى الكلام. والمخاطبون هم المشركون. والغرض من خطابهم إعلامهم بأن تكذيبهم واستهزاءهم لا يغيظ النبي ﷺ ولا يصدده عن أداء رسالته، ففي ذلك قمع لهم إذ كانوا يحسبون أنهم بتكذيبهم واستهزائهم يملونه فيترك دعوتهم، وفيه تثبيت للنبي وتسلية له فيما يلقاه منهم. وقصر النبي على صفة الندارة قصر إضافي، أي لست طالبا نكايتكم ولا تزلفا إليكم فمن آمن فلنفسه ومن عمي فعليها. والندير: المحذر من شر يتوقع.

وفي تقديم الجور المؤذن بالاهتمام بندارتهم إيماء إلى أنهم مشرفون على شر عظيم فهم أحرى بالندارة. والمبين: المفصح الموضح، أي مبين للإنذار بما لا إيهام فيه ولا مصانعة. وفرع على الأمر بالقول تقسيم للناس في تلقي هذا الإنذار المأمور الرسول بتبليغه إلى مصدق ومكذب لبيان حال كلا الفريقين في الدنيا والآخرة ترغيبا في الحالة الحسنى وتحذيرا من الحالة السوأى فقال تعالى: فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم إلى آخره... فهذا إخبار من الله تعالى كما يقتضيه قوله في آياتنا^(١).

وهذه من الحكم التي بعث الله من أجلها الرسل قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٢).
وأیضا من النداءات: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾^(٣).

(١) التحرير والتنوير (١٧/٢٩٣ - ٢٩٤).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٤٨).

(٣) سورة النساء، الآية (١٧٤).

أولاً: النداء في الآية.

قال ابن كثير قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ الخطاب لجميع الناس^(١).

ثانياً: الغرض من النداء الإعذار وإقامة الحجّة على ذلك.

ثالثاً: موضوع النداء إرسال الرسل:

قوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ﴾ قال السمعاني^(٢) قيل: هو محمد، على هذا أكثر المفسرين. وقيل: هو القرآن^(٣).

وقال ابن الجوزي: في البرهان ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الحجّة. والثاني: القرآن. والثالث: أنه النبيّ محمد عليه السلام^(٤).

قوله ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ هو القرآن^(٥).

وسماه نورا لأن به تتبين الأحكام ويهتدى به من الضلالة، فهو نور مبين، أي واضح بين^(٦).

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤٢٨/٢) تفسير الطبري (٧١١/٧) وانظر: التحرير والتنوير (٦٢/٦) و تفسير السعدي (ص ٢١٧).

(٢) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، التميمي السمعاني - نسبة إلى سمعان بطن من بطون بني تميم - المروزي الشافعي، له مؤلفات عديدة منها: تفسير القرآن الكريم، منهاج أهل السنة، الانتصار والرد على القدرية، وفاته سنة: ٤٨٩ هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣٣٥/٥)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١٤/١٩)، وطبقات المفسرين للدوادني (ص ١٤٣).

(٣) تفسير السمعاني (٥٠٧/١)، و تفسير البغوي - طيبة (٣١٥/٢).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٥٠٣/١).

(٥) تفسير السمعاني (٥٠٧/١)، و تفسير البغوي - طيبة (٣١٥/٢)، و زاد المسير في علم التفسير (٥٠٣/١)، و تفسير القرطبي (٢٧/٦)، و فتح القدير للشوكاني (٦٢٥/١).

(٦) تفسير القرطبي (٢٧/٦)، وزاد المسير في علم التفسير (٥٠٣/١)، و فتح القدير للشوكاني (٦٢٥/١).

قال الطبري في تأويل هذه الآية: (يا أيها الناس من جميع أصناف الملل، يهودها ونصاراها ومشركيها، الذين قص الله جل ثناؤه قصصهم في هذه السورة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يقول: "قد جاءتكم حجة من الله تبرهن لكم بطول ما أنتم عليه مقيمون من أديانكم ومللكم، وهو محمد ﷺ، الذي جعله الله عليكم حجة قطع بها عذرکم، وأبلغ إليكم في المعذرة بإرساله إليكم، مع تعريفه إياكم صحة نبوته وتحقيق رسالته. ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ يقول: "وأنزلنا إليكم معه نورا مبينا، يعني: يبين لكم المحجة الواضحة والسبل الهداية إلى ما فيه لكم النجاة من عذاب الله وأليم عقابه إن سلكتموها واستترتم بضوئه. وذلك النور المبين هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ^(١).

وقال ابن عثيمين: (قوله ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ الخطاب هنا لإفادة الناس أن رسالة النبي ﷺ عامة لا تختص بقوم دون قوم، فالناس كلهم مخاطبون بشريعة النبي ﷺ، حتى اليهود والنصارى مخاطبون بذلك.

وقوله ﴿بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ البرهان هو الدليل، والمراد بها الآيات التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأعظم آية جاءت بها الرسل آية النبي ﷺ، وهو القرآن الذي بقي آية للرسول ﷺ إلى أن يأذن الله تعالى بخراب العالم^(٢).

(١) تفسير الطبري (٧/٧١١).

(٢) تفسير القرآن الكريم لسورة النساء (٢/٥٢٨).

المطلب الرابع

الأمر باتباع الرسل عليهم السلام

أولاً: معنى الإيمان بالرسل:

لبيان معنى الإيمان بالرسل، قال الحافظ الحكمي: (ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتبوا منه حرفا ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين. وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين والهدى المستبين، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا واتخذ محمدا ﷺ خليلا، وكلم موسى تكليما، ورفع إدريس مكانا عليا، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات)^(١).

ثانياً: حكم الإيمان بالرسل:

هو أحد أركان الإيمان، هكذا جعله رسول الله ﷺ حينما سأله جبريل عليه السلام: عن الإيمان، فقال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/٦٧٧).

وشره^(١)، فلا بد من الإيمان بالرسول جميعهم من أولهم إلى آخرهم، فمن جحد رسولا واحداً منهم فهو كافر بالجميع كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۗ ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۗ ﴿٢﴾﴾، فالكفر بنبي واحد أو برسول كافر بالجميع، كما قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ ۗ ﴿٣﴾﴾، مع أنهم كذبوا نوحاً، فتكذيبهم لنوح صار تكذيباً لبقية المرسلين.

وقد ذكر السمعاني عند هذه الآية: (قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: نوح أول رسول أرسل الله تعالى وهذا محمول على أنه أول رسول أرسله الله تعالى بعد آدم - صلوات الله عليه - وهو صاحب شريعة، وإنما ذكر المرسلين؛ لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل^(٤)).

وقال القرطبي: قوله ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ لأن من كذب رسولا فقد كذب الرسل، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل^(٥).

فلا بد من الإيمان بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، من سمى الله تعالى منهم في كتابه ومن لم يسم.

وكان من دعائه ﷺ: في التهجد عند قيامه من الليل ما يدل على وجوب الإيمان بالرسول. ففي صحيح البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان - باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة الحديث الأول (١).

(٢) سورة النساء، الآية (١٥٠ - ١٥١).

(٣) سورة الشعراء، الآية (١٠٥).

(٤) تفسير السمعاني (٥٧/٤) وانظر: تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/٢٣٧).

(٥) تفسير القرطبي (١١٩/١٣).

الليل يتهدد، قال: (اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك حق، وقولك حق، ولقائك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاکمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، أو: لا إله غيرك)^(١).

وكما أن القرآن ألزم كل أمة أن تؤمن بالأنبياء جميعاً، لا فرق في إيمانها بين الإيمان بنبيها والإيمان بمن سبقه من الأنبياء كما مر في الآية السابقة، وقال أيضاً إخباراً عن هذه الأمة ونبيها: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾^(٢). فذكر الله تعالى الإيمان بالرسول في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون، وبين أنهم في إيمانهم بالرسول لا يفرقون بينهم، بل يؤمنون بهم جميعاً.

ثالثاً: طاعة الرسل عليهم السلام:

لقد بعث الله الرسل وأنزل الكتب وبين الغاية من إرسالهم فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣).

قال الطبري: (لم نرسل يا محمد رسولا إلا فرضت طاعته على من أرسلته إليه، يقول تعالى ذكره: فأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلته إليه)^(٤).

(١) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب الدعاء إذا انتبه من الليل حديث رقم (٦٣١٧).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

(٣) سورة النساء، الآية (٦٤).

(٤) تفسير الطبري (١٩٨/٧).

بل قد قرن الله تعالى طاعة الرسول بطاعته في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾^(١) قال السعدي: (وهذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر، وهو طاعته وطاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وما هو من فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بل يدخل في طاعته وطاعة رسوله اجتناب ما نهى عنه، لأن اجتنابه امتثالا لأمر الله هو من طاعته، فمن أطاع الله ورسوله، فأولئك هم المفلحون ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فليس ثم أمر يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان مريد ﴿كٰتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(٢) فهذا قال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم أشد العقوبة، وكأن في هذه الآية الكريمة بيانا وتفسيرا لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي^(٣).

كيف لا يطاع والله يخبر عنه بأنه لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤).

وقد أكد جل شأنه أن طاعة رسوله مؤدية إلى محبته سبحانه وتعالى فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

قال السعدي: (وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في

(١) سورة آل عمران، الآية (٣٢).

(٢) سورة الحج، الآية (٤).

(٣) تفسير السعدي (ص ١٢٨).

(٤) سورة النجم، الآية (٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية (٣١).

أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص^(١).

وبين الله ثمرة الطاعة لرسوله ﷺ في كتابه فقال ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢).

قوله من النبيين: تشمل الرسل لأن كل رسول نبي وقوله الصديقين: الصديق هو: الذي صدق بالحق، وقال بالصدق بينه قوله تعالى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣) وأفضل الصديقين هو أبو بكر رضي الله عنه، لأنه أفضل هذه الأمة.

وقوله: الشهداء الشهداء: جمع شهيد. واختلف العلماء فيهم على قولين:

١- إن المراد بالشهداء أهل العلم لقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْفُسَطٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

(١) تفسير السعدي (ص ١٢٨).

(٢) سورة النساء، الآية (٦٩).

(٣) سورة الزمر، الآية (٣٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٨).

٢- وقيل المراد بالشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١) والصحيح: أن الآية عامة، لأن العلماء شهداء استشهدهم الله سبحانه على الخلق، فهم يشهدون بالحق، ويشهدون على الخلق.

وقوله من (الصالحين) الصلاح وصف عام فيكون عطفه على ما سبق من باب عطف العام على الخاص، والصالح: ضد الفاسد وهو المطيع لله، لأن الفاسد هو العاصي لله كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(٢) وعبر بعضهم عن ذلك بقوله: الصالح: من قام بحق الله وحق العباد، وهذا بمعنى الأول، لأن المطيع لله لا بد أن يكون قائما بحق الله، وحق العباد^(٣).

رابعاً: عاقبة عصيان الرسل عليهم السلام:

من المعلوم أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان بالله فعليه لا يستقيم لأحد دين ولا يقبل منه أي عمل إلا إذا أيقن برسالتهم، وأذعن لكل ما جاءوا به من الشرائع، كل حسب طاقته وبقدر ما بلغه من ذلك إجمالاً أو تفصيلاً^(٤).

فالكفر برسول واحد كفر بالجميع، ومعصية رسول واحد معصية للجميع، يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(٥).

قال الزمخشري: (وتلك عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم، كأنه قال: سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا، ثم استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا

(١) سورة آل عمران، الآية (١٦٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٦).

(٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم لسورة النساء (١/ ٥٠٠ - ٥٠٤) بتصرف.

(٤) ينظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة (ص ١٧١).

(٥) سورة هود، الآية (٥٩).

عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله، لا نفرق بين أحد من رسله قيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده^(١).

وقد حذر الله سبحانه أمة محمد ﷺ من معصيته فقال جل وعلا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

قال ابن كثير: (وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ أنه قال (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٣) أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرا. أن تصيبهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك)^(٤).

بل تواعد من أعرض عنه وعصاه ولم يهتد بهداه، بنار جهنم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾^(٥).

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: ومن يعص الله فيما أمره ونهاه، ويكذب به ورسوله، فجدد رسالاته، فإن له نار جهنم يصلهاها. (خالدين فيها أبدا) يقول: ماكثين فيها أبدا إلى غير نهاية)^(١).

(١) تفسير الزمخشري (٢/٤٠٥).

(٢) سورة النور، الآية (٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع - باب النجش ومن قال لا يجوز ذلك البيع معلقا في مقدمة الباب، وفي كتاب الاعتصام، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود معلقا، وأخرجه مسلم في صحيحه موصولا في كتاب الحدود باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور حديث رقم (١٨).

(٤) تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/٨٢).

(٥) سورة الجن (٢٣).

ويوضح المقصود بالمعصية هنا العلامة السعدي فيقول: (وهذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الأخر المحكمة. وأما مجرد المعصية، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة)^(٢).

وثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبتى)، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبتى)^(٣).

قال العيني^(٤): (قوله: إلا من أبتى أي: امتنع عن قبول الدعوة أو عن امتثال الأمر، فإن قلت: العصي يدخل الجنة أيضا، إذ لا يبقى مخلدا في النار؟ قلت: يعني لا يدخل في أول الحال، أو المراد بالإباء الامتناع عن الإسلام)^(٥). فالحذر ثم الحذر من عصيان الرسول ﷺ فإن العاقبة غير حميدة.

وقد جاءت نداءات الناس في اتباع الرسول ﷺ في القرآن الكريم في عدة مواضع يقول تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ

(١) تفسير الطبري (٢٣/٣٥٠).

(٢) تفسير السعدي (ص ٨٩١).

(٣) صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ حديث رقم (٧٢٨٠).

(٤) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العنتابي الحنفي العلامة قاضي القضاة بدر الدين العيني، ولد في رمضان سنة ثنتين وستين وسبعمائة بعنتاب، ونشأ بها وتفقه، واشتغل بالفقه وبرع ومهر، وانتفع في النحو وأصول الفقه والمعاني وغيرها بالعلامة جبريل بن صالح البغدادي، ولي نظر الحسبة بالقاهرة مرارا، ثم نظر الأحباس، ثم قضاء الحنفية بها، ودرس الحديث بالمؤيدية، وكان إماما عالما علامة عارفا بالعربية والتصريف وغيرهما، حافظا للغة، سريع الكتابة. عمر مدرسة بقرب الجامع الأزهر، ووقف بها كتبه. مات في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة. بغية الوعاة (٢/٢٧٥-٢٧٦)، وانظر: الأعلام للزركلي (٧/١٦٣).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥/٢٧).

إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾.

أولاً: النداء في الآية:

قوله ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ النداء في هذه الآية، قال عنه ابن كثير: خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي^(١) أي أنه خطاب عام وعليه أكثر المفسرين.

وقال السمرقندي: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ يعني: يا أهل مكة ويقال: هو لجميع الناس^(٢).

في هذه الآية الكريمة ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدوا ﴿٤﴾.

يقول الشنقيطي: التصريح بأنه ﷺ رسول إلى جميع الناس، وصرح بذلك في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾^(٥)، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْنَا مَوْعِدَهُ﴾^(٧)، وقيد في موضع آخر عموم رسالته ببلوغ هذا القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ لِأَنَّكَ تَنْذِرُكَ بِهِ﴾

(١) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣/٤٤٠)، وانظر: تفسير السعدي (ص ٣٠٥)، والتحريير والتنوير (٩/١٣٩)، وتفسير الرازي (١٥/٣٨٣).

(٣) تفسير السمرقندي (١/٥٥٧).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٥) سورة سبأ، الآية (٢٨).

(٦) سورة الفرقان، الآية (١).

(٧) سورة هود، الآية (١٧).

وَمَنْ بَلَغَ ﴿١﴾، وصرح بشمول رسالته لأهل الكتاب مع العرب بقوله: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ إِسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ ﴿٢﴾، إلى غير ذلك من الآيات) ﴿٣﴾.

ثانياً: الغرض من النداء الحض على اتباع الرسول ﷺ عند قوله تعالى في نفس النداء ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال ابن عطية: هو الحض على اتباع محمد ﷺ ﴿٤﴾. وقال السعدي: إيماننا في القلب، متضمنا لأعمال القلوب والجوارح ﴿٥﴾.

قوله ﴿وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ قال ابن عطية: قوله (وَأَتَّبِعُوهُ) لفظ عام يدخل تحته جميع إزامات الشريعة جعلنا الله من متبعيه على ما يلزم بمنه ورحمته ﴿٦﴾.

وقد بين الأثر المترتب على طاعة الله ورسوله ﷺ العلامة السعدي فقال: في مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتكم ضلالاً بعيداً ﴿٧﴾.

ثالثاً: موضوع النداء الأمر باتباع الرسل عليهم السلام:

قال الطبري عند هذا النداء: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للناس كلهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من

(١) سورة الأنعام، الآية (١٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢٠).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤١/٢-٤٢).

(٤) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٦٥/٢).

(٥) تفسير السعدي (ص ٣٠٥).

(٦) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٦٥/٢).

(٧) تفسير السعدي (ص ٣٠٥).

الرسول، مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض ولكنها إلى جميعكم.

قوله: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول جل ثناؤه: قل لهم: فصدقوا بآيات الله الذي هذه صفته، وأقروا بوحدانيته، وأنه الذي له الألوهة والعبادة، وصدقوا برسوله محمد ﷺ أنه مبعوث إلى خلقه داع إلى توحيدِهِ وطاعته^(١).

وقد وصف الله نبيه ﷺ بالأمي في قوله ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾

قال ابن الجوزي: في تسميته بالأمي قولان:

أحدهما: لأنه لا يكتب.

والثاني: لأنه من أمّ القرى^(٢).

وقال البيضاوي: الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ، وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته^(٣).

وقال الطبري موضحاً معنى كلماته في قوله: ﴿الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ يقول: الذي يصدق بالله وكلماته.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (وكلماته).

فقال بعضهم: معناه: وآياته^(٤).

(١) تفسير الطبري (١٠/٤٩٨-٤٩٩).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/١٦٠).

(٣) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٣٧).

(٤) تفسير الطبري (١٠/٤٩٩).

وقال آخرون: بل عنى بذلك عيسى ابن مريم عليه السلام. ثم رجح رحمه الله بين الأقوال فقال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدقوا بنبوة النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته. ولم يخصص الخبر جل ثناؤه عن إيمانه من كلمات الله ببعض دون بعض، بل أخبرهم عن جميع الكلمات، فالحق في ذلك أن يعم القول، فإن رسول الله ﷺ كان يؤمن بكلمات الله كلها على ما جاء به ظاهر كتاب الله^(١).

وقال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ الآية^(٢). لم يبين هنا كثرة كلماته ولكنه بين ذلك في مواضع أخرى، كقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(٣)، وقوله: الحميد ﴿لَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٤)^(٥).

وقال البيضاوي عند هذه الآية ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه. وقرئ «وكلمته» على إرادة الجنس أو القرآن، أو عيسى تعريضاً لليهود وتنبهياً على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه، وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع له. وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ جعل

(١) المرجع السابق (٥٠٠/١٠).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٣) سورة الكهف، الآية (١٠٩).

(٤) سورة لقمان، الآية (٢٧).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤١/٢-٤٢).

رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيهاً على أن من صدقه ولم يتابعه بالترام شرعه فهو يعد في خطط الضلالة^(١).

ثم يأتي النداء الثاني موضحاً أن اتباع الرسل يستلزم اتباع ما جاءوا به، إذ يترتب عليه الهداية والضلال، ومن ثم الجنة أو النار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾^(٢).

أولاً: النداء في الآية ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ﴾.

قال فيه ابن عطية: هذه مخاطبة لجميع الكفار مستمرة مدى الدهر.^(٣) أي أنها خاصة بالكفار.

وقال ابن عاشور: الخطاب لجميع الناس من مؤمن وكافر، والمقصود منه ابتداء المشركون.^(٤) والعموم ظاهر في الآية بدليل (فمن اهتدى) فهذا في شأن المؤمن.

(ومن ضل) فهذا في شأن الكافر.

ثانياً: الغرض من النداء الغرض من النداء الحض على اتباع الرسول ﷺ.

ثالثاً: موضوع النداء الأمر باتباع الرسل عليهم السلام.

قوله سبحانه: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ قال ابن الجوزي فيه قولان:

أحدهما: أنه القرآن.

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣/٣٨).

(٢) سورة يونس، الآية (١٠٨).

(٣) تفسير ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/١٤٧).

(٤) التحرير والتنوير (١١/٣٠٨).

والثاني: محمد ﷺ^(١).

وزاد الخازن عليهما قولاً ثالثاً: وهو الإسلام^(٢).

وقال السمعاني: الحق هاهنا: هو ما ينجو به الإنسان، وضده: الباطل، وهو الذي يهلك به الإنسان. وقيل: معناه: الإسلام. وقيل: معناه: القرآن^(٣).

يقول البيضاوي في معنى الآية: (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر. فمن اهتدى بالإيمان والمتابعة. فإنما يهتدي لنفسه لأن نفعه لها. ومن ضل بالكفر بهما. فإنما يضل عليها لأن وبال الضلال عليها. وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلى أمركم، وإنما أنا بشير ونذير)^(٤).

وفي افتتاح النداء (ب) (قل) للتنبيه على أنه تبليغ عن الله تعالى فهو جدير بالتلقي. وافتتاح المقول بالنداء لاستيعاء سماعهم لأهمية ما سيقال لهم، والخطاب لجميع الناس من مؤمن وكافر، والمقصود منه ابتداء المشركون، ولذلك أطيل الكلام في شأنهم، وقد ذكر معهم من اهتدى تشريفاً لهم. وأكد الخبر بحرف قد تسجيلاً عليهم بأن ما فيه الحق قد أبلغ إليهم وتحقيقاً لكونه حقاً.

والحق: هو الدين الذي جاء به القرآن، ووصفه ب (من ربكم) للتنويه بأنه حق مبین لا يخلطه باطل ولا ريب، فهو معصوم من ذلك. واختيار وصف الرب المضاف إلى ضمير الناس على اسم الجلالة للتنبيه على أنه إرشاد من الذي يجب صلاح عباده ويدعوهم إلى ما فيه نفعهم

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣٥٤/٢) وانظر: تفسير القرطبي (٣٨٨/٨) و تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٢٦/٣) و تفسير السمرقندي = بحر العلوم (١٣٦/٢).

(٢) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٦٩/٢).

(٣) تفسير السمعاني (٤٠٩/٢).

(٤) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٢٦/٣).

شأن من يرب، أي يسوس ويدبر. وتفريع جملة: فمن اهتدى على جملة: قد جاءكم للإشارة إلى أن مجيء الحق الواضح يترتب عليه أن إتباعه غنم لمتبعه وليس مزية له على الله، ليتوصل من ذلك إلى أن المعرض عنه قد ظلم نفسه، ورتب عليها تبعة الإعراض. واللام في قوله: لنفسه دالة على أن الاهتداء نعمة وغنى وأن الإعراض ضرر على صاحبه. ووجه الإتيان بطريقتي الحصر في فإنما يهتدي لنفسه وفي فإنما يضل عليها للرد على المشركين إذ كانوا يتمطون في الاقتراح فيقولون: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾^(١) ونحو ذلك مما يفيد أنهم يمتنون عليه لو أسلموا، وكان بعضهم يظهر أنه يغيظ النبي ﷺ بالبقاء على الكفر فكان القصر مفيدا أن اهتدائه مقصور على تعلق اهتدائه بمعنى اللام في قوله: لنفسه أي بفائدة نفسه لا يتجاوزه إلى التعلق بفائدتي. وأن ضلاله مقصور على التعلق بمعنى على نفسه، أي لمضرتها لا يتجاوزه إلى التعلق بمضرتي. وجملة وما أنا عليكم بوكيل معطوفة على جملة فمن اهتدى فهي داخلة في حيز التفريع، وإتمام للمفزع، لأنه إذا كان اهتداء المهتدي لنفسه وضلال الضال على نفسه تحقق أن النبي ﷺ غير مأمور من الله بأكثر من التبليغ وأنه لا نفع لنفسه في اهتدائهم ولا يضره ضلالهم، فلا يحسبوا حرصه لنفع نفسه أو دفع ضرر عنها حتى يتمطوا ويشترطوا، وأنه ناصح لهم ومبلغ ما في اتباعه خيرهم والإعراض عنه ضررهم. والإتيان بالجملة الاسمية المنفية للدلالة على دوام انتفاء ذلك الحكم وثباته في سائر الأحوال.

ومعنى الوكيل: الموكول إليه تحصيل الأمر. وعليكم بمعنى على اهتدائكم فدخل حرف الجر على الذات والمراد بعض أحوالها بقريئة المقام^(٢).

وقد بين الله ثمره اتباع الرسول ﷺ، وأن فريقا من الناس ينعم بنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين في الدنيا والآخرة في النداء الثالث للناس.

(١) سورة الإسراء، الآية (٩٠).

(٢) التحرير والتنوير (١١/٣٠٨-٣٠٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

أولاً: النداء في الآية:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾.

قال عنه السمرقندي (يعني: يا أهل مكة^(٢))، ويقال: جميع الناس^(٣).

ورجح الخازن أنه للعموم وقال: هو الأصح^(٤).

قال ابن عطية: هذه آية خوطب بها جميع العالم^(٥). أي أن الخطاب عام.

ثانياً: الغرض من النداء الامتنان على الخلق بإرسال الرسول وإنزال القرآن.

ثالثاً: موضوع النداء الأمر باتباع الرسل عليهم السلام:

وفي تفسير هذه الآية يقول ابن كثير (يقول تعالى ممتنا على خلقه بما أنزله من القرآن العظيم على رسوله الكريم: يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم أي زاجر عن الفواحش وشفاء لما في الصدور أي من الشبه والشكوك وهو إزالة ما فيها من رجس وذنس، وهدى ورحمة أي يحصل به الهداية والرحمة من الله تعالى، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه، كقوله تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٦) وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾^(١) الآية. وقوله تعالى: ﴿قُلْ

(١) سورة يونس، الآية (٥٧).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٣٣٥/٢) وانظر: تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٤٨/٢).

(٣) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (١٢١/٢) وانظر: تفسير القرطبي (٣٥٣/٨).

(٤) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٤٨/٢).

(٥) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٢٦/٣).

(٦) سورة الإسراء، الآية (٨٢).

يَفْضِلِ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴿٢﴾ أي بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا، فإنه أولى ما يفرحون به هو خير مما يجمعون أي من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة^(٣).

(١) سورة فصلت، الآية (٤٤).

(٢) سورة يونس، الآية (٥٨).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤/٢٣٩).

المطلب الخامس

الإيمان بالبعث

أولاً: معنى البعث لغة

قال الراغب: (أصل البعث: إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به، فبعثت البعير: أثرته وسيرته، وقوله عز وجل: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾^(١)، أي: يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾^(٢)، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لُبْعَثُنَّ﴾^(٣)، ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٤)، فالبعث ضربان: ١- بشري، كبعث البعير، وبعث الإنسان في حاجة.

٢- وإلهي، وذلك ضربان:

أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع لا عن ليس^(٥)، وذلك يختص به الباري تعالى، ولم يقدر عليه أحد.

(١) سورة الأنعام، الآية (٣٦).

(٢) سورة المجادلة، الآية (٦).

(٣) سورة التغابن، الآية (٧).

(٤) سورة لقمان، الآية (٢٨).

(٥) قال محقق الكتاب اللبس اللزوم.

والثاني: إحياء الموتى، وقد خص بذلك بعض أوليائه، كعيسى عليه السلام وأمثاله، ومنه قوله عز وجل: ﴿ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ﴾^(١)، يعني: يوم الحشر، وقوله عز وجل: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٢)، أي: قيضه، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاَ ﴾^(٣)، نحو: ﴿ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴾^(٥)، وذلك إثارة إثارة بلا توجيه إلى مكان، ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾^(٦)، ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾^(٧)، وقال عز وجل: ﴿ فَأَمَّا تَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾^(٨)، وعلى وعلى هذا قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِمْ ﴾^(٩)، والنوم من جنس الموت فجعل التوفي فيهما، والبعث منهما سواء، وقوله عز وجل: ﴿ وَلَٰكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾^(١٠)، أي: توجههم ومضيهم^(١١).

ثانياً: معنى البعث اصطلاحاً:

قال ابن كثير: البعث وهو المعاد، وقيام الأرواح والأجساد، يوم القيامة^(١٢).

(١) سورة الروم، الآية (٥٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (٣١).

(٣) سورة النحل، الآية (٣٦).

(٤) سورة المؤمنون، الآية (٤٤).

(٥) سورة الكهف، الآية (١٢).

(٦) سورة النحل، الآية (٨٤).

(٧) سورة الأنعام، الآية (٦٥).

(٨) سورة البقرة، الآية (٢٥٩).

(٩) سورة الأنعام، الآية (٦٠).

(١٠) سورة التوبة، الآية (٤٦).

(١١) المفردات في غريب القرآن (ص ١٣٢-١٣٣).

(١٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٥/٣٤٧).

فالمراد من البعث هو إحياء الله الأموات وإخراجهم من قبورهم للجزاء والحساب. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ ﴿٧﴾ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾^(١).

ثالثا: حكم الإيمان بالبعث:

(دل الكتاب والسنة والإجماع على وجوب الإيمان بالبعث: كما جاءت شرائع الأنبياء السابقين بالأخبار عنه ووجوب الإيمان به، قال تعالى: مخاطبا آدم وزوجته وإبليس: ﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾^(٢)، وقال: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٣﴾﴾^(٣)).

أولا: أدلة الإيمان بالبعث من الكتاب منها قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ تَذْهَلُ تَذْهَلُ تَذْهَلُ﴾^(٥) إلى آخر الآية.

وقوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ مِمَّا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦﴾﴾^(٦).

وقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧﴾﴾ والأدلة في الباب من القرآن كثيرة جدا.

(١) سورة الحج، الآية (٦ - ٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٢٤).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٢٥).

(٤) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة (ص ٢٣١).

(٥) سورة الحج، الآية (٥ - ٧).

(٦) سورة التغابن، الآية (٧).

(٧) سورة الأنبياء، الآية (١٠٤).

ثانيا: أدلته من السنة: أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: " قال الله: كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذبيه إياي فقلوه: لن يعيدني، كما بدأتي، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفئا أحد" (١).

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدا، فيه يركب يوم القيامة) قالوا أي عظم هو؟ يا رسول الله قال: «عجب الذنب» (٢) والأدلة في الباب من السنة كثيرة جدا.

ثالثا: الإجماع:

قال الطحاوي: (الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة. فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على المنكرين، في غالب سور القرآن) (٣) وقال ابن حزم (٤): (واتفقوا أن البعث حق وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكتاهم) (٥).

(١) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب قوله (وامراته حمالة الحطب) حديث رقم (٤٩٧٤).

(٢) صحيح مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب: ما بين النفختين حديث رقم (١٤١).

(٣) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية (ص ٤٠١).

(٤) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي الإمام الأوحدي، البحر، ذو ذو الفنون والمعارف الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف الكثيرة ت ٤٥٩ هـ سير

أعلام النبلاء ط الرسالة (١٨٤/١٨) طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٤٣٥).

(٥) مراتب الإجماع (ص ١٧٥).

وقال الشيخ عبدالرحمن البراك: (والإيمان بالبعث مما أجمع عليه أهل الملل الثلاث: المسلمون واليهود والنصارى، ومما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وليس فيه اختلاف بين فرق الأمة)^(١).

رابعاً: حكم من أنكر البعث:

لاشك أن تكذيب البعث أو إنكاره كفر بالله الواحد الأحد، وتكذيب للكتاب والسنة. وقد وقع إجماع الأمة على أن مَنْ أنكر البعثَ كَفَرَ وَقُتِلَ^(٢).

وقد سئل الحافظ الحكمي عن حكم من كذب بالبعث فقال: هو كافر بالله عز وجل وبكتبه ورسله، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَاَبَاؤُنَا آيِنًا لَمُخْرَجُونَ ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلِهِمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْبَهُمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْغَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^(٥) وغيرها من الآيات، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذبه إياي فقلوه: لن يعيدني كما بداني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقلوه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد)^(٦)»^(٧).

(١) شرح الطحاوية (ص ٣٠١).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليهِ شرح الصدور في تحريم رفع القبور (ص ٧٢).

(٣) سورة النمل، الآية (٦٧).

(٤) سورة الرعد، الآية (٥).

(٥) سورة التغابن، الآية (٧).

(٦) سبق تخريجه صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب قوله (وامرأته حمالة الحطب) حديث رقم (٤٩٧٤).

(٧) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (ص ٦١).

خامساً: طريقة القرآن في تقرير المعاد^(١):

قال السعدي: (وهذا الأصل الثالث من الأصول التي اتفقت عليها الرسل والشرائع كلها وهي: التوحيد، والرسالة، وأمر المعاد وحشر العباد.

وهذا قد أكثر الله من ذكره في كتابه الكريم، وقرره بطرق متنوعة:

منها: إخباره وهو أصدق القائلين عنه وعمما يكون فيه من الجزاء الأوفى، مع إكثار الله من ذكره، فقد أقسم عليه في ثلاثة مواضع من كتابه، كقوله: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢).

ومنها الإخبار بكمال قدرة الله تعالى، ونفوذ مشيئته، وأنه لا يعجزه شيء، فإعادة العباد بعد موتهم فرد من أفراد آثار قدرته. ومنها تذكيره العباد بالنشأة الأولى، وأن الذي أوجدهم ولم يكونوا شيئاً مذكوراً، لا بد أن يعيدهم كما بدأهم، وأن الإعادة أهون عليه، وأعاد هذا المعنى في مواضع كثيرة بأساليب متنوعة. ومنها: إحياءه الأرض الهامدة الميتة بعد موتها، وأن الذي أحيها سيحي الموتى، وقرر ذلك بقدرته على ما هو أكبر من ذلك، وهو خلق السماوات والأرض، والمخلوقات العظيمة، فمتى أثبت المنكرون ذلك، ولن يقدرُوا على إنكاره، فلا شيء يستبعدون إحياء الموتى؟ وقرر ذلك بسعة علمه، وكمال حكمته، وأنه لا يليق به، ولا يحسن أن يترك خلقه سدى مهملين، لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون. وهذا طريق قرر به النبوة وأمر المعاد. ومما قرر به البعث ومجازاة المحسنين بإحسانهم، والمسيئين بإسائتهم: ما أخبر به من أيامه وسننه سبحانه في الأمم الماضية والقرون الغابرة. وكيف نجى الأنبياء وأتباعهم، وأهلك المكذبين لهم المنكرين للبعث، ونوّع عليهم العقوبات، وأحل بهم المثالات، فهذا جزاء معجل ونموذج من جزاء الآخرة أراه الله عباده، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن

(١) هذه قاعدة قعدها السعدي في القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص ٢٥).

(٢) سورة القيامة، الآية (١).

بينه. ومن ذلك: ما أرى الله عباده من إحيائه الأموات في الدنيا كما ذكره الله عن صاحب البقرة والألوف من بني إسرائيل، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقصة إبراهيم الخليل والطيور، وإحياء عيسى بن مريم للأموات وغيرها مما أراه الله عباده في هذه الدار، ليعلموا أنه قوي ذو اقتدار، وأن العباد لا بد أن يردوا دار القرار، إما الجنة أو النار. وهذه المعاني أبداه الله وأعادها في محال كثيرة. والله أعلم^(١).

وعند أول نداء في كتاب الله، ذكر الشنقيطي بعض براهين البعث بعد الموت عند

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾﴾.

فقال: (أشار في هذه الآية إلى ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت، وبينها مفصلة في آيات أخر: الأول: خلق الناس أولا المشار إليه بقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾^(٤)، وكقوله ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٥)، وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٦)، وقوله: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾^(٧)،

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص ٢٥ - ٢٦).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١ - ٢٢).

(٣) سورة الروم، الآية (٢٧).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (١٠٤).

(٥) سورة الإسراء، الآية (٥١).

(٦) سورة يس، الآية (٧٩).

(٧) سورة ق، الآية (١٥).

وكقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾^(١)، وكقوله:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾^(٢).

ولذا ذكر تعالى أن من أنكر البعث فقد نسي الإيجاد الأول، كما في قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا

وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ

الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾^(٤)، ثم رتب على ذلك الدليل بقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ

لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾^(٥) إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثاني: خلق السماوات والأرض المشار إليه بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا

وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾^(٦) لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر

من باب أخرى. وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٧)، وقوله: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٨)، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ﴾^(٩)، وقوله: (أولم

(١) سورة الحج، الآية (٥).

(٢) سورة الواقعة، الآية (٦٢).

(٣) سورة يس، الآية (٧٨).

(٤) سورة مريم، الآية (٦٦ - ٦٧).

(٥) سورة مريم، الآية (٦٨).

(٦) سورة غافر، الآية (٥٧).

(٧) سورة يس، الآية (٨١).

(٨) سورة الأحقاف، الآية (٣٣).

(أولم يروا أن الله الذي خلق السموات ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾^(٢) إلى غير ذلك من الآيات.

البرهان الثالث: إحياء الأرض بعد موتها ؛ فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما أشار له هنا بقوله: ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ وأوضحه في آيات كثيرة كقوله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٣)، وقوله: ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾^(٤)، يعني: خروجكم من قبوركم أحياء بعد أن كنتم عظاما رميما. وقوله: ﴿ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٦) إلى غير ذلك من الآيات^(٧).

سادسا: نداءات الناس الدالة على الإيمان بالبعث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنِ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٨).

أولا: النداء في هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾.

(١) سورة الإسراء، الآية (٩٩).

(٢) سورة النازعات، الآية (٢٧).

(٣) سورة فصلت، الآية (٣٩).

(٤) سورة ق، الآية (١١).

(٥) سورة الروم، الآية (١٩).

(٦) سورة الأعراف، الآية (٥٧).

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٧/١-١٨).

(٨) سورة يونس، الآية (١٠٤).

قال الطبري: قل يا محمد لهؤلاء المشركين^(١) أي خاصة بأهل مكة. وعليه أكثر المفسرين.

قال ابن عطية: مخاطبة عامة للناس أجمعين إلى يوم القيامة يدخل تحتها كل من اتصف بالشك في دين الإسلام^(٢).

قال ابن عاشور: والمراد ب (الناس) في هذا الخطاب المشركون من أهل مكة، أو جميع أمة الدعوة الذين لما يستجيبوا للدعوة^(٣).

وهو الأقرب عندي لعموم اللفظ كما تقرر سابقا والله أعلم^(٤).

ثانيا: الغرض من النداء.

قال المراغي^(٥): تعريض لطيف وإيماء إلى أن مثل هذا الدين لا يشكّ فيه، وإنما ينبغي أن تشكّوا تشكّوا فيما أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تعقل ولا تضر ولا تنفع، إذ عبادة الخالق لا يستنكرها ذو والفطرة السليمة، أما عبادة الأصنام فيستنكرها كل ذى لبّ وعقل سليم^(٦).

وقال الطبري: وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف^(٧).

ثالثا: موضوع النداء الاستدلال بالموت على البعث.

(١) تفسير الطبري (٣٠٣/١٢)، و تفسير السمرقندي (١٣٥/٢)، و الهداية الى بلوغ النهاية (٣٣٣٤/٥)، و تفسير

الزمخشري (٣٧٣/٢)، و تفسير القرطبي (٣٨٧/٨)، و تفسير النسفي (٤٤/٢).

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٤٦/٣).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠٠/١١).

(٤) انظر: مبحث المخاطبون بنداء الناس.

(٥) أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر، من علماء مصر، شغل عدة مناصب كالتدريس والإشراف على بعض المدارس، له

له عدة مؤلفات منها: تفسير المراغي، الحسبة في الإسلام، علوم البلاغة، وغير ذلك، توفي سنة: ١٣٧١ هـ، انظر:

الأعلام (٢٥٨/١).

(٦) تفسير المراغي (١٦٢/١١).

(٧) تفسير الطبري (٣٠٣/١٢).

قال ابن عطية: وهذه الآية يتسق معناها بمحذوفات يدل عليها هذا الظاهر الوجيز، والمعنى إن كنتم في شك من ديني فأنتم لا تعبدون الله فاقترضت فصاحة الكلام وإيجازه اختصار هذا كله، ثم صرح بمعبوده وخص من أوصافه الَّذِي يَتَوَفَّأَكُمُ لما فيها من التذكير للموت وقرع النفوس به، والمصير إلى الله بعده والفقد للأصنام التي كانوا يعتقدونها ضارة ونافعة^(١).

والسر في التعبير ب(إن) التي تفيد التردد في حصول الشيء أو استبعاده مع أنهم شاكون بدليل ما جاء في القرآن عنهم: أنه ما كان لهم أن يشكوا لوضوح الأمر وضوحا ينتفي معه الشك. ولقائل أن يقول لماذا قال (الَّذِي يَتَوَفَّأَكُمُ) ولم يقل: (الذي خلقكم)؟ فالجواب: أن هذا يتضمن تهديدهم، لأن ميعاد عذابهم الوفاة^(٢).

وعليه فإن ذكر الوفاة هنا دليل من أقوى الدلائل على البعث. وإلا لو كان الموت عدما لما كان لذكره فائدة.

ويوضح الأمر فخر الدين الرازي^(٣) فيقول: (فإن قيل: ما الحكمة في ذكر المعبود الحق في هذا المقام بهذه الصفة وهي قوله: الذي يتوفاكم). قلنا فيه وجوه

الأول: يحتمل أن يكون المراد أني أعبد الله الذي خلقكم أولا ثم يتوفاكم ثانيا ثم يعيدكم ثالثا، وهذه المراتب الثلاثة قد قرناها في القرآن مرارا وأطوارا فهنا اكتفى بذكر التوفي منها لكونه منبها على البواقي.

(١) تفسير ابن عطية (١٤٦/٣).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٣٥٣/٢).

(٣) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي الشافعي، المعروف بابن الخطيب، المفسر المتكلم، له مؤلفات عديدة منها: التفسير الكبير، المحصول، وغيرها، توفي سنة ٦٠٦ هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨١/٨)، شذرات الذهب (٤٠/٧)، وطبقات المفسرين للدوادني (ص ٢١٣).

الثاني: أن الموت أشد الأشياء مهابة، فنخص هذا الوصف بالذكر في هذا المقام، ليكون أقوى في الزجر والردع.

الثالث: أنهم لما استعجلوا نزول العذاب قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (١٠٣) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ^(١) فهذه الآية تدل على أنه تعالى يهلك أولئك الكفار ويبقي المؤمنين ويقوي دولتهم فلما كان قريب العهد بذكر هذا الكلام لا جرم قال هاهنا: ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وهو إشارة إلى ما قرره وبينه في تلك الآية كأنه يقول: أعبد ذلك الذي وعدني بإهلاكهم وبإبائهم ^(٢).

وقال ابن عاشور: واختيار صلة التوفي هنا في نعت اسم الجلالة لما فيها من الدلالة على كمال التصرف في المخلوق فإن المشركين لم يبلغ بهم الإشراف إلى ادعاء أن الأصنام تحيي وتميت. واختيار ذلك من بين الصفات الخاصة بالله تعالى تعريض بتذكيرهم بأنهم معرضون للموت فيقصرون من طغيانهم ^(٣).

وقال البيضاوي: وإنما خص التوفي بالذكر للتهديد ^(٤).

ومما يوضح مسألة الإيمان بالبعث في هذه الآية ما ذكره ابن كثير في تفسيره فقال: يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من صحة ما جئكم به من الدين الحنيف الذي أوحاه الله إلي فأنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله وحده لا شريك له وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم ثم إليه مرجعكم فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله

(١) سورة يونس، الآية (١٠٢ - ١٠٣)

(٢) تفسير الرازي (٣٠٨/١٧).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠١/١١).

(٤) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٢٥/٣).

حقاً فأنا لا أعبدها فادعوها فلتضرني فإنها لا تضر ولا تنفع وإنما الذي بيده الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وأمرت أن أكون من المؤمنين.^(١)

وتمت مسألة مهمة وهي: كيف قال: إن كنتم في شك من ديني، وهم كانوا يعتقدون بطلان ما جاء به على بصيرة؟

ويجب عن هذه البغوي في تفسيره فيقول: قيل: كان فيهم شاكون فهم المراد بالآية، أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمرهم وأمر النبي ﷺ، قوله عز وجل: فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله، من الأوثان، ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم، يميّتكم ويقبض أرواحكم، وأمرت أن أكون من المؤمنين.^(٢)

النداء الثاني: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّنُوفٍ وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٣﴾.

أولاً: النداء في الآية ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾.

قال السمرقندي: يا كفار مكة. أي أنه خاص.^(٤)

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤/٢٦١).

(٢) تفسير البغوي - إحياء التراث (٢/٤٣٧) و تفسير السمعاني (٢/٤٠٨).

(٣) سورة الحج، الآية (٥ - ٧).

(٤) تفسير السمرقندي (٢/٤٤٩)، وانظر: تفسير السمعاني (٣/٤١٩)، وزاد المسير في علم التفسير (٣/٢٢٣).

وقال القرطبي: هذا احتجاج على العالم.^(١)

والأقرب أن الخطاب عام لكل الناس ويدخل فيه المشركون على وجه الخصوص لأنهم هم الذين أنكروا البعث.

ثانياً: الغرض من النداء.

الغرض من النداء الاستدلال به على البعث^(٢).

قال المراغي: وعبر سبحانه بالريب مع أنهم موقنون بعدم حصوله، إيدانا بأن أقصى ما يمكن صدوره منهم وإن بلغوا غاية المكابرة والعناد- هو الارتياب في شأنه، أما الجزم بعدم إمكانه فلا يدور بخلد عاقل على حال^(٣).

ثالثاً: موضوع النداء الاستدلال بالموت على البعث.

الاستدلال على البعث هنا يتضح في موضعين:

الأول: الاستدلال بالنشأة الأولى على البعث

(أقام تعالى البراهين العظيمة على بعث الناس من قبورهم أحياء إلى عرصات القيامة للحساب، والجزاء فقال جل وعلا ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ﴾ فمن أوجدكم الإيجاد الأول، وخلقكم من التراب لا شك أنه قادر على إيجادكم، وخلقكم مرة ثانية، بعد أن بليت عظامكم، واختلطت بالتراب، لأن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من ابتداء الفعل، وهذا البرهان القاطع على القدرة على البعث: الذي هو خلقه تعالى للخلائق المرة الأولى المذكور هنا، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾

(١) تفسير القرطبي (٦/١٢)، تفسير ابن عطية (١٠٧/٤).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٣٨/٢)، التحرير والتنوير (١٩٦/١٧).

(٣) تفسير المراغي (٨٨/١٧).

وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ ﴿١﴾ وقوله ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٢)
 وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٣) وقوله
 ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (٤) وقوله تعالى ﴿أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ
 فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٥) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦) وقوله
 ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيِّ يَمِينٍ﴾ إلى قوله ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ (٧) (٨).

والنظر في أصل الخلقة بعين الاعتبار يعين على زوال الشك والوصول بصاحبه إلى اليقين كما
 قال ابن جزري^(٩): (إن شككتهم في البعث الأخرى فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء
 خلقتكم فتعلموا أن الذي قدر على أن خلقكم أول مرة قادر على أن يعيدكم ثاني مرة وأن
 الذي قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها قادر على أن يخرجكم من قبوركم)^(١٠).

(١) سورة الروم، الآية (٢٧).

(٢) سورة يس، الآية (٧٩).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٠٤).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٥١).

(٥) سورة ق، الآية (١٥).

(٦) سورة الواقعة، الآية (٦٢).

(٧) سورة القيامة، الآية (٣٧-٤٠).

(٨) أضواء البيان (٤/٢٦٤). ينظر: أيضا تفسير السعدي (ص ٥٣٤).

(٩) أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزري الكلبي المالكي، من أهل غرناطة، فقيهاً مفسراً، له عدة مؤلفات منها:

الفوائد العامة في لحن العامة، التسهيل لعلوم التنزيل وغيرها، توفي سنة: ٧٤١هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة

الثامنة (٥/٨٨)، والأعلام للزركلي (٥/٣٢٥).

(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزري (٣/٣٥).

وهذا الأسلوب الذي جاءت به الآية يمثل أرقى درجات الحوار بين الخالق تعالى وخلقه وهو بذلك يزيل ما قد يكون علق بعقولهم من شبه وأوهام ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١).

ويقرر هذا الدكتور وهبه الزحيلي فيقول:

(هذا لون صريح من مباشرة الحوار الرباني مع الناس، فيا أيها البشر، إن كنتم في شك من إمكان البعث ومجيئه، يوم القيامة، فانظروا إلى بدء خلقكم، فمن قدر على البدء قدر على الإعادة، بدليل مراحل خلق الإنسان السبع الآتية وهي:

١- إننا خلقنا أصلكم آدم من التراب، وخلقنا الغذاء من التراب.

٢- ثم بدأ تخلّق الإنسان بحسب الأحوال المعتادة، ببدء تكون النطفة.

٣- ثم تحولت النطفة بإذن الله إلى علقة، أي قطعة دم متجمد بعد أربعين يوماً.

٤- ثم صارت العلقة مضغعة، أي قطعة لحم، مخلّقة أي متممة البنية، وغير مخلّقة:

غير متممة البنية، أي التي تسقط، وقد خلقناكم على هذا النحو من التدرج لبنين لكم كمال قدرتنا وحكمتنا، ولتستدلوا بها على إمكان البعث، فإن من خلق الإنسان على هذا النحو من التدرج والتباين الظاهر، قدر على إعادة ما بدأه، بل هذا أهون في تقدير الناس، وإن كان لا فرق في القدرة الإلهية بين الحالين.

٥- ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً ضعافاً في البدن والعقل والحواس.

٦- ثم تمرّون في مراحل العمر، فتبلغوا أشدكم في عنفوان الشباب، وتتكامل قواكم البدنية والعقلية.

(١) سورة الأنفال، الآية (٤٢).

٧- وبعضكم يتوفاه الله في مرحلة مبكرة من العمر، وبعضكم تتأخر وفاته، ويعيش حتى يصل إلى سن الشيخوخة والهرم، وضعف العقل والقوة والفهم، وتلك هي مرحلة الخرف، التي يعود بها الإنسان إلى حال الطفولة، هذا هو الدليل الأول على قدرة الله على البعث، يعتمد على التأمل في مراحل خلق الإنسان^(١).

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

ويقول: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٣﴾﴾.

وإنكار المنكرين للبعث لأنهم يعلمون علما يقينيا أنهم لو بعثوا لاقوا حسابهم على ما قدموه في حياتهم وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا فَخْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿٤﴾﴾.

ثانيهما: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على البعث:

قال السعدي: والدليل الثاني، إحياء الأرض بعد موتها، فقال الله فيه: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴿١﴾ أَي: خاشعة مغبرة لا نبات فيها، ولا خضر، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَّتْ ﴿٢﴾ أَي: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَّتْ ﴿٣﴾ أَي: ارتفعت بعد خشوعها وذلك لزيادة نباتها، ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴿٤﴾ أَي: صنف من أصناف النبات ﴿بِهَيْجٍ ﴿٥﴾ أَي: يهيج الناظرين، ويسر المتأملين، فهذان الدليلان القاطعان، يدلان على هذه المطالب الخمسة، وهي هذه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ

(١) التفسير الوسيط د/ وهبه الزحيلي (٢/ ١٦٢٦-١٦٢٧).

(٢) سورة الذاريات: (٢٠-٢١).

(٣) سورة الطارق، الآية (٥-٨).

(٤) سورة النازعات، الآية (١٠-١٢).

اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١﴾.

﴿ ذَلِكِ ﴾ الذي أنشأ الآدمي من ما وصف لكم، وأحيا الأرض بعد موتها، ﴿ يَا أَيُّهَا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أي: الرب المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وعبادته هي الحق، وعبادة غيره باطلة، ﴿ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ كما ابتداء الخلق، وكما أحيا الأرض بعد موتها، ﴿ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ كما أشهدكم من بديع قدرته وعظيم صنعته ما أشهدكم.

﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ فلا وجه لاستبعادها، ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ فيجازيكم بأعمالكم حسنها وسيئها^(٢).

(١) سورة الحج، الآية (٦ - ٧).

(٢) تفسير السعدي (ص ٥٣٤).

المبحث الثاني نداءات تشريعية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بالتقوى.

المطلب الثاني: النهي عن اتباع خطوات الشيطان.

المطلب الثالث: الأمر بالكسب الطيب.

المطلب الرابع: النهي عن البغي والظلم.

المطلب الأول

الأمر بالتقوى

أولاً: معنى التقوى لغة.

التقوى في اللغة:

قال الراغب: (الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره.

يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء. قال تعالى: ﴿وَوَقَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(١).

والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه، ويقال: اتقى فلان بكذا: إذا جعله وقاية لنفسه، وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢) تنبيه على شدة ما ينالهم، وأن أجدر شيء يتقون به من العذاب يوم القيامة هو وجوههم، فصار ذلك كقوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾^{(٣)(٤)}.

وفي مقاييس اللغة: ((وقى) الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره. ووقيته أقيه وقيا. والوقاية: ما يقي الشيء. واتفق الله: توقه، أي اجعل بينك وبينه

(١) سورة الدخان، الآية (٥٦).

(٢) سورة الزمر، الآية (٢٤).

(٣) سورة إبراهيم، الآية (٥٠).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص ٨٨١).

كالوقاية. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا النار ولو بشق تمر»^(١)، وكأنه أراد: اجعلوها وقاية بينكم وبينها^(٢).

ثانياً: معنى التقوى اصطلاحاً.

قال ابن القيم: (وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهيّاً، فيفعل ما أمر الله به إيماناً بالأمر وتصديقاً بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيماناً بالنهي وخوفاً من وعيده، كما قال طلق بن حبيب^(٣): " إذا وقعت الفتنة فاطفئوها بالتقوى " قالوا: وما التقوى؟ قال: " أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ". وهذا أحسن ما قيل في حد التقوى.

فإن كل عمل لا بد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك بل لا بد أن يكون مبدؤه محض الإيمان وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته وهو الاحتساب^(٤).

وقال الراغب: التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحذور.^(٥)

ثالثاً: إطلاقات التقوى في القرآن الكريم:

(١) صحيح البخاري - كتاب الزكاة - باب اتقوا النار ولو بشق تمر والقليل من الصدقة حديث رقم (١٤١٧) وصحيح

مسلم كتاب الكسوف باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر أو كلمة طيبة حديث رقم (٦٨).

(٢) مقاييس اللغة (١٣١/٦).

(٣) طلق بن حبيب العنزي بصري، زاهد كبير، من العلماء العاملين قبل المائة من الهجرة، والفتنة التي في حديثه هي

فتنة ابن الأشعث المشهورة سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦٠١/٤).

(٤) الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه (ص ١٣).

(٥) المفردات في غريب القرآن (ص ٨٨١).

ذكر الدامغاني^(١) أن التقوى تطلق في القرآن الكريم على خمسة أوجه:

الوجه الأول: الخشية، قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾^(٢) يعني احشوا

ربكم، نظيرها في سورة الحج: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾^(٣).

وكقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٤) أي: ألا تخشون.

الوجه الثاني: العبادة، قال تعالى في سورة النحل: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^(٥)

يعني فاعبدون وكقوله تعالى فيها ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾^(٦) يعني تعبدون؟ وفي سورة الشعراء:

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ﴾^(٧) ألا يعبدون.

الوجه الثالث: عدم المعصية، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا

وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٨) أي فلا تعصوه فيما أمركم به.

الوجه الرابع: وحدوا، قال تعالى في سورة النساء: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٩).

(١) أبو عبد الله - الحسين بن محمد بن ابراهيم الدامغاني الفقيه الحنفي من تصانيفه الزوائد والنظائر وفوائد البصائر في

القرآن ويسمى ايضا الوجوه والنظائر في مجلد ت ٤٧٨ هـ انظر: هدية العارفين (١/٣١٠) و إيضاح المكنون

(٢/٦١٥).

(٢) سورة النساء، الآية (١)

(٣) سورة الحج، الآية (١)

(٤) سورة الشعراء، الآية (١٠٦).

(٥) سورة النحل، الآية (٢).

(٦) سورة النحل، الآية (٥٢).

(٧) سورة الشعراء، الآية (١١).

(٨) سورة البقرة، الآية (١٨٩).

(٩) سورة النساء، الآية (١).

الوجه الخامس: الإخلاص، قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾^(١) يعني الإخلاص وقوله تعالى في سورة الحج: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٢)^(٣)

رابعا: نداءات الناس وأمرهم بالتقوى:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٤).

أولاً: النداء في هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ ذكر ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس: يا أيها الناس أي: للفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين^(٥).

وقال الزمخشري: يا أيها الناس يا بني آدم أي، أنها عامة^(٦).

وقال الرازي: روى الواحدي عن ابن عباس في قوله: يا أيها الناس، أن هذا الخطاب لأهل مكة. وأما الأصوليون من المفسرين فقد اتفقوا على أن الخطاب عام لجميع المكلفين.

وهذا هو الأصح لوجوه:

أحدها: أن لفظ الناس جمع دخله الألف واللام فيفيد الاستغراق.

(١) سورة الحجرات، الآية (٣).

(٢) سورة الحج، الآية (٣٢).

(٣) انظر: الوجوه والنظائر لما في كتاب الله العزيز للدماغاني (ص ٨٧-٨٨).

(٤) سورة النساء، الآية (١).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم - محققا (٣/٨٥٢).

(٦) تفسير الزمخشري = الكشاف (١/٤٦١).

وثانيها: أنه تعالى علل الأمر بالاتقاء بكونه تعالى خالقا لهم من نفس واحدة، وهذه العلة عامة في حق جميع المكلفين بأنهم من آدم عليه السلام خلقوا بأسرهم، وإذا كانت العلة عامة كان الحكم عاما.

وثالثها: أن التكليف بالتقوى غير مختص بأهل مكة، بل هو عام في حق جميع العالمين، وإذا كان لفظ الناس عاما في الكل، وكان الأمر بالتقوى عاما في الكل، وكانت علة هذا التكليف، وهي كونهم خلقوا من النفس الواحدة عامة في حق الكل، كان القول بالتخصيص في غاية البعد^(١).

ثانيا: الغرض من النداء في هذه الآية تحقيق التقوى التي فيها الفوز والفلاح للإنسان في الدنيا والآخرة. وفيها أيضا حض على التواصل لحزمة هذا النسب وإن بعد^(٢).

ثالثا: موضوع النداء الأمر بالتقوى.

خاطب الله جل في علاه الناس جميعا بأن يجعلوا بينهم وبين عذابه وقاية، وذلك بأن يتقوه بالتزام أوامره واجتناب معاصيه. فقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ ثم علل الأمر بكونه خلقهم.

قال الرازي: (اعلم أنه تعالى أمرنا بالتقوى وذكر عقبيه أنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، وهذا مشعر بأن الأمر بالتقوى معلل بأنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، ولا بد من بيان المناسبة بين هذا الحكم وبين ذلك الوصف، فنقول: قولنا إنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، مشتمل على قيدين:

أحدهما: أنه تعالى خلقنا.

(١) تفسير الرازي (٤٧٥/٩).

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٢).

والثاني: كيفية ذلك التخليق، وهو أنه تعالى إنما خلقنا من نفس واحدة، ولكل واحد من هذين القيدين أثر في وجوب التقوى.

أما القيد الأول: وهو أنه تعالى خلقنا، فلا شك أن هذا المعنى علة لأن يجب علينا الانقياد لتكاليف الله تعالى والخضوع لأوامره ونواهيه، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أنه لما كان خالقنا وموجدا لذواتنا وصفاتنا فنحن عبده وهو مولى لنا، والربوبية توجب نفاذ أوامره على عبده، والعبودية توجب الانقياد للرب والموجد والخالق.

الثاني: أن الإيجاد غاية الإنعام ونهاية الإحسان، فإنك كنت معدوما فأوجدك، وميتا فأحياك، وعاجزا فأقدرك. وجاهلا فعلمك، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) **وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ** ﴿^(١).

فلما كانت النعم بأسرها من الله سبحانه وجب على العبد أن يقابل تلك النعم بإظهار الخضوع والانقياد، وترك التمرد والعناد، وهذا هو المراد بقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ ^(٢).

الثالث: وهو أنه لما ثبت كونه موجدا وخالقا وإلها وربا لنا وجب علينا أن نشغل بعبوديته وأن نتقي كل ما نهى عنه وزجر عنه.

وأما القيد الثاني: وهو أن خصوص كونه خالقنا من نفس واحدة يوجب علينا الطاعة والاحتراز عن المعصية، فبيانه: أن خلق جميع الأشخاص الإنسانية من الإنسان الواحد أدل على كمال القدرة، من حيث إنه لو كان الأمر بالطبيعة والخاصية لكان المتولد من الإنسان الواحد، لم يكن إلا أشياء متشاكلة في الصفة متشابهة في الخلقة والطبيعة، فلما رأينا في

(١) سورة الشعراء، الآية (٧٨ - ٧٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨).

أشخاص الناس الأبيض والأسود والأحمر والأسمر والحسن والقبيح والطويل والقصير، دل ذلك على أن مدبرها وخالقها فاعل مختار، فحينئذ يجب الانقياد لتكاليفه وأوامره ونواهيه، فكان ارتباط قوله: اتقوا ربكم بقوله: خلقتكم من نفس واحدة في غاية الحسن والانتظام^(١).

بل تأمل ما قاله الألوسي في تفسيره: (وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين ما لا يخفى من تأكيد الأمر وتأكيد إيجاب الامتثال، وكذا في وصف الرب بقوله سبحانه: الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ لَأَنَّ الاسْتِعْمَالَ جَارٍ عَلَى أَنْ الْوَصْفَ الَّذِي عُلِقَ بِهِ الْحُكْمُ عِلَّةٌ مُوجِبَةٌ لَهُ، أَوْ بَاعِثَةٌ عَلَيْهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَا هُنَا كَذَلِكَ لِأَنَّ مَا ذَكَرَ يَدُلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ، أَوْ النِّعْمَةِ الْجَسِيمَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَوَّلَ يُوجِبُ التَّقْوَى مُطْلَقًا حَذْرًا عَنِ الْعِقَابِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّ الثَّانِي يَدْعُو إِلَيْهَا وَفَاءً بِالشُّكْرِ الْوَاجِبِ، وَإِجَابِ الْخَلْقِ مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ لِلاتِّقَاءِ عَلَى الْإِحْتِمَالِ الثَّانِي ظَاهِرٌ جَدًّا، وَفِي الْوَصْفِ الْمَذْكُورِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْمَخَاطَبِينَ عَامِلُونَ بِمَا ذَكَرَ مِمَّا يَسْتَدْعِي التَّحْلِيَّ بِالتَّقْوَى، وَفِيهِ كَمَالٌ تَوْبِيخٌ لِمَنْ يَفُوتُهُ ذَلِكَ، وَالْمُرَادُ مِنَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ سِوَى آدَمَ وَاحِدٍ - وَهُوَ أَبُو الْبَشَرِ)^(٢).

ثم كرر الالتقاء في نداءه للناس في هذه الآية فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾

قال القرطبي: (كرر الالتقاء تأكيداً وتنبيهاً لنفوس المأمورين، أي اتقوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها)^(٣).

وأما عن اقتران الأرحام باسمه تعالى، فيقول الألوسي: (وقد نبه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه سبحانه على أن صلتها بمكان منه تعالى وقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩/٤٧٦-٤٧٧) بتصرف.

(٢) تفسير الألوسي = روح المعاني (٢/٣٩١).

(٣) تفسير القرطبي (٥/٢).

صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم أما ترضين أني أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت: بلى قال: فذلك لك»^(١)(٢).

وأما عن حكم صلة الرحم: فيقول القرطبي: (اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة وأن قطيعتها محرمة)^(٣).

وأما عن شؤم قطيعة الرحم، فقد ذكره الحكيم، في كتابه الكريم، بقوله العظيم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾^(٤).

قال الرازي: (ثم إنه تعالى ختم هذه الآية بما يكون كالوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقال: إن الله كان عليكم رقيبا والرقيب هو المراقب الذي يحفظ عليك جميع أفعالك. ومن هذا صفته فإنه يجب أن يخاف ويرجى، فبين تعالى أنه يعلم السر وأخفى، وأنه إذا كان كذلك يجب أن يكون المرء حذرا خائفا فيما يأتي ويترك)^(٥).

وهذه الآية تأمر الناس بتقوى رهم وتذكرهم بالمبدأ، ويأتي النداء الثاني من رب العزة والجلال تذكرهم بالرجوع إليه والعودة والمعاد.

(١) صحيح البخاري (كتاب الأدب - باب من وصل وصله الله - حديث رقم (٥٩٨٧) وصحيح مسلم (كتاب البر

والصلة والآداب - باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها حديث رقم (١٦).

(٢) تفسير الألوسي = روح المعاني (٢/٣٩٦).

(٣) تفسير القرطبي (٥/٦).

(٤) سورة محمد، الآية (٢٢ - ٢٣).

(٥) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩/٤٨٢).

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّكَ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢) (١).

أولاً: النداء في هذه الآية ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾.

قال ابن عطية: صدر الآية تحذير لجميع العالم. أي أن الخطاب عام. (٢) وهذا ما عليه عامة المفسرين.

ثانياً: الغرض من النداء في هذه الآية تذكير الناس بالتقوى والعمل بها لأهميتها في نجاتهم من ذلك اليوم العصيب.

ثالثاً: موضوع النداء الأمر بالتقوى:

قال ابن عطية: (صدر الآية تحذير لجميع العالم ثم أوجب الخبر وأكده بأمر زلزلة القيامة وهي إحدى شرائطها وسمهاها (شيئاً) إما لأنها حاصلة متيقن وقوعها فيستسهل لذلك أن تسمى شيئاً. وهي معدومة إذ اليقين بها يشبهها بالموجودات وأما على المال أي هي إذا وقعت شيء عظيم فكأنه لم يطلق الاسم الآن بل المعنى أنها إذا كانت فهي حينئذ شيء عظيم) (٣).

وفي أمره سبحانه بالتقوى وتأكيده بزلزلة القيامة يقول الرازي:

(١) سورة الحج، الآية (١ - ٢).

(٢) تفسير ابن عطية (١٠٥/٤)، و تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٤٢٦/٢)، وينظر: تفسير ابن كثير ط العلمية (٣٤١/٥)، و فتح القدير للشوكاني (٥١٤/٣)، و تفسير السعدي (ص ٥٣٢)، و التحرير والتنوير (١٨٥/١٧).

(٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٠٥/٤).

(أنه سبحانه أمر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة، والمعنى أن التقوى تقتضي دفع مثل هذا الضرر العظيم عن النفس، ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب، فيلزم أن تكون التقوى واجبة)^(١).

(وفي التعبير عن الذات العلية بصفة الرب مضافا إلى ضمير المخاطبين إيماء إلى استحقاقه أن يتقى لعظمته بالخالقية، وإلى جدارة الناس بأن يتقوه لأنه بصفة تدبير الربوبية لا يأمر ولا ينهى إلا لمعري مصالح الناس ودرء المفسد عنهم. وكلا الأمرين لا يفيد غير وصف الرب دون نحو الخالق والسيد. وتعليق التقوى بذات الرب يقتضي بدلالة الاقتضاء معنى اتقاء مخالفته أو عقابه أو نحو ذلك لأن التقوى لا تتعلق بالذات بل بشأن لها مناسب للمقام. وأول تقواه هو تنزيهه عن النقائص، وفي مقدمة ذلك تنزيهه عن الشركاء باعتقاد وحدانيته في الإلهية)^(٢). وقد وصف الله تعالى الزلزلة بالعظيم ولا عظيم أعظم مما عظمه الله تعالى.

وأما عن الضمير في ترونها فمرجعه كما يقول الرازي: (يحتمل أن يرجع إلى الزلزلة أو إلى الساعة لتقدم ذكرهما، والأقرب رجوعه إلى الزلزلة لأن مشاهدتها هي التي توجب الخوف الشديد)^(٣).

ثم قال الرازي (واعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر من أهوال ذلك اليوم أمورا ثلاثة:

أحدها: قوله: تذهل كل مرضعة عما أرضعت: أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الأمر مع دهشة، فإن قيل: لم قال مرضعة دون مرضع؟^(٤) قلت المرضعة هي التي في حال الإرضاع

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/٢٠٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/١٨٦).

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/٢٠١).

(٤) كل أنثى ترضع ولدها، ووجه قوله: مرضعة، ولم يقل: مرضع: هو ما تقرر في علم العربية، من أن الأوصاف المختصة بالإناث إن أريد بها الفعل لحقها التاء، وإن أريد بها النسب جردت من التاء، فإن قلت: هي مرضع، تريد أنها ذات رضاع، جردته من التاء كقول امرئ القيس فمئلك حبلى قد طرقت ومرضع... فأهيتها عن ذي تائم مغيل أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/٢٥٥).

وهي ملقمة ثديها الصبي والمرضع شأنها أن ترضع، وإن لم تباشِر الإرضاع في حال وصفها به، فقبل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعتته من فيه لما يلحقها من الدهشة، وقوله: عما أرضعت: أي عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل فتكون ما بمعنى من» على هذا التأويل.

وثانيها: قوله: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾ .

والمعنى أنها تسقط ولدها لتمام أو لغير تمام من هول ذلك اليوم وهذا يدل على أن هذه الزلزلة إنما تكون قبل البعث، قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام، وقال القفال: يحتمل أن يقال من ماتت حاملا أو مرضعة تبعث حاملا أو مرضعة تضع حملها من الفزع، ويحتمل أن يكون المراد من ذهول المرضعة ووضع الحمل على جهة المثل كما قد تأول قوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾^(١).

وثالثها: قوله: وترى الناس سكارى: أي تراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق، ولكن ما أرهقهم من هول عذاب الله تعالى هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم^(٢) وثمرت مسألة مهمة يوردها الزمخشري في كشافه ويجب عليها فيقول: فإن قلت: لم قيل أولا: ترون، ثم قيل: ترى، على الأفراد؟ قلت: لأن الرؤية أولا علقتم بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائيين لها، وهي معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر، فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم^(٣).

وهل الشدة في ذلك اليوم مختصة بأهل النار أما أنها عامة لكل الناس فيقول الرازي:

(١) سورة المزمل، الآية (١٧).

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣/٢٠١).

(٣) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/١٤٣).

إن قيل أتقولون إن شدة ذلك اليوم تحصل لكل أحد أو لأهل النار خاصة؟ قلنا قال قوم إن الفزع الأكبر وغيره يختص بأهل النار، وإن أهل الجنة يحشرون وهم آمنون. وقيل بل يحصل لكل لأنه سبحانه لا اعتراض لأحد عليه في شيء من أفعاله، وليس لأحد عليه حق^(١).

ثم ختمت الآية بأمر عظيم وهو التذكير بأن عذابه شديد أليم مما يجعل العبد يتقيه ويخافه في السر والعلن.

قال الشنقيطي: والخوف منه هو الذي صير من رأيهم يشبههم بالسكارى، لذهاب عقولهم من شدة الخوف، كما يذهب عقل السكران من الشراب^(٢).

مسألة مهمة: وهي متى هذه الزلزلة؟

يجيب الشنقيطي^(٣) فيقول: اختلف العلماء في وقت هذه الزلزلة المذكورة هنا، هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلى عرصات القيامة، أو هي عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من القبور؟

فقال جماعة من أهل العلم: هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا، وأول أحوال الساعة. وهذا القول من حيث المعنى له وجه من النظر، ولكنه لم يثبت ما يؤيده من النقل، بل الثابت من النقل يؤيد خلافه. وهو القول الآخر.

وحجة من قال بهذا القول حديث مرفوع جاء بذلك، إلا أنه ضعيف لا يجوز الاحتجاج به. وأما حجة أهل القول الآخر القائلين بأن الزلزلة المذكورة كائنة يوم القيامة بعد البعث من

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٠١/٢٣).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٥٦/٤).

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٥٧/٤) باختصار.

القبور، فهي ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ من تصريحه بذلك. وبذلك تعلم أن هذا القول هو الصواب كما لا يخفى.

ذكر البخاري رحمه الله في صحيحه في التفسير في باب قوله: وترى الناس سكارى: بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبي ﷺ: " يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم. فيقول: لبيك ربنا وسعديك. فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار. قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. فشق ذلك على الناس، حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد، وأنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة. فكبرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة. فكبرنا. وقال أبو أسامة، عن الأعمش: وترى الناس سكارى وما هم بسكارى قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين: وقال جرير، وعيسى بن يونس، وأبو معاوية ﴿سُكَّرِي وَمَا هُمْ بِسُكَّرِي﴾. انتهى من صحيح البخاري^(١).

وفيه تصريح النبي ﷺ بأن الوقت الذي تضع فيه الحامل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى: هو يوم القيامة لا آخر الدنيا^(٢).

وقد ذكر الشنقيطي تنبيها مهما، نذكره هنا بعد ترجيحه بأن الزلزلة تكون بعد البعث.

(١) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب (وترى الناس سكارى) - حديث رقم (٤٧٤١).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/٢٥٩).

اعلم أن هذا الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة التي ذكرنا بعضها يرد عليه سؤال، وهو أن يقال: إذا كانت الزلزلة المذكورة بعد القيام من القبور، فما معناها؟

والجواب: أن معناها: شدة الخوف والهول والفرع ؛ لأن ذلك يسمى زلزالا، بدليل قوله تعالى فيما وقع بالمسلمين يوم الأحزاب من الخوف: ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ ﴾ (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿ (١) ؛ أي: وهو زلزال فزع وخوف، لا زلزال حركة الأرض، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) يدل على أن عظم الهول يوم القيامة موجب واضح للاستعداد لذلك الهول بالعمل الصالح في دار الدنيا قبل تعذر الإمكان ؛ لما قدمنا مرارا من أن إن المشددة المكسورة تدل على التعليل، كما تقرر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبية، ومسلك النص الظاهر؛ أي: اتقوا الله ؛ لأن أمامكم أهوالا عظيمة، لا نجاة منها إلا بتقواه جل وعلا (٢).

ثم يأتي النداء الثالث مذكرا العباد بتقوى ربهم بيوم المعاد فيقول الله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ (٣).

أولا: النداء في هذه الآية ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾:

قال ابن الجوزي: قال المفسرون: هذا خطاب لكفار مكة (٤).

(١) سورة الأحزاب، الآية (١٠ - ١١).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/٢٦١).

(٣) سورة لقمان، الآية (٣٣).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٣/٤٣٥).

وقال القرطبي: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ يعني الكافر والمؤمن^(١).

وقال ابن عاشور: إن لم يكن يا أيها الناس خطابا خاصا بالمشركين فهو عام لجميع الناس كما تقرر في أصول الفقه، فيعم المؤمن والمشرك والمعطل في ذلك الوقت وفي سائر الأزمان إذ الجميع مأمورون بتقوى الله وأن الخطوات الموصلة إلى التقوى متفاوتة على حسب تفاوت بعد السائرين عنها، وقد كان فيما سبق من السورة حظوظ للمؤمنين وحظوظ للمشركين فلا يبعد أن تعقب بما يصلح لكلا الفريقين^(٢).

ثانيا: الغرض من النداء تحقيق التقوى التي فيها الفوز والفلاح للإنسان في الدنيا والآخرة وتذكيره بيوم المعاد والوعد الحق.

ثالثا: موضوع النداء الأمر بالتقوى، والخوف من يوم القيامة.

ينادي الله سبحانه وتعالى الناس جميعا منذرا لهم بيوم المعاد، وأمرهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث لا يجزي والد عن ولده أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه. وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه. لم يقبل منه^(٣).

ولما خص الله الوالد والولد في هذه الآية؟

فيقول الشوكاني: (ذكر سبحانه فردين من القربات، وهو الوالد، والولد، وهما الغاية في الحنو والشفقة على بعضهم البعض، فما عداهما من القربات لا يجزي بالأولى، فكيف بالأجانب)^(٤).

(١) تفسير القرطبي (١٤/٨١)، وانظر: تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/٣١٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢١/١٩٢).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/٣١٤).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٤/٢٨٢).

(واعلم أنه تعالى ذكر شخصين في غاية الشفقة والحنان والحنوّ وهو الوالد والولد، فاستدل بالأولى على الأعلى فذكر الوالد والولد جميعاً لأن من الأمور ما يبادر الأب إلى تحمُّله عن الولد كدفع المال، وتحمُّل الآلام والولد لا يبادر إلى تحمله عن الوالد (مثل ما يبادر الوالد إلى تحمله عن الولد)، ومنها ما يبادر الولد إليه كالإهانة فإن من يريد (إحضار) والد آخر عند والٍ أو قاضٍ يهونُ على الابن أن يدفع الإهانة عن والده ويحضر هو بدله وإذا انتهى الأمر إلى الإيلام يهون على الأب أن يدفع الألم عن ابنه وستحمله هو بنفسه. فقلوه: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ في دفع الآلام ﴿وَلَا مَوْلُوهُمْ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِمْ شَيْئًا﴾ في دفع الإهانة ثم قال: ﴿إِنَّكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي إن هذا اليوم الذي هذا شأنه هو كائن لأن الله وعد به ووعدته حق، وقيل: وعد الله حق بأنه لا يجزي والدٌ عن ولده لأنه وعد بأن لا تزر وازرةٌ وزر أخرى ووعد الله حق^(١).

(١) اللباب في علوم الكتاب (١٥/٤٦٦).

المطلب الثاني

النهي عن اتباع خطوات الشيطان

أولاً: المقصود ب (خطوات الشيطان):

قال الجوهري: (خطا) الخُطُوهُ بالضم: ما بين القدمين، وجمع القلة خُطُواتٌ وخُطَواتٌ وخُطُواتٌ، والكثير خُطَى. والخُطُوهُ بالفتح: المرة الواحدة، والجمع خطوات بالتحريك وخطاء، مثل ركوة وركاء^(١).

وقال الفيروز آبادي^(٢): (خَطَا) خَطُواً واخْتَطَى واخْتَاطَ، مَقْلُوبَةً: مَشَى.

والخُطُوهُ، وَيُفْتَحُ: ما بينَ القَدَمَينِ، خُطاً وخُطُواتٌ، وبالفتح: المرَّةُ خَطُواتٌ.

وتَخَطَّى الناسَ، واخْتَطَأَهُمَ: رَكِبَهُمَ، وجَاوَزَهُمَ^(٣).

قال الزمخشري: والخطوة: المرة من الخطو. والخطوة: ما بين قدمي الخاطي. وهما كالغرفة والغرفة، والقبضة. يقال: اتبع خطواته، ووطئ على عقبه. إذا اقتدى به واستن بسنته^(٤). وفي خطوات

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٣٢٧/٦).

(٢) أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي، من أئمة اللغة والأدب، رحل كثيراً في طلب العلم، له مؤلفات عديدة منها: القاموس المحيط، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، توفي سنة: ٨٤٧هـ. انظر: إنباء الغمر لابن حجر ٣/ ٤٧، والضوء اللامع (١٠ / ٧٩)، طبقات المفسرين للداودي (ص ٣١٢).

(٣) القاموس المحيط (ص ١٢٨٠).

(٤) تفسير الزمخشري (١/ ٢١٣).

قراءتان ثابتتان: قرأ نافع والبزي والبصري وشعبة وحمزة وخلف بإسكان الطاء، والباقون بضمها^(١).

(الْحَطْوَةُ، بِضَمِّ الْحَاءِ: مَا بَيْنَ قَدَمَيْ الْمَاشِي مِنَ الْأَرْضِ، وَالْحَطْوَةُ، بِفَتْحِهَا: الْمَرَّةُ مِنَ الْمَصْدَرِ. يُقَالُ: خَطَا يَخْطُو خَطْوًا: مَشَى. وَيُقَالُ: هُوَ وَاسِعُ الْخَطْوِ. فَالْحَطْوَةُ بِالضَّمِّ، عِبَارَةٌ عَنِ الْمَسَافَةِ الَّتِي يَخْطُو فِيهَا، كَالْعُرْفَةِ وَالْقَبْضَةِ، وَهِيَ عِبَارَتَانِ عَنِ الشَّيْءِ الْمَعْرُوفِ وَالْمَقْبُوضِ، وَفِي جَمْعِهَا بِالْأَلْفِ وَالْيَاءِ لُعَى ثَلَاثٌ: إِسْكَانُ الطَّاءِ كَحَالِهَا فِي الْمُفْرَدِ، وَهِيَ لُعَى تَمِيمٍ وَنَاسٍ مِنْ قَيْسٍ، وَضَمُّ الطَّاءِ اتِّبَاعًا لِضَمِّ الْحَاءِ، وَفَتْحُ الطَّاءِ. وَيُجْمَعُ تَكْسِيرًا عَلَى خَطَى، وَهُوَ قِيَاسٌ مُطَرِّدٌ فِي فِعْلَةِ الْإِسْمِ)^(٢).

(و الشيطان: كل عات متمرّد من الإنس والجن والدواب)^(٣).

(خطوات الشيطان: طرقة، أي لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان)^(٤).

وقال ابن كثير: (وهي طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه)^(٥).

ثانيا: أساليب الشيطان في إضلال بني الإنسان وكيفية الوقاية منه:

لقد حذرنا سبحانه وتعالى من الشيطان ولم يكتف بذلك بل أمرنا بأن نتخذة عدواً، ومنهج الشيطان في غوايته للناس أن يدعوهم إلى كل ما حذرهم الله تعالى منه، ويأمرهم بكل ما نهاهم عنه. فهذا ابن القيم يذكر أساليبه وعقبته، ويذكر في نفس الوقت كيفية الوقاية منه.

(١) البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص ٤٣).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٩٨/٢).

(٣) مختار الصحاح (ص ١٦٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٤١/١).

(٥) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣٤٧/١).

فيقول: (فإنه (أي الشيطان) يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات، بعضها أصعب من بعض، لا ينزل منه من العقبة الشاقة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها.

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله وبدينه ولقائه، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله عنه، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، فإن اقتحم هذه العقبة ونجا منها ببصيرة الهداية، وسلم معه نور الإيمان طَلَبَهُ على:

العقبة الثانية: وهي عقبة البدعة، إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الأوضاع والرسوم المحدثه في الدين، التي لا يقبل الله منها شيئاً، والبدعتان في الغالب متلازمتان، قل أن تنفك إحدهما عن الأخرى فإن قطع هذه العقبة، وخلص منها بنور السنة، واعتصم منها بحقيقة المتابعة، وما مضى عليه السلف الأخيار، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهيئات أن تسمح الأعصار المتأخرة بواحد من هذا الضرب! فإن سمحت به نصب له أهل البدع الحبائل، وبغوه الغوائل، وقالوا: مبتدع محدث.

العقبة الثالثة: وهي عقبة الكبائر، فإن ظفر به فيها زينها له، وحسنها في عينه، وسوف به، وفتح له باب الإرجاء، وقال له: الإيمان هو نفس التصديق، فلا تقدر فيه الأعمال، وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق، وهي قوله: لا يضر مع التوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشرك حسنة، والظفر به في عقبة البدعة أحب إليه، لمناقضتها الدين، ودفعها لما بعث الله به رسوله، وصاحبها لا يتوب منها، ولا يرجع عنها، بل يدعو الخلق إليها، إلى أن قال فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها، حتى ينسلخ صاحبها من الدين، كما تنسل الشعرة من العجين، فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر، والعميان ضالون في

ظلمة العمى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾^(١). فإن قطع هذه العقبة بعصمة من الله، أو بتوبة نصوح تنجيه منها، طلبه على:

العقبة الرابعة: وهي عقبة الصغائر، فكال له منها بالقفزان، وقال: ما عليك إذا اجتبت الكبائر ما غشيت من اللمم، أو ما علمت بأنها تكفر باجتنايب الكبائر وبالحسنات، ولا يزال يهون عليه أمرها حتى يصر عليها، فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالا منه، فالإصرار على الذنب أقبح منه، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار، وقد قال ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب، ثم ضرب لذلك مثلا يقوم نزلوا بفلاة من الأرض، فأعوزهم الحطب، فجعل هذا يجيء بعود، وهذا بعود، حتى جمعوا حطبا كثيرا، فأوقدوا نارا، وأنضحوا خبزتهم، فكذلك فإن محقرات الذنوب تجتمع على العبد وهو يستهين بشأنها حتى تهلكه»^(٢).

العقبة الخامسة: وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فاعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات، وأقل ما ينال منه تفويته الأرباح، والمكاسب العظيمة، والمنازل العالية، ولو عرف السعر لما فوت على نفسه شيئا من القربات، ولكنه جاهل بالسعر. فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها، وقلة المقام على الميناء، وخطر التجارة، وكرم المشتري، وقدر ما يعوض به التجار، فبخل بأوقاته، وضم بأنفاسه أن تذهب في غير ربح، طلبه العدو على:

(١) سورة النور، الآية (٤٠).

(٢) رواه أحمد - حديث رقم (٢٢٨٠٨) من حديث سهل بن سعد وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث (٩٠٤)، وشرح السنة للبخاري في كتاب الرقائق - باب خوف الملاك إذا كثرت الخبث - حديث رقم (٤٢٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥٢٢)، حديث رقم (٢٦٨٦).

العقبة السادسة: وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره بها، وحسنها في عينه، وزينها له، وأراه ما فيها من الفضل والريح، ليشغله بها عما هو أفضل منها، وأعظم كسبا وربحا، لأنه لما عجز عن تحسيه أصل الثواب، طمع في تحسيه كماله وفضله، ودرجاته العالية، فشغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضي عن الأرضى له. ولكن أين أصحاب هذه العقبة؟ فهم الأفراد في العالم، والأكثرين قد ظفر بهم في العقبات الأول. فإن نجح منها بفقته في الأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل، ومعرفة مقاديرها، والتمييز بين عاليها وسافلها، ومفضولها وفاضلها، ورئيسها ومرءوسها، وسيدها ومسودها، فإن في الأعمال والأقوال سيذا ومسودا، ورئيسا ومرءوسا، وذروة وما دونها، كما في الحديث الصحيح «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت»^(١) الحديث، ولا يقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولي العلم، السائرين على جادة التوفيق، قد أنزلوا الأعمال منازلها، وأعطوا كل ذي حق حقه.

فإذا نجح منها لم يبق هناك عقبة يطلبه العدو عليها سوى واحدة لا بد منها، ولو نجح منها أحد لنجا منها رسل الله وأنبيأؤه، وأكرم الخلق عليه، وهي **عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى** (العقبة السابعة)، باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده، وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط، وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها، فإنه كلما جد في الاستقامة والدعوة إلى الله، والقيام له بأمره، جد العدو في إغراء السفهاء به، فهو في هذه العقبة قد لبس لأمة الحرب، وأخذ في محاربة العدو لله وبالله، فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين، وهي تسمى عبودية المراغمة، ولا ينتبه لها إلا أولو البصائر التامة، ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه، وإغاظته له^(٢).

(١) أخرجه البخاري - كتاب الدعوات - باب أفضل الاستغفار حديث رقم (٦٣٠٦).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٢٣٧- ٢٤١) باختصار.

ومن ثم فإن عبارة القرآن الكريم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ جمعت كل هذه الأساليب وأكثر، وما خفي عنا من أسرار القرآن كثير، ولم نصل إليه فسبحان من هذا كلامه.

ثالثاً: نداءات الناس ونهيهم عن اتباع خطوات الشيطان:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

أولاً: النداء في الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾.

قال ابن عطية: الخطاب عام. (٢)

وقال ابن عاشور: الخطاب بيا أيها الناس موجه إلى المشركين. (٣)

قال الشوكاني: الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. (٤)

ثانياً: الغرض من النداء التحذير من إغواء الشيطان.

ثالثاً: موضوع النداء النهي عن اتباع خطوات الشيطان.

الشيطان هو العدو الأول للإنسان، و لقد أخذ الشيطان العهد والميثاق، لغواية بني آدم، وجاء ذلك صريحاً في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعَرْنِكَ لَأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٥)، بل و بين طرائقه في الغواية ﴿قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ

(١) سورة البقرة، الآية (١٦٨ - ١٦٩).

(٢) تفسير ابن عطية (٢٣٧/١) و ينظر: تفسير الرازي (١٨٥/٥)، و فتح القدير للشوكاني (١٩٣/١)، و تفسير السعدي (ص ٨٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٠١/٢).

(٤) فتح القدير للشوكاني (١٩٣/١).

(٥) سورة ص، الآية (٨٢ - ٨٣).

الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَكِرِينَ ﴿١﴾.

ولقد تلقى آدم عليه السلام التحذير من ربه من الشيطان وكيده، عندما أوى إبليس السجود لأدم عليه السلام، وكان ذلك سببا في لعنته وطرده من رحمة الله فما كان منه إلا أن توعد آدم وذريته.

ومن رحمة الله بالناس أن بين لهم في القرآن مدى كيد الشيطان بالإنسان وبغضه له، فلا يتركه حتى يوقعه في المهلكات الموبقات، فضرب قصة آدم عليه السلام وأكله من الشجرة حتى أخرجته من جنة الخلد وأهبطه إلى الأرض مثلا واضحا جليا للناس ليحذروا.

قال تعالى: ﴿فَدَلَّيْنَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢﴾﴾.

قال ابن عاشور: وعطف جملة: وأقل لكم على جملة: أنهكما للمبالغة في التوبيخ، لأن النهي كان مشفوعا بالتحذير من الشيطان الذي هو المغري لهما بالأكل من الشجرة، فهما قد أضاعا وصيتين. والمقصود من حكاية هذا القول هنا تذكير الأمة بعبادة الشيطان لأصل نوع البشر، فيعلموا أنها عداوة بين النوعين، فيحذروا من كل ما هو منسوب إلى الشيطان ومعدود من وسوسته، فإنه لما جبل على الخبث والحزني كان يدعو إلى ذلك بطبعه وكان لا يهنا له بال ما دام عدوه ومحسوده في حالة حسنة^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾.

(١) سورة الأعراف، الآية (١٦ - ١٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٢٢).

(٣) التحرير والتنوير (٦٧/٨).

اختلف أهل التفسير في معناها على أقوال:

القول الأول: كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان.

القول الثاني: هي نزغات الشيطان.

القول الثالث: خطاياها.

القول الرابع: هي النذور في المعاصي^(١).

قال القرطبي بعد ذكره أيضا هذه الأقوال: قلت والصحيح أن اللفظ عام في كل ما عدا السنن والشرائع من البدع والمعاصي^(٢). ولهذا يتبين بأن كل ذنب عصي الله به فمن خطواته أعادنا الله منه.

قال ابن عاشور: ولا تتبعوا خطوات الشيطان الضمير للناس لا محالة وهم المشركون المتلبسون بالمنهي عنه دوما، وأما المؤمنون فحفظهم منه التحذير والموعظة^(٣).

ثم ينبهنا ربنا وخالقنا أن هذا الشيطان عدو مبين ويؤكد ذلك لنا فيقول: ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: ظاهر العداوة أو مظهر لها، وهو تعليل للنهي والانتهاة^(٤).

قال القرطبي: أخبر تعالى بأن الشيطان عدو، وخبره حق وصدق. فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمر الله تعالى بالحذر منه فقال جل من قائل: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ط العلمية (١/٣٤٨).

(٢) تفسير القرطبي (٢/٢٠٩).

(٣) التحرير والتنوير (٢/١٠٢).

(٤) تفسير الألوسي = روح المعاني (١/٤٩٣).

وَالْفَحْشَاءَ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ﴿٢﴾ وقال: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٣﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ﴿٤﴾ وقال: ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٥﴾ وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٦﴾. وهذا غاية في التحذير، ومثله في القرآن كثير ﴿٧﴾.

وهنا سؤال مهم كيف يكون الشيطان أمرا وداعيا مع قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ﴿٨﴾؟

يجيب الزمخشري فيقول: شبه تزيينه وبعثه على الشر بأمر الأمر، كما تقول: أمرتني نفسي بكذا. وتحتته رمز إلى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال: ﴿وَلَا أُمْرَتُهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا أُمْرَتَهُمْ فَلْيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ﴿٩﴾ لما كان الإنسان يطيعها فيعطيهما ما اشتتهت ﴿٩﴾.

ثم يخبر الله تعالى في نداءه الناس في هذه الله أمر الشيطان فيقول: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾.

(١) سورة البقرة، الآية (١٦٨ - ١٦٩).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٦٨).

(٣) سورة النساء، الآية (٦٠).

(٤) سورة المائدة، الآية (٩١).

(٥) سورة القصص، الآية (١٥).

(٦) سورة فاطر، الآية (٦).

(٧) تفسير القرطبي (٢/٢٠٩).

(٨) سورة الحجر، الآية (٤٢).

(٩) تفسير الزمخشري (١/٢١٣).

قال البيضاوي: بيان لعداوته، ووجوب التحرز عن متابعتها. واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم^(١).

وهذه الآية كالتفسير لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ فيدخل في الآية أن الشيطان يدعو إلى الصغائر والكبائر والكفر والجهل بالله^(٢).

قال ابن عاشور: إنما يأمركم بالسوء والفحشاء استئناف بياني لقوله: إنه لكم عدو مبين فيؤول إلى كونه علة للعلة إذ يسأل السامع عن ثبوت العداوة مع عدم سبق المعرفة ومع بعد ما بيننا وبينه فقيل إنما يأمركم أي لأنه لا يأمركم إلا بالسوء إلخ أي يحسن لكم ما فيه مضرتكم لأن عداوته أمر خفي عرفناه من آثار أفعاله^(٣).

وقال الرازي: دلت الآية على أن الشيطان لا يأمر إلا بالقبائح لأنه تعالى ذكره بكلمة إنما وهي للحصر، وقال بعض العارفين: إن الشيطان قد يدعو إلى الخير لكن لغرض أن يجره منه إلى الشر وذلك يدل على أنواع: إما أن يجره من الأفضل إلى الفاضل ليتمكن من أن يخرج منه من الفاضل إلى الشر، وإما أن يجره من الفاضل الأسهل إلى الأفضل الأشق ليصير ازدياد المشقة سببا لحصول النفرة عن الطاعة بالكلية^(٤).

قال الزمخشري: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته. أي لا يأمركم بخير قط إنما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم، وقيل: السوء ما لا حد فيه. والفحشاء: ما يجب الحد فيه وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو

(١) تفسير البيضاوي (١/١١٨).

(٢) ينظر: تفسير الرازي (٥/١٨٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢/١٠٤).

(٤) تفسير الرازي (٥/١٨٧).

قولكم: هذا حلال وهذا حرام، بغير علم. ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله تعالى مما لا يجوز عليه^(١).

قوله (السوء) مصدر من ساء يسوء فهي المعاصي وما تسوء عاقبته.

وَالْفَحْشَاءُ قِيلَ: هِيَ الزَّانَا.

وقيل: كل ما بلغ حدا من الحدود لأنه يتفاحش حينئذ.

وقيل: ما تفاحش ذكره. ثم استعملت اللفظة فيما يستقبح من المعاني، والشرع هو الذي يحسن ويقبح، فكل ما نعت عنه الشريعة فهو من الفحشاء، وما لا تَعْلَمُونَ: قال الطبري: يريد به ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوها وجعلوه شرعا^(٢).

ثم يأتي النداء الثاني من الله تحذيرا للناس من عدوهم اللدود ومبينا الغاية التي يريد الشيطان أن يصلها ويحققها، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۗ﴾^(٣).

أولاً: النداء في الآية ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾.

قال السمرقندي: يا أهل مكة أي أنه خطاب خاص^(٤).

قال ابن عطية: وعظ عز وجل جميع العالم^(٥).

(١) تفسير الزمخشري (٢١٣/١).

(٢) تفسير ابن عطية (٢٣٧/١) وينظر: تفسير الطبري (٤٠/٣).

(٣) سورة فاطر، الآية (٥ - ٦).

(٤) تفسير السمرقندي (١٠٠/٣).

(٥) تفسير ابن عطية (٤٢٩/٤).

والذي يظهر أنه للعموم كما تقرر سابقا وكما يقول ابن عاشور: والخطاب للمشركين، أو لهم وللمؤمنين لأن ما تلاه صالح لموعظة الفريقين كل على حسب حاله^(١).

ثانيا: الغرض من النداء.

التحذير من الشيطان والإنذار والإعذار.

ثالثا: موضوع النداء التحذير من الشيطان واتخاذ عدوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾

قال الزجاج: الغرور الشيطان.^(٢)

قال ابن الأثير: سمي الشيطان غرورا، لأنه يحمل الإنسان على محابه، ووراء ذلك ما يسوءه^(٣).

قال الراغب: فالغرور: كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسر بالشيطان إذ هو أحبب الغارين، وبالدينيا لما قيل: الدنيا تغر وتضر وتمر.^(٤)

قال الألوسي: وأصل الغرور من غر فلانا إذا أصاب غرته أي غفلته ونال منه ما يريد.^(٥)

والغرور بفتح الغين: هو الشيطان، لأن من شأنه أن يغر الخلق، ويمنيهم بالأمانى الباطلة، ويلهيهم عن الآخرة، ويصددهم عن طريق الحق^(٦).

(١) التحرير والتنوير (٢٢/٢٥٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٢٦٣).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٥٦) وانظر: لسان العرب (٥/١٤).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص ٦٠٤).

(٥) تفسير الألوسي = روح المعاني (١١/١٠٦).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/٢٨٢).

وقد فسر كثير من العلماء (الغرور) في القرآن بالشیطان بل قال ابن عطية: العُرُورُ الشيطان بإجماع من المتأولين^(١).

فإياك أن تغتر به في تزينه لك الباطل، فقد نهاك مولاك عن ذلك، وذكرك بعداوته لك.

قال البيضاوي: إن الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة. فاتخذوه عدوا في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم. إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى الدنيا^(٢).

وقد بين الله المخرج والطريق للنجاة من هذا العدو اللدود الذي قعد لنا في كل طريق وسيبقى محاربا لنا حتى تخرج هذه الروح إلى بارئها فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

قال الرازي: لما قال تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ ولا تسمعوا قوله: وقوله: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ أي اعملوا ما يسوءه وهو العمل الصالح.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ إشارة إلى معنى لطيف وهو أن من يكون له عدو فله في أمره طريقان:

أحدهما: أن يعاديه مجازاة له على معاداته.

(١) تفسير ابن عطية (٥/٢٦٣).

(٢) تفسير البيضاوي (٤/٢٥٤).

والثاني: أن يذهب عداوته بإرضائه، فلما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أمرهم بالعداوة وأشار إلى أن الطريق ليس إلا هذا، وأما الطريق الآخر وهو الإرضاء فلا فائدة فيه لأنكم إذا رأيتموه واتبعتموه فهو لا يؤدبكم إلا إلى السعير.

واعلم أن من علم أن له عدوا لا مهرب له منه وجزم بذلك فإنه يقف عنده ويصبر على قتاله والصبر معه الظفر، فكذلك الشيطان لا يقدر الإنسان أن يهرب منه فإنه معه، ولا يزال يتبعه إلا أن يقف له ويهزمه، فهزيمة الشيطان بعزيمة الإنسان، فالطريق الثبات على الجادة^(١).

(١) تفسير الرازي (٢٦/٢٢٣).

المطلب الثالث

الأمر بالكسب الطيب

قال الراغب: (يقال: طاب الشيء يطيب طيبا، فهو طيب. قال تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ﴾^(١)، ﴿فَإِنْ طَبَّنَ لَكُمْ﴾^(٢)، وأصل الطيب: ما تستلذه الحواس، وما تستلذه النفس، والطعام الطيب في الشرع: ما كان متناولاً من حيث ما يجوز، ومن المكان الذي يجوز فإنه متى كان كذلك كان طيباً عاجلاً وأجلاً لا يستوحم، وإلا فإنه - وإن كان طيباً عاجلاً - لم يطب أجلاً، وعلى ذلك قوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٣)، ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلْالًا طَيِّبًا﴾^(٤)، ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٥)، ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾^(٦)، وهذا هو المراد بقوله: ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(٧)، وقوله ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾^(٨)، قيل: عنى بها الذبائح، وقوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾^(٩)، إشارة إلى الغنيمة).^(٢)

(١) سورة النساء، الآية (٣).

(٢) سورة النساء، الآية (٤).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٧٢).

(٤) سورة النحل، الآية (١١٤).

(٥) سورة المائدة، الآية (٨٧).

(٦) سورة المؤمنون، الآية (٥١).

(٧) سورة الأعراف، الآية (٣٢).

(٨) سورة المائدة، الآية (٥).

وفي الاصطلاح: قال الكفوي^(٣) الطَّيِّب: مَا أَفْتَاكَ قَلْبُكَ أَنْ لَيْسَ فِيهِ جَنَاحٌ، وَقِيلَ: الطَّيِّبُ مَا يَسْتَلْذُ مِنَ الْمُبَاحِ الْكَلِيَّاتِ وَقِيلَ: الْحَلَالُ: الصَّافِي الْقَوَامُ، فَالْحَلَالُ مَا لَا يَعْصِي اللَّهُ فِيهِ، وَالصَّافِي: مَا لَا يَنْسَى اللَّهُ فِيهِ، وَالْقَوَامُ: مَا يُمْسِكُ النَّفْسَ وَيَحْفَظُ الْعَقْلَ.^(٤)

قال ابن عاشور: والمراد بالطيب هنا ما تستطيبه النفوس بالإدراك المستقيم السليم من الشذوذ وهي النفوس التي تشتتهي الملائم الكامل أو الراجح بحيث لا يعود تناوله بضر جثماني أو روحاني.^(٥)

ومن صفاته سبحانه أنه طيب ولا يقبل إلا طيباً، فقد جاء عن رسول الهدى ﷺ الخبر اليقين فقال: (أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٦) وقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٧) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟^(٨)

(١) سورة غافر، الآية (٦٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص ٥٢٧).

(٣) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، من قضاة الأحناف بتركيا، ولي القضاء في بغداد والقدس، له كتب بالتركية، وفاته سنة: ١٠٤٩ هـ. انظر: الأعلام (٣٨/٢)، معجم المؤلفين (٣١/٣).

(٤) الكليات (ص ٤٠٠).

(٥) التحرير والتنوير (١٠٢/٢).

(٦) سورة المؤمنون، الآية (٥١).

(٧) سورة البقرة، الآية (١٧٢).

(٨) أخرجه مسلم في كتاب - كتاب الكسوف - باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها - حديث رقم (٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بل جاء الأمر للناس جميعا فقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١).

أولاً: النداء في هذه الآية سبق الحديث عنه في النداء السابق.

ثانياً: الغرض من النداء.

الامتثال على عبادته بما أنعم عليهم من النعم.

ثالثاً: موضوع النداء الأمر بالكسب الطيب والأكل الحلال.

في قوله تعالى: ﴿كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾: شرع يبين أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر في مقام الامتثال أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيباً، أي مستطاباً في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان وهي طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها، مما كان زينه لهم في جاهليتهم.^(٢)

وفي هذه الآية قاعدتان للمسلم مهمتان في حياته من ربه الكريم سبحانه.

أولها: أن الأصل في الأعيان الإباحة أكلاً وانتفاعاً.

فامتت عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما في الأرض، من حبوب، وثمار، وفواكه، وحيوانات بدليل قوله ﴿كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾.

ثانيها: أن المحرم نوعان: إما محرم لذاته وإما محرم لما عرض له.

(١) سورة البقرة، الآية (١٦٨).

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (١/٣٤٧).

فالمحرم لذاته: وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب كالميتة والدم، ولحم الخنزير، والخبائث كلها. والمحرم لما عرض له (أو لغيره): وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، وهو ضد الحلال. أي ليس بغصب ولا سرقة، ولا محصلا بمعاملة محرمة أو على وجه محرم، أو معيناً على محرم^(١).

قال ابن عاشور: وفي هذا الوصف معنى عظيم من الإيماء إلى قاعدة الحلال والحرام فلذلك قال علماءنا: إن حكم الأشياء التي لم ينص الشرع فيها بشيء أن أصل المضار منها التحريم وأصل المنافع الحل، وهذا بالنظر إلى ذات الشيء بقطع النظر عن عوارضه كتعلق حق الغير به الموجب تحريمه، إذ التحريم حينئذ حكم للعارض لا للمعروض^(٢).

قال الزجاج: الإباحة لأكل جميع الأشياء إلا ما قد حظر الله عز وجل من الميتة وما ذكر معها، فيكون (طيباً) نعتاً للحلال، ويكون طيباً نعتاً لما يستطاب، والأجود أن يكون (طيباً) من حيث يطيب لكم، أي لا تأكلوا وتنفقوا مما يحرم عليكم كقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾^{(٣)(٤)}.

أما عن وجه تسميته بالحلال، فيقول القرطبي: وسمي الحلال حالاً لانحلال عقدة الحظر عنه^(٥).

ونوع (من) في هذه الآية ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ للتبويض لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول^(٦).

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص ٨٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٠٢/٢).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٦٧).

(٤) معاني القرآن وإعراجه للزجاج (٢/٢٣٣).

(٥) تفسير القرطبي (٢٠٨/٣).

(٦) تفسير النسفي (١٤٩/١) و تفسير البيضاوي (١١٨/١).

قال ابن عثيمين: (من) يحتمل أن تكون لبيان الجنس؛ ويحتمل أن تكون للتبويض؛ لكن كونها لبيان الجنس أولى؛ ويرجحها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١)؛ أي كلوا من هذا ما شئتم؛ ويشمل كل ما في الأرض من أشجار، وزروع، وبقول، وغيرها؛ ومن حيوان أيضاً؛ لأنه في الأرض^(٢).

ويؤكد تقسيم السعدي أن المحرم نوعان، مذكوره ورجحه ابن عثيمين في تفسيره فيقول: ﴿حَلَالًا﴾: منصوبة على الحال من (ما)؛ أي كلوه حال كونه حلالاً - أي محلاً -؛ فهي بمعنى اسم المفعول؛ و ﴿طَيِّبًا﴾ حال أخرى - يعني: حال كون طيباً - مؤكداً لقوله تعالى: ﴿حَلَالًا﴾؛ ويحتمل أن يكون المراد بـ (الحلال) ما كان حلالاً في كسبه.

وبـ (الطيب) ما كان طيباً في ذاته؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾^(٣)، وقوله تعالى في الميتة، ولحم الخنزير: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾^(٤)؛ وهذا أولى؛ لأن حمل الكلام على التأسيس أولى من حمله على التوكيد.^(٥)

وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالكسب الطيب والأكل الطيب بعد نداءه للناس ومع دخولهم في الخطاب السابق فقال سبحانه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(١٧٣) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٦) فقوله:

(١) سورة البقرة، الآية (٢٩).

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة و البقرة (٢/٢٣٣).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

(٤) سورة الأنعام، الآية (١٤٥).

(٥) تفسير العثيمين: الفاتحة و البقرة (٢/٢٣٣).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٧٢ - ١٧٣).

فقوله: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ هذا تأكيد للأمر الأول، أعني قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ وإنما خص المؤمنين هنا لكونهم أفضل أنواع الناس.^(١)

فقد أباح الله تعالى للناس أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالا من الله طيبا، فالطيب هو ما أحله الله وساقه، ففي حديث رسول الله ﷺ: (إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه)^(٢).

فتأمل أن أطيب ما تأكله ما كان من كسبك، فالأكل من الطيبات سبب في إجابة الدعوات، وطريق موصل إلى إرضاء رب الأرض والسموات.

(١) فتح القدير للشوكاني (١/١٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود - كتاب البيوع - باب في الرجل يأكل من مال ولده (٣٥٢٨) وابن ماجه في سننه - كتاب التجارات - باب الحث على المكاسب (٢١٣٧) من حديث عائشة رضي الله عنها والحديث صححه الألباني.

المطلب الرابع

النهي عن البغي والظلم

أولاً: تعريف البغي:

قال الراغب: (البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى، تجاوزه أم لم يتجاوزه، فتارة يعتبر في القدر الذي هو الكمية، وتارة يعتبر في الوصف الذي هو الكيفية، يقال: بَغَيْتُ الشَّيْءَ: إذا طلبت أكثر ما يجب، وابتَغَيْتُ كذلك، قال الله عزَّ وجل: ﴿لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾^(٢).

وَأَبْغَيْتُكَ: أعتك على طلبه، وبعَى الجرح: تجاوز الحد في فساده، وبعَتِ المرأةُ بَعَاءً: إذا فجرت، وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها. قال عزَّ وجل: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَئِيتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾^(٣)، وبعَتِ السماءُ: تجاوزت في المطر حدَّ المحتاج إليه، وبعَى: تكبر، وذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له، ويستعمل ذلك في أي أمر كان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(٤)، و ﴿ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾^(٥).

(١) سورة التوبة، الآية (٤٨).

(٢) سورة التوبة، الآية (٤٧).

(٣) سورة النور، الآية (٣٣).

(٤) سورة يونس، الآية (٢٣).

(٥) سورة الحج، الآية (٦٠).

فالبغي في أكثر المواضع مذموم، وقوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾^(١)، أي: غير طالب ما ليس له طلبه ولا متجاوز لما رسم له^(٢).

والبغي على ضربين: أحدهما: محمود، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والفرض إلى التطوع.

والثاني: مذموم، وهو تجاوز الحق إلى الباطل، أو تجاوزه إلى الشبه، ولأنّ البغي قد يكون محموداً ومذموماً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٣)، فخصّ العقوبة ببغيه بغير الحق^(٤).

والبغي في الاصطلاح: طلب تجاوز قدر الاستحقاق، تجاوزه أو لم يتجاوزه، ويستعمل في المتكبر لأنّه طالب منزلة ليس لها بأهل^(٥). وهو قريب مما ذكره الراغب.

ثانياً: اطلاقات البغي في القرآن الكريم.

ورد في القرآن لفظ البغي على أربعة أوجه^(٦):

الأول: بمعنى الظلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٧) يعني الظلم، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾^(٨) يعني الظلم.

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص ١٣٦-١٣٧).

(٣) سورة الشورى، الآية (٤٢).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص ١٣٦-١٣٧).

(٥) الكليات (ص ٥٨٤).

(٦) إصلاح الوجوه والنظائر للدماغاني (١٣٠-١٣١).

(٧) سورة الأعراف، الآية (٣٣).

(٨) سورة الشورى، الآية (٣٩).

الثاني: بمعنى المعصية. ﴿ فَلَمَّا أَجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(١) أي يعصون، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٢) أي معصيتكم ﴿ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ ضررها عليكم.

الثالث: بمعنى الحسد: ﴿ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٣) يعني حسدا.

الرابع: بمعنى الزنى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَئِيتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾^(٤).

وزاد بعضهم معنى خامسا: الطلب ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾^(٥) أي يطلبون لها اعوجاجا، ﴿ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾^(٦) ولها نظائر^(٧).

ثالثا: تعريف الظلم:

(وَالظُّلْمُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّغَةِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ: وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ الْمُخْتَصِّ بِهِ، وَإِمَّا بِنَقْصَانٍ أَوْ بزيادة، وَإِمَّا بَعْدُولٍ عَنِ وَقْتِهِ أَوْ مَكَانِهِ، وَمِنْ هَذَا يُقَالُ: ظَلَمْتُ السَّقَاءَ: إِذَا تَنَاوَلْتَهُ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ اللَّبَنُ الظَّلِيمَ. وَظَلَمْتُ الْأَرْضَ: حَفَرْتُهَا وَلَمْ تَكُنْ مَوْضِعًا لِلْحَفْرِ، وَتِلْكَ الْأَرْضُ يُقَالُ لَهَا: الْمُظْلُومَةُ، وَالتُّرَابُ الَّذِي يُخْرَجُ مِنْهَا: ظَلِيمٌ. وَالظُّلْمُ يُقَالُ فِي مَجَاوِزَةِ الْحَقِّ الَّذِي يَجْرِي مَجْرَى نَقْطَةِ الدَّائِرَةِ، وَيُقَالُ فِيهَا يَكْثُرُ وَفِيمَا يُقَلُّ مِنَ التَّجَاوُزِ، وَهَذَا يَسْتَعْمَلُ فِي الذَّنْبِ الْكَبِيرِ، وَفِي الذَّنْبِ الصَّغِيرِ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِآدَمَ فِي تَعْدِيهِ ظَالِمٌ، وَفِي إِبْلِيسَ ظَالِمٌ، وَإِنْ

(١) سورة يونس، الآية (٢٣).

(٢) سورة يونس، الآية (٢٣).

(٣) سورة البقرة، الآية (٩٠).

(٤) سورة النور، الآية (٣٣).

(٥) سورة الأعراف، الآية (٤٥).

(٦) سورة المزمل، الآية (٢٠).

(٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/٢٦٣).

كان بين الظُّلَمِيِّينَ بون بعيد. قال بعض الحكماء: **الظُّلْمُ ثلاثة: الأول: ظَلَمَ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشُّرك والنِّفاق، ولذلك قال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، وإيَّاه قصد بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢).**

والثاني: ظَلَمَ بينه وبين الناس، وإيَّاه قصد بقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾^(٣).
والثالث: ظَلَمَ بينه وبين نفسه، وإيَّاه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾^(٤).

وكلّ هذه الثلاثة في الحقيقة ظُلْمٌ للنفس، فإنّ الإنسان في أوّل ما يهَمُّ بالظُّلْمِ فقد ظَلَمَ نفسه، فإذا الظَّالِمُ أبدا مبتدئ في الظُّلْمِ، ولهذا قال تعالى في غير موضع: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^(٦)، فقد قيل: هو الشُّرك، بدلالة أنه لما نزلت هذه الآية شقّ ذلك على أصحاب النبي عليه السلام، وقال لهم: ألم تروا إلى قوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^{(٧)(٨)}.

والظلم في الاصطلاح: وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد^(٩).

(١) سورة لقمان، الآية (١٣).

(٢) سورة هود، الآية (١٨).

(٣) سورة الشورى، الآية (٤٢).

(٤) سورة فاطر، الآية (٣٢).

(٥) سورة النحل، الآية (٣٣).

(٦) سورة الأنعام، الآية (٨٢).

(٧) سورة لقمان، الآية (١٣).

(٨) المفردات في غريب القرآن (ص ٥٣٧).

(٩) التعريفات (ص ١٤٤).

رابعاً: العلاقة بين البغي والظلم:

بعد أن ذكرنا معاني اطلاقات البغي في القرآن الكريم، فإن المتأمل لهذه المعاني يعلم أن البغي في أكثر مواضعه مذموم^(١). ومتى ذم هذا البغي فإنه يكون من أنواع الظلم، ولكن هذا الظلم متفاوت بتفاوت أنواعه التي ذكرناها، فقد يكون البغي كفراً وقد يكون دون ذلك، فبحسب ذلك البغي والظلم يكون الحكم عليه كما سيأتي في النداء قريبا.

خامساً: نداءات النهي عن البغي والظلم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٣) ﴿^(٢).

أولاً: النداء في الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾.

قال ابن الجوزي: يا أَيُّهَا النَّاسُ يعني أهل مكة^(٣).

قال ابن عاشور: خطاب للمشركين وهم الذين يبغون في الأرض بغير الحق^(٤).

والراجح في ذلك أنه للعموم كما أسلفنا^(٥).

ثانياً: الغرض من النداء.

استصغاء أسماعهم. والمقصود التحذير من البغي والتهديد والوعيد لأهله.

ثالثاً: موضوع النداء: النهي عن البغي والظلم.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/٢٦٣).

(٢) سورة يونس، الآية (٢٣).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٢/٣٢٤) وانظر: البسيط (١١/١٦٠).

(٤) التحرير والتنوير (١١/١٣٩).

(٥) انظر: مبحث المخاطبون بنداء الناس.

لما ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس عند إصابة الرحمة لهم بعد الضراء، واليسر بعد العسر، ذكر حالة، تؤيد ذلك، وهي حالهم في البحر عند اشتداده، والخوف من عواقبه، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾^(١) أي: عرفوا أنه الهلاك، فانقطع حينئذ تعلقهم بالمخلوقين، وعرفوا أنه لا ينجيهم من هذه الشدة إلا الله وحده، فدعوه مخلصين له الدين ووعدوا من أنفسهم على وجه الإلزام، فقالوا: ﴿لَئِن آجِئْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، فهلا أخلصوا لله العباد في الرخاء، كما أخلصوها في الشدة؟!^(٢)

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بَغِيرَ الْحَقِّ﴾^(٣) أي: يكفرون، ويعملون بالمعاصي على ظهر الأرض. وأصل النجاء: البعد من المكروه ومنه الاستنجاء، لأن الإنسان يبعد به عن نفسه الأذى^(٤). ﴿إِذَا﴾^(٥) أي فاجئوا الفساد فيها وسارعوا إليه متراقين في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود العيث^(٦) (٥) (٦).

وقال ابن عطية: يَبْعُونَ أي يفسدون ويكفرون، والبغي: التعدي والأعمال الفاسدة.^(٧) ثم يأتي يأتي التأكيد على كون هذا البغي بغير الحق كما في قوله ﴿بَغِيرَ الْحَقِّ﴾.

(فما معنى قوله: بغير الحق، والبغي لا يكون بحق؟)

(١) سورة يونس، الآية (٢٢).

(٢) تفسير السعدي (ص ٣٦١) بتصرف.

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (٣٢٤٤/٥).

(٤) الفتوحات الإلهية على الجلالين (٣٤٧/٣).

(٥) العنوّ والعيث والعتي: أشدّ الفساد. انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (ص ٧٦).

(٦) تفسير أبي السعود (١٣٥/٤).

(٧) تفسير ابن عطية (١١٣/٣)، وابن عطية يحمل البغي على الفساد ويجعل بغير الحق تأكيدا له.

(قلنا: البغي قد يكون بالحق، وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقطع أشجارهم، كما فعل رسول الله ﷺ ببني قريظة. ثم إنه تعالى بين أن هذا البغي أمر باطل يجب على العاقل أن يحتز منه^(١).)^(٢).

قال الشوكاني: والبغي وإن كان ينافي أن يكون بحق، بل لا يكون إلا بالباطل، لكن زيادة: بغير الحق، إشارة إلى أنهم فعلوا ذلك بغير شبهة عندهم، بل تمردا، وعنادا، لأنهم قد يفعلون ذلك لشبهة يعتقدونها مع كونها باطلة^(٣).

ثم يأتي النداء الإلهي مذكرا ومخدرا من البغي والظلم.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: عليها يرجع. وإياها تظلمون. وهذا الذي أنتم فيه متاع الحياة الدنيا.

قال ابن كثير: أي إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحدا غيركم، كما جاء في الحديث (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم)^(٤).^(٥)

قال ابن عاشور: (وصيغة قصر البغي على الكون مضرا بهم كما هو مفاد حرف الاستعلاء تنبيه على حقيقة واقعية وموعظة لهم ليعلموا أن التحذير من الشرك والتهديد عليه لرعي

(١) قال أبو حيان (ولا يصح أن يقال في المسلمين إنهم باغون على الكفرة، إلا إن ذكر أن أصل البغي هو الطلب مطلقا ولا يتضمن الفساد، فحينئذ ينقسم إلى طلب بحق، وطلب بغير حق). البحر المحيط في التفسير (٣٥/٦).

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٣٥/١٧).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤٩٥/٢).

(٤) أخرجه أبو داود - كتاب الأدب - باب في النهي عن البغي - حديث رقم (٤٩٠٢)، وابن ماجه - كتاب الزهد باب البغي - حديث رقم (٤٢١١) وصححه الألباني.

(٥) تفسير ابن كثير ط العلمية (٢٢٧/٤).

صلاحهم لا لأنهم يضرونه كقوله: ﴿وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا﴾^(١). فمعنى (على) الاستعلاء المجازي المكنى به عن الإضرار لأن المستعلي الغالب يضر بالمغلوب المستعلي عليه، ولذلك يكثر أن يقولوا: هذا الشيء عليك، وفي ضده: هذا الشيء لك، كقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾^(٢). ويقول المقر: لك علي كذا. وذلك أن (على) تدل على الإلزام والإيجاب، واللام تدل على الاستحقاق.

وفي الحديث: (القرآن حجة لك أو عليك)^(٣). فالمراد بالأنفس أنفس الباغين باعتبار التوزيع بين أفراد معاد ضمير الجماعة المخاطبين في قوله: بغيكم وبين أفراد الأنفس، كما في قولهم: (ركب القوم دواهم) أي، ركب كل واحد دابته. فالمعنى إنما بغي كل أحد على نفسه، لأن الشرك لا يضر إلا بنفس المشرك باختلال تفكيره وعمله ثم بوقوعه في العذاب)^(٤).

ثم ابتداء بالرجز وذم البغي في أوجز^(٥) لفظ ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

متاع الحياة " قرئت بنصب العين، وبرفعها^(٦). فما الفرق بين القراءتين؟ قلت: إذا رفعت كان المتاع خيرا للمبتدأ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته، كقوله فبغى عليهم ومعناه: إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم، يعني: بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها. وإذا نصبت على أنفسكم خبر غير صلة، معناه. إنما بغيكم وبال على

(١) سورة التوبة، الآية (٣٩).

(٢) سورة فصلت، الآية (٤٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء - حديث رقم (١).

(٤) التحرير والتنوير (١١/١٣٩-١٤٠).

(٥) تفسير ابن عطية (٣/١١٣).

(٦) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص ١٤٣).

أنفسكم، ومتاع الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد، كأنه قيل: تتمتعون متاع الحياة الدنيا. ويجوز أن يكون الرفع على: هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام^(١).

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ثم إلينا مرجعكم أي مصيركم ومآلكم فننبئكم أي فنخبركم بجميع أعمالكم ونوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه^(٢).

(والبغي يعود وباله عليهم، ولهذا قال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: غاية ما تؤملون بغيكم، وشروءكم عن الإخلاص لله، أن تناولوا شيئا من حطام الدنيا وجاهها النزر اليسير الذي سينقضي سريعا، ويمضي جميعا، ثم تنتقلون عنه بالرغم.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ في يوم القيامة ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وفي هذا غاية التحذير لهم عن الاستمرار على عملهم^(٣). فعلينا أن نحذر عاقبة البغي والظلم.

(١) تفسير الرمحشري (٢/٣٣٩)

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤/٢٢٧)

(٣) تفسير السعدي (ص ٣٦١)

المبحث الثالث

نداءات خلقية

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: التفاضل بين الناس.

المطلب الثاني: التحدث بنعمة الله تعالى.

المطلب الثالث: التحذير من الغرور.

المطلب الرابع: الخشية من أهوال يوم القيامة.

المطلب الخامس: استشعار الفقر والحاجة أمام الله تعالى.

المطلب السادس: مسؤولية الفرد عن أفعاله.

المطلب الأول

التفاضل بين الناس

التقوى هي المعيار الحقيقي الذي يكون فيه التفاضل بين الناس عند الله سبحانه وتعالى .

قال الرافعي: وهذا الأصل - أصل المساواة - هو الذي كشفه القرآن بقوله عز وجل ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾^(١).

فانظر كيف أبان عن المساواة الطبيعية التي لا يملك بحال من الأحوال أن يفرق فيها الجنس الإنساني كله وهي الخلق من (الذكر والأنثى): وكيف وصف الغاية الاجتماعية للناس شعوباً وقبائل بأنها (التعارف)، لم يزد على هذه اللفظة التي لا تشذ عنها فضيلة من فضائل الاجتماع قاطبة ولا تجد رذيلة اجتماعية يمكن أن تدخل في مدلولها ولن تجدها إلا منصرفة عنها في الغاية. ثم تأمل كيف أقام هذا الأساس الأدبي العظيم، فجعل أكرم الناس المتساوين جميعاً في الحالتين الفردية والاجتماعية، هو أتقاهم، أي أعظمهم خلقاً، لا أوفرهم مالاً، ولا أحسنهم حالاً، ولا أكثرهم رجالاً، ولا أتقاهم فهماً، ولا أعلمهم علماً، ولا أقواهم قوة، ولا شيء من ذلك وأشبه ذلك مما لا يتفاضل به الناس على التحقيق إلا في إدار الدولة واضطراب الاجتماع وفساد العمران، ويكون مع ذلك كأنه دُرّة لهم أن يتباينوا بعد هذه الفضائل المشوبة

(١) سورة الحجرات، الآية (١٣).

بالرذائل صِرفة لا شوبَ فيها! (١). وقد عرفنا التقوى وذكرنا اطلاقاتها سابقا فلا حاجة للتكرار في هذا الموضوع. (٢) ولندلف إلى النداء في هذا المطلب مباشرة.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣).

أولاً: النداء في هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ قال ابن عثيمين: الخطاب هنا مصدر بنداء الناس عموماً والخطاب للمؤمن والكافر، والبر والفاجر. (٤).

قال الثعالبي: يا أيها الناس، أنتم سواء من حيث أنتم مخلوقون (٥).

فالنداء واضح في كونه للعموم.

ثانياً: الغرض من النداء:

التنبيه، والتذكير بالتسوية بين الناس (٦).

ثالثاً: موضوع النداء: المقياس الحقيقي للتفاضل بين الناس:

جعل الله سبحانه وتعالى مقياساً واحداً في التفاضل بين البشر يتساوى فيه الجميع فبقربك منه يكون قربك من الله، وقد أخبر سبحانه أنه يتقبل منهم فقال عز من قائل حكيماً: ﴿إِنَّمَا

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص ٧٢).

(٢) انظر: المطلب الأول من النداءات التشريعية.

(٣) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٤) تفسير العثيمين: سورة الحجرات (ص ٥٧).

(٥) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/٢٧٧).

(٦) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/١٥٢).

يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ فالمقياس الحقيقي هو التقوى فبقدرها يكون إكرام الله لك. وقد ورد في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: (أكرمهم عند الله أتقاهم) (٢).

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ (٣) تذكيرا بأن الإكرام الحقيقي والإهانة منه عز وجل، ثم بين الطريق للحصول على كرامته بهذا النداء الإلهي العظيم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ فيه وجهان أحدهما: من آدم وحواء ثانيهما: كل واحد منكم أيها الموجودون وقت النداء خلقناه من أب وأم، فإن قلنا إن المراد هو الأول، فذلك إشارة إلى أن لا يتفاخر البعض على البعض لكونهم أبناء رجل واحد، وامرأة واحدة، وإن قلنا إن المراد هو الثاني، فذلك إشارة إلى أن الجنس واحد، فإن كل واحد خلق كما خلق الآخر من أب وأم، والتفاوت في الجنس دون التفاوت في الجنسين، فإن من سنن التفاوت أن لا يكون تقدير التفاوت بين الذباب والذئب، لكن التفاوت الذي بين الناس بالكفر والإيمان كالتفاوت الذي بين الجنسين، لأن الكافر جماد إذ هو كالأنعام، بل أضل، والمؤمن إنسان في المعنى الذي ينبغي أن يكون فيه، والتفاوت في الإنسان تفاوت في الحس لا في الجنس إذ كلهم من ذكر وأنثى، فلا يبقى لذلك عند هذا اعتبار (٤).

ثم يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

(١) سورة المائدة، الآية (٢٧).

(٢) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب قوله (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) - حديث رقم (٤٦٨٩).

(٣) سورة الحج، الآية (١٨).

(٤) تفسير الرازي (١١٢/٢٨).

الحكمة التي من أجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض، فلا يُعْتزى إلى غير آباءه، لا أن تتفاخروا بالآباء والأجداد^(١).

قال السمين الحلبي^(٢): الشُّعوب: جمع شَعْب وهو أعلى طبقات الأنساب، وذلك أن طبقات النَّسَب التي عليها العرب ستُّ: الشَّعْبُ والقبيلة والعمارة والبَطْنُ والفَخْدُ والفَصِيلَةُ، وكلُّ واحدٍ يَدْخُلُ فيما قبله، فالفصيلة تَدْخُلُ في الفَخْدِ، والفَخْدُ في البطن. وزاد بعضُ الناس بعد الفَخْدِ العشيرة، فجعلها سبعاً وسمَّى الشَّعْبُ شعباً لتشعبِ القبائل منه، والقبائل سُمِّيَتْ بذلك لتقابلها، شُبَّهَتْ بقبائل الرأس وهي قطعٌ متقابلةٌ. وقيل: الشُّعوب في العجم، والقبائل في العرب، والأسباط في بني إسرائيل. وقيل: الشعب النسب الأبعد، والقبيلة الأقرب. وأنشد:

قبائل من شعوب ليس فيهم... كريم قد يعد ولا نجيب

والنسب إلى الشعب (شعوبية) بفتح الشين، وهم جيل يبغضون العرب^(٣).

قال القرطبي: واحداها "شعب" بفتح الشين، سموا به لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجرة^(٤).

ويورد الرازي سؤالاً مهماً في هذا الموضوع فيقول:

ما الحكمة في اختيار النسب من جملة أسباب التفاخر، ولم يذكر المال؟ نقول الأمور التي يفتخر بها في الدنيا وإن كانت كثيرة لكن النسب أعلاها، لأن المال قد يحصل للفقير فيبطل افتخار

(١) تفسير الزمخشري (٤/٣٧٥).

(٢) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي السمين صاحب الإعراب المشهور شهاب الدين نزيل القاهرة، كان ماهراً في النحو لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه وله تفسير القرآن الكريم وإعرابه وشرح التسهيل وشرح الشاطبية وكانت وت

٧٥٦هـ طبقات المفسرين للداودي (ص ٢٨٧) و شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨/٣٠٧).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (١٠/١١).

(٤) تفسير القرطبي (١٦/٣٤٣-٣٤٤).

المفتخر به، والحسن والسن، وغير ذلك غير ثابت دائم، والنسب ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له فاختاره الله للذكر وأبطل اعتباره بالنسبة إلى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بالطريق الأولى، وذكر الأعم لأنه أذهب للافتخار^(١). ثم يبين سبحانه بعدها الطريق للكرم فكأن قائل يقول وكيف الطريق إلى الكرم فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ تعليلٌ للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كأنه قيل إن الأكرم عنده تعالى هو الأتقى فإن فاحرتم ففاحروا بالتقوى وقرئ بأن المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل لم لا تتفاحروا بالأنساب فقيل لأن أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى لا أنسبكم فإن مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العُلا فعليه بالتقوى^(٢).

فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء، وإنما يتفاضلون بالأمر الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ^(٣).

قال الطبري: إن أكْرَمَكُمْ أيها الناس عند ربكم، أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة^(٤).

وقد أمر الله بالتقوى على ثلاثة أوجه، وخص بكل وجه عصابة من الناس وذلك بحسب اختلاف مراتبهم من العلم ومكانهم من الإيمان.

(١) تفسير الرازي (١١٣/٢٨).

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٢٣/٨).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣٦٠/٧).

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٣٨٦/٢١).

فالأول: حث الإنسان على اتقاء عقوبة الله برؤية ذنوبه، وذلك في قوله: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(١)، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾^(٢).

والثاني: حث على اتقائه بروية آلائه ونعمه لقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبُّكُمْ﴾^(٣) والثالث: حث على تقواه برؤية وحدانيته دون الوسائط وذلك في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آتِفًا إِلَى اللَّهِ﴾^(٤).

وجعلها على ثلاث مراتب حسب ما سنه تعالى في سياسة الأصناف الثلاثة من الناس الخاصة والعامه، وبهذا الاعتبار قسمهم تعالى ثلاثة أقسام في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ءَ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾^(٥) وأشرف هذه المنازل " تقوى الله " تعالى من غير رؤية الوسائط بلا مخالفة ولا رجاء، ولذلك عظم ثوابه بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَمِنْ رِزْقِهِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٦) وهم المتقون المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ والمعبر عنهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^{(٧)(٨)}.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٣١).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨١).

(٣) سورة النساء، الآية (١).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

(٥) سورة فاطر، الآية (٣٢).

(٦) سورة الطلاق، الآية (٢ - ٣).

(٧) سورة البينة، الآية (٧).

(٨) تفسير الراغب الأصفهاني (١ / ١١٩ - ١٢٠).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم^(١).

ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرا وباطنا، ممن يقوم بذلك، ظاهرا لا باطنا، فيجازي كلا بما يستحق^(٢).

وقد بين سبحانه في ختام هذا النداء أن التقوى ليست دعوى، بل مرد ذلك إليه بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ هو عليم بمن اتقى ﴿ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾^(٣) كما أنه تعالى خبير بمن هو الأتقى.

(١) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله - حديث رقم (٣٤).

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٠٢)

(٣) النجم: ٣٢

المطلب الثاني

التحدث بنعمة الله تعالى

أولاً: تعريف النعمة لغة:

قال الفيروز آبادي: (النعم والنعمى، بالضم: الحفض، والدعة، والمال، كالنعمة، بالكسر، وجمعها: نعم وأنعم. والتنعيم: الترفه، والاسم: النعمة، بالفتح، نعم، كسمع ونصر وضرب، ومنزل ينعمهم، مثلثة، وينعمهم: كيكرمهم، وتناعم وناعم تنعم، وناعمه ونعمه غيره تنعيما. والناعمة والمناعمة والمنعمة، كمعظمة: الحسنة العيش والغذاء، ونبت ناعم ومناعم ومتناعم سواء. والتنعيمة: شجرة ناعمة الورق. وثوب ناعم، وكلام منعم، كمعظم: لين. والنعمة، بالكسر: المسرة، واليد البيضاء الصالحة، كالنعمى، بالضم والنعماء، بالفتح ممدودة وجمعها: أنعم ونعم ونعمات، بكسرتين وتفتح العين... ونعم العود: أخضر ونضر.. والنعم - وقد تسكن عينه - الإبل والشاء أو خاص بالإبل^(١)).

فمدار هذه الكلمة تدل على الحالة التي يستلذها الإنسان، ويراد بها رفاهية وطيب العيش.

قال أبو السعود: (وهي في الأصل الحالة التي يستلذُّها الإنسان من النعمة وهي اللين ثم أطلقت على ما تستلذُّه النَّفسُ من طيبات الدنيا)^(٢).

ثانياً: تعريف النعمة اصطلاحاً.

(١) القاموس المحيط (ص ١١٦٢-١١٦٣).

(٢) تفسير أبي السعود (١/١٨).

قال الجرجاني: النعمة: هي ما يقصد به الإحسان والنفي لا لغرض ولا لعوض^(١).

وهي في الأصل الحالة المستلذة فإن بناء الفعل كالجلسة والركبة للهيئة ثم استعملت فيما يلائم من الأمور الموجبة لتلك الحالة إطلاقاً للمسبب على السبب، وفي معنى ذلك قولهم: هي ما ينتفع به ويستلذ ومنهم من زاد ويحمد عاقبته، وقال بعضهم: لا حاجة إلى هذه الزيادة لأن اللذة عند المحققين أمر تحمد عاقبته وعليه لا يكون لله عز وجلّ على كافر نعمة، ونقل الطيبي عن الإمام^(٢) أنه قال: النعمة عبارة عن المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير، ومنهم من يقول: المنفعة الحسنة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير قالوا: وإنما زدنا قيد الحسنة لأن النعمة يستحق بها الشكر وإذا كانت قبيحة لا يستحق بها الشكر، والحق أن هذا القيد غير معتبر لأنه يجوز أن يستحق الشكر بالإحسان وإن كان فعله محظوراً لأن جهة الشكر كونه إحساناً وجهة استحقاق الذم والعقاب الحظر فأى امتناع في اجتماعهما، ألا ترى أن الفاسق يستحق الشكر لإنعامه والذم لمعصية الله تعالى فلم لا يجوز أن يكون الأمر هاهنا كذلك، أما قولنا: المنفعة فلأن المضرة المحضة لا تكون نعمة، وقولنا: المفعولة على جهة الإحسان لأنه لو كان نفعاً وقصد الفاعل به نفع نفسه لا نفع المفعول به لا يكون نعمه وذلك كمن أحسن إلى جاريتة ليربح عليها^(٣).

فالتحدث بنعمت الله: ذكر النعمة والإخبار بها.

ثالثاً: الفرق بين التحدث بالنعمة والفخر بها:

قال ابن القيم رحمه الله:

(١) التعريفات (ص ٢٤٢).

(٢) قال الدكتور محمد الذهبي: وإذا نقل عن تفسير الفخر الرازي يقول - غالباً - : قال الإمام. التفسير والمفسرون

(١/٢٥٣)، فالإمام عند الألويسي: هو الرازي، والله أعلم.

(٣) تفسير الألويسي: روح المعاني (١١/٩١-٩٢).

" والفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها أن المتحدث بالنعمة مخبر عن صفات ولها ومحض جوده وإحسانه فهو مثن عليه بإظهارها والتحدث بها شاكرا له ناشرا لجميع ما أولاه مقصود بذلك إظهار صفات الله ومدحه والثناء وبعث النفس على الطلب منه دون غيره وعلى محبته ورجائه فيكون راغبا إلى الله بإظهار نعمه ونشرها والتحدث بها، وأما الفخر بالنعم فهو أن يستطيل بها على الناس ويريهم أنه أعز منهم وأكبر فيركب أعناقهم ويستعبد قلوبهم ويستميلها إليه بالتعظيم والخدمة.

قال النعمان بن بشير: إن للشيطان مصالي^(١) وفخوخا وإن من مصاليه وفخوخه البطش بنعم الله والكبر على عباد الله والفخر بعطية الله في غير ذات الله^(٢).

رابعا: نداءات الناس في التحدث بنعمت الله:

جاءت نداءات الناس بالتذكير بنعم الله والتحدث بها في موضعين من كتاب الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُوَفَّقُونَ﴾^(٣).

أولاً: النداء في الآية ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾:

قال ابن عطية: خطاب لقريش وهو متجه لكل كافر، ولا سيما لعباد غير الله^(٤).

قال مكي بن أبي طالب: هذا خطاب للمشركين^(٥).

(١) (المصالي): شبيهة بالشرك، وأحدتها مُصَلَاة، أراد ما يُسْتَفْرَضُ به الناس من زينة الدنيا وشهواتها. انظر: النهاية في غريب

الحديث والأثر (٥١/٣).

(٢) الروح (ص ٢٤٧-٢٤٨).

(٣) سورة فاطر، الآية (٣).

(٤) تفسير ابن عطية (٤٢٩/٤).

(٥) الهداية الى بلوغ النهاية (٥٩٥٠/٩).

وذكر ابن الجوزي: أن الخطاب لأهل مكة^(١).

قال الزمخشري: والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله^(٢).

قال القرطبي: هذا عام^(٣).

قال أبو حيان: خطاب لقريش، وهو متجه لكل مؤمن وكافر، ولا سيما من عبد غير الله^(٤). وهو الراجح كما مضى.

ثانياً: الغرض من الآية:

التنبيه والتذكير بنعمة الله لشكرها.

ثالثاً: موضوع النداء التحدث بنعمة الله:

قال تعالى: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾.

ثم ذكر النعمة فقال: هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض يعني: النبات والمطر^(٥). ومن المفسرين من يقول: ونعمة الله عليهم: إسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم^(٦). وقيل هي التي تقدمت من بسط الأرض كالمهاد ورفع السماء بلا عماد وإرسال الرسل لبيان السبيل دعوة إليه وزلفة لديه والزيادة في الخلق وفتح أبواب الرزق^(٧).

(١) زاد المسير في علم التفسير (٥٠٦/٣).

(٢) تفسير الزمخشري (٥٩٧/٣).

(٣) تفسير القرطبي (٣٢٠/٤).

(٤) البحر المحيط في التفسير (١٣/٩).

(٥) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٩٩/٣) وينظر: تفسير ابن عطية (٤٢٩/٤).

(٦) زاد المسير في علم التفسير (٥٠٦/٣).

(٧) تفسير النسفي (٧٦/٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم، وعنه أيضا نعمة الله تعالى العافية، والأولى عدم التخصيص^(١).

وما أجمل كلام الرازي عند هذه الآية فيقول: (اذكروا نعمت الله وهي مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الإيجاد، ونعمة الإبقاء فقال تعالى: هل من خالق غير الله إشارة إلى نعمة الإيجاد في الابتداء. وقال تعالى: يرزقكم من السماء والأرض إشارة إلى نعمة الإبقاء بالرزق إلى الانتهاء)^(٢).

ثم أمر الله سبحانه عباده أن يتذكروا نعمه الفائضة عليهم التي لا تعد ولا تحصى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ومعنى هذا الأمر لهم بالذكر هو إرشادهم إلى الشكر لاستدامتها وطلب المزيد منها^(٣).

ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء نفي سبحانه أن يكون في الوجود شيء غيره سبحانه يصدر عنه إحدى النعمتين بطريق الاستفهام الذي هو لإنكار التصديق وتكذيب الحكم^(٤). فقال عز وجل: ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في أفراد العبادة له كما أنه المستقل بالخلق والرزق، فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، ولهذا قال تعالى: لا إله إلا هو فأنى تؤفكون أي

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني (١١/٣٣٩).

(٢) تفسير الرازي (٢٦/٢٢٢-٢٢٣).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/٣٨٨).

(٤) تفسير الألوسي = روح المعاني (١١/٣٣٩).

فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان^(١).

والمقصود من تذكر النعمة شكرها وقدرها قدرها. ومن أكبر تلك النعم الرسالة المحمدية التي هي وسيلة فوز الناس الذين يتبعونها بالنعيم الأبدي. فالمراد بالذكر هنا التذكر بالقلب وباللسان فهو من عموم المشترك أو من إرادة القدر المشترك فإن الذكر باللسان والذكر بالقلب يستلزم أحدهما الآخر وإلا لكان الأول هديانا والثاني كتماناً.

ووصفت النعمة ب(عليكم) لأن المقصود من التذكر التذكر الذي يترتب عليه الشكر، وليس المراد مطلق التذكر بمعنى الاعتبار والنظر في بديع فضل الله، فذلك له مقام آخر، على أن قوله: هل من خالق غير الله يرزقكم قد تضمن الدعوة إلى النظر في دليل الوحدانية والقدرة والفضل. والاستفهام إنكاري في معنى النفي ولذلك اقتزن ما بعده ب (من) التي تزداد لتأكيد النفي، واختير الاستفهام ب(هل) دون الهمزة لما في أصل معنى هل من الدلالة على التحقيق والتصديق لأنها في الأصل بمعنى (قد) وتفيد تأكيد النفي^(٢).

وزيادة ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ تذكير بتعدد مصادر الأرزاق فإن منها سماوية كالمطر الذي منه شراب، ومنه ظهور، وسبب نبات أشجار وكلاً، وكالمن الذي ينزل على شجر خاص من أندية في الجو، وكالضياء من الشمس، والاهتداء بالنجوم في الليل، وكذلك أنواع الطير الذي يصاد، كل ذلك من السماء. ومن الأرض أرزاق كثيرة من حبوب وثمار وزيت وفواكه ومعادن وكلاً وكمأة وأسماك البحار والأنهار. وفي هذا القيد فائدة أخرى وهي دفع توهم الغفل أن أرزاقاً تأتيهم من غير الله من أنواع العطايا التي يعطيها بعضهم بعضاً، والمعروضات التي يعاوضها

(١) تفسير ابن كثير: ط العلمية (٦/٤٧٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢/٢٥٤).

بعضهم مع بعض فإنها لكثرة تداولها بينهم قد يلهمهم الشغل بها عن التدبر في أصول منابعتها فإن أصول موادها من صنع الله تعالى فال ما يعطاه الناس منها إلى أنه من الله على نحو ما عرض للذي حاج إبراهيم في ربه إذ قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(١) فهذا رجل محكوم بقتله ها أنا ذا أعفو عنه فقد أحييته، وهذا رجل حي ها أنا ذا أمر به فيقتل فأنا أميت. فانتقل إبراهيم إلى أن قال له: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾^(٢).^(٣)

ثم ختم الله سبحانه بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذَنُوا تُؤْفَكُونَ﴾.

فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره به^(٤). وهذه هي النتيجة المحصلة بعد ذكر انفراده بالخلق والرزق، انفراده بالألوهية وقد سبق أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية. و الإتيان ب(أنى) وهي اسم استفهام يجيء بمعنى استفهام عن الحالة أو عن المكان أو عن الزمان. والاستفهام عن حالة انصرافهم هو المتعين هنا وهو استفهام مستعمل في التعجب من انصرافهم عن الاعتراف بالوحدانية تبعا لمن يصرفهم وهم أولياؤهم، كبرائهم^(٥).

ثم النداء الثاني في نداءات الناس بالتحدث بنعمة الله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَائِبُهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥٨)

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥٨).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/٢٥٥).

(٤) تفسير البيضاوي (٤/٢٥٤).

(٥) التحرير والتنوير (٢٢/٢٥٦).

(٦) سورة النمل، الآية (١٦).

أولاً: النداء في الآية ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾:

قال ابن الجوزي: بني إسرائيل^(١).

قال ابن عاشور: قال سليمان هذه المقالة في مجمع عظيم لأن لهجة هذا الكلام لهجة خطبته في مجمع من الناس الحاضرين مجلسه من الخاصة والسامعين من العامة^(٢).

فالنداء عام.

ثانياً: الغرض من النداء:

تشهير لنعمة الله، وتنويه بها واعتراف بمكانها^(٣).

ثالثاً: موضوع النداء التحدث بنعمة الله:

خص الله سبحانه وتعالى سليمان عليه السلام بنعم كثيرة، فجمع له بين النبوة والملك وسخر له كثيراً من المخلوقات، فقد دعا ربه بهذه الدعوة فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٤) فاستجاب الله له وغفر له، ورد عليه ملكه، وزاده ملكاً لم يحصل لأحد من بعده^(٥). فأعطي نعماً كثيرة منها:

أولاً: الريح، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾^(٦).

قال الألوسي: حَيْثُ أَصَابَ أي قصد وأراد^(٧).

(١) زاد المسير في علم التفسير (٣/٣٥٥)، و انظر: تفسير القرطبي (١٦٥/١٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٩/٢٣٦).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٨/٢١٧).

(٤) سورة ص، الآية (٣٥).

(٥) تفسير السعدي (ص ٧١٣).

(٦) سورة ص، الآية (٣٦).

(٧) تفسير الألوسي: روح المعاني (١٢/١٩٤).

ثانيا: الشياطين، قال تعالى: ﴿وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿١﴾﴾،^(١) فقد أجملت الآية عمل الشياطين لسليمان عليه السلام وقد فصل في غير هذا الموضع. قال السعدي: تسخير الشياطين له، يبنون ما يريد، ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدر والحلي، ومن عصاه منهم قرنه في الأصفاد وأوثقه^(٢).

ثالثا: إسالة النحاس، قال تعالى: ﴿وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ ﴿٣﴾﴾.

قال الألوسي: أذبنا له النحاس على نحو ما كان الحديد يلين لداود عليه السلام فكانت الأعمال تتأتى منه وهو بارد دون نار ولم يلن ولا ذاب لأحد قبله والظاهر المؤيد بالآثار أنه تعالى جعله في معدنه عينا تسيل كعيون الماء^(٤).

قال السعدي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب، في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها^(٥).

رابعا: منطق الطير وهو ما ورد ذكره في نداء الناس في هذا المبحث.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴿٦﴾﴾ إخبار بنعمة الله عندهما في أن فهمهما من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها^(٦).

(١) سورة ص، الآية (٣٧ - ٣٨).

(٢) تفسير السعدي (ص ٧١٣).

(٣) سورة سبأ، الآية (١٢).

(٤) تفسير الألوسي (٢٩٢/١١).

(٥) تفسير السعدي (ص ٦٧٦).

(٦) تفسير ابن عطية (٢٥٣/٤)، و التسهيل لعلوم التنزيل (٩٩/٢).

قال الطبري: يا أيها الناس علمنا منطق الطير، يعني فهمنا كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها^(١).

ويقول الرمخشري: المنطق: كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف، المفيد وغير المفيد^(٢).

وقال ابن كثير: أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله، ومن زعم من الجهلة والرعا أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود، كما قد يتفوه به كثير من الناس، فهو قول بلا علم، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة، إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهايم، ويعرف ما تقول، وليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا، بل لم تنزل البهايم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والمنوال. ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء، وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها^(٣).

وإنما نص على الطير، لأنه كان جندا من جنوده، يحتاج إليه في التظليل من الشمس، وفي البعث في الأمور^(٤).

ويستمر سليمان عليه السلام بالتحدث بنعمة الله عليه فيقول: ﴿ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾.

(١) تفسير الطبري (٢٥/١٨).

(٢) تفسير الرمخشري (٣٥٣/٣).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (١٦٥/٦).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٢١٧/٨).

﴿ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعني: أعطينا علم كل شيء. ويقال: النبوة والملك وتسخير الجن والشياطين والرياح^(١).

قال ابن جرير: وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات^(٢).

وقال ابن عطية: معناه يصلح لنا ونتمناه وليست على العموم^(٣).

قال الرازي: وأوتينا من كل شيء فالمراد كثرة ما أوتي وذلك لأن الكل والبعض الكثير يشتركان في صفة الكثرة، والمشاركة سبب لجواز الاستعارة^(٤) فلا جرم يطلق لفظ الكل على الكثير ومثله قوله: ﴿ وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٥).

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ إقرار بالنعمة وشكر لها ومحمدة^(٦).

إن هذا الذي أعطينا هو الفضل المبين يعني: البين ويقال: المبين، يبين للناس فضلهم^(٧). أما قوله: إن هذا هو الفضل المبين فهو تقرير لقوله: الحمد لله الذي فضلنا والمقصود منه الشكر والمحمدة^(٨).

ونذكر هنا بمسألة مهمة وهو عن حكم ثناء الإنسان على نفسه؟

(١) تفسير السمرقندي (٥٧٦/٢).

(٢) تفسير الطبري (٢٥/١٨).

(٣) تفسير ابن عطية (٢٥٣/٤).

(٤) الاستعارة: ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه، مع طرح ذكر المشبه من البين انظر: التعريفات (ص ٢٠).

(٥) سورة النمل، الآية (٢٣).

(٦) تفسير الرازي (٥٤٨/٢٤).

(٧) البحر المحيط في التفسير (٢١٨/٨).

(٨) تفسير السمرقندي (٥٧٦/٢).

(٩) تفسير الرازي (٥٤٨/٢٤).

الثناء على النفس إن أراد به الإنسان التحدث بنعمة الله - عز وجل - أو أن يتأسى به غيره من أقرانه ونظائره فهذا لا بأس به، وإن أراد الإنسان تزكية نفسه وإدلاله بعمله على ربه - عز وجل - فإن هذا فيه شيء من المنة ولا يجوز وقد قال الله - تعالى ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١). وإن من أراد به مجرد مجرد الخبر فلا بأس به لكن الأولى تركه.

فالأحوال إذن في مثل هذا الكلام الذي فيه ثناء المرء على نفسه أربع:

الحالة الأولى أن يريد بذلك التحدث بنعمة الله عليه فيما حباه به من الإيمان والثبات.

الحالة الثانية: أن يريد بذلك تنشيط أمثاله ونظائره على مثل ما كان عليه.

فهاتان الحالتان محمودتان لما تشتملان عليه من هذه النية الطيبة.

الحالة الثالثة: أن يريد بذلك الفخر والتباهي والإدلال على الله - عز وجل - بما هو عليه من الإيمان والثبات وهذا غير جائز لما ذكرنا من الآية.

فالتحدث بنعمة الله شكر لهذه النعمة وشكر لمسديها جعلنا الله من الشاكرين.

الحالة الرابعة: أن يريد بذلك مجرد الخبر عن نفسه بما هو عليه من الإيمان والثبات فهذا جائز، ولكن الأولى تركه^(٢).

(١) سورة الحجرات، الآية (١٧).

(٢) المناهي اللفظية لابن عثيمين (ص ٤٩-٥٠).

المطلب الثالث

التحذير من الغرور

قال الجرجاني: الغرور: هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع^(١).
وقال الكفوي: الغرور: هُوَ تَزْيِينُ الخُطَا بِمَا يُوهَمُ أَنَّهُ صَوَابٌ والغرور ويقال له الغرر أيضا: هو ما يكون مجهول العاقبة لا يدري أيكون أم لا^(٢).

قال الألوسي: وأصل الغرور من غر فلانا إذا أصاب غرته أي غفلته ونال منه ما يريد^(٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمْ الحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الغُرُورُ ﴾^(٤)

مر الحديث عن النداء في الآية و عن الغرض منها وموضوعها في مبحث النهي عن اتباع خطوات الشيطان، وفي الآية موضوع آخر وهو التحذير من الغرور وهو ما سنتناوله في هذا المطلب.

أخبر سبحانه في هذه الآية بأن البعث والجزاء على الأعمال حق لا شك ولا مرية فيه، وأنه حاصل لا محالة قد دلت على ذلك الأدلة السمعية والبراهين العقلية، فإذا كان وعده حقا، فتهيئوا له، وبادروا أوقاتكم الشريفة بالأعمال الصالحة، ولا يقطعكم عن ذلك قاطع، ثم حذر

(١) التعريفات (ص ١٦١).

(٢) الكليات (ص ٦٧٢).

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (١٠٦/١١).

(٤) سورة فاطر، الآية (٥).

من الاغترار بالدنيا فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بلذاتها وشهواتها ومطالبها النفسية، فتلهيكم عما خلقتكم له، ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الذي هو (الشیطان) الذي هو عدوكم في الحقيقة^(١).

قال الراغب: فالغرور: كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشیطان، وقد فسر بالشیطان إذ هو أحبب الغارين، وبالذنيا لما قيل: الذنيا تغر وتضر وتمر.^(٢)

قوله: ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي: لا يخدعنكم بالله الشيطان فيعينكم بأن لا حساب ولا عقاب ولا بعث، فيحملكم ذلك على الإصرار على الكفرة.

وقال سعيد ابن جبیر^(٣): الغرور الحياة الدنيا ونعيمها، يشتغل الإنسان بها عن عمل الآخرة حتى يقول: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(٤). وقرئ "الغرور" بالضم على أنه جمع غار، كما يقال جالس وجلوس فيكون معناه كمعنى الأول^(٥).

وذكر ابن كثير عند قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي المعاد كائن لا محالة ﴿فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم، فلا تتلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ وهو الشيطان قاله ابن عباس رضي الله عنهما، أي لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل

(١) تفسير السعدي (ص ٦٨٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص ٦٠٤).

(٣) أبو محمد - ويقال: أبو عبد الله سعيد بن جبیر بن هشام الوالي مولاهم، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الكوفي، أحد الأعلام. ت ٩٥ هـ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/٣٢١).

(٤) سورة الفجر، الآية (٢٤)

(٥) الهداية الى بلوغ النهاية (٩/٥٩٥٢)، و ينظر: تفسير القرطبي (٤/٣٢٢).

الله وتصديق كلماته، فإنه غرار كذاب أفاك. وهذه الآية كالأية التي في آخر لقمان فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور^(١).

فلا تغرنكم الحياة الدنيا أي بأن يذهلكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها، عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله^(٢).

قال ابن عاشور: والنهي في الظاهر موجه إلى الناس والمنهي عنه من أحوال الحياة الدنيا، وليست الحياة الدنيا من فعل الناس، فتعين أن المقصود النهي عن لازم ذلك الإسناد وهو الاغترار لمظاهر الحياة. ونظيره كثير في كلام العرب كقولهم: لا أعرفك تفعل كذا، ولا أرينك هاهنا، ولا ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾^(٣)، وتقدم نظيره في قوله تعالى: ﴿لَا يَغْرَنَّكَ تَغْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي أَلْبَدِ﴾^(٤)،^(٥)

والآيات التي حذرت من فتنة الحياة الدنيا وكيف أنها تغر أهلها كثيرة.

ثم فرق بين الدنيا والحياة الدنيا، فالدنيا محمودة لدنوها من الآخرة وبها تستدرك، والسعادة في الآخرة متوقفة على النجاح في الدنيا، والحياة الدنيا مذمومة لأنها حياة دنيئة وضيعة. والذي يؤكد ذلك أن القرآن غالبًا ما يذكر عن الدنيا بأنها محمودة، وعن الحياة الدنيا أنها مذمومة، ومن ذلك قوله ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٦) وقوله ﴿فَاعْتَنَّهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٧).

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤٧٣/٦).

(٢) محاسن التأويل (١٦٠/٨).

(٣) سورة المائدة، الآية (٢).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٩٦).

(٥) التحرير والتنوير (٢٥٩/٢٢).

(٦) سورة البقرة، الآية (٢٠١).

﴿^(١) وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ^(١) وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَبْتَعِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ^(٢) وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ.

وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى ذَمِّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ ^(٣)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ ^(٤) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا نَذْرُهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا﴾ ^(٥) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٦) وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ. ^(٧)

(١) سورة آل عمران، الآية (١٤٨).

(٢) سورة النساء، الآية (١٣٤).

(٣) سورة القصص، الآية (٧٧).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١١٧).

(٥) سورة النساء، الآية (٩٤).

(٦) سورة الكهف، الآية (٤٥).

(٧) سورة العنكبوت، الآية (٦٤).

(٨) انظر: الصور البلاغية في سورة النساء للدكتور زكي صبري (ص ٥١).

المطلب الرابع

الخشية من أهوال يوم القيامة

سبق الحديث عن البعث والنشور، وحكم الإيمان به وأنه لا يصح إسلام المرء إلا به. والإيمان بالبعث له أثر في حياة المسلمين وسعادتهم في دنياهم وأخراهم، ولما في نسيان ذلك اليوم العظيم من خطر على حياة الناس ومصيرهم، فقد جاء ذكر هذا اليوم كثيراً في القرآن الكريم، ولما يترتب على تذكره من عمل صالح، ومبادرة لفعل الخيرات والمنافسة فيها، وترك السيئات والابتعاد عنها، وعدم الخشية من ذلك اليوم يجعل الإنسان يتقاعس عن فعل الطاعات فيصاب بالغفلة، يقول تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾^(١)، وقد جاء النداء من الله بالتذكير بذلك اليوم للناس جميعاً فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾^(٢).

والحديث في هذا النداء من جوانب:

أولاً: تعريف الخشية في اللغة:

(١) سورة الأنبياء، الآية (١).

(٢) سورة لقمان، الآية (٣٣).

قال ابن منظور: الخشية: الخوف. خشي الرجل يخشى خشية أي خاف.^(١)

قال الراغب: الخَشْيَةُ: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى﴾^(٣).^(٤)

ثانياً: تعريف الخشية اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الخشية: تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، يكون تارة بكثرة الجنابة من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته. وخشية الأنبياء من هذا القبيل^(٥).

ثالثاً: الفرق بين الخشية والخوف:

قال الفيروزآبادي: الخشية أخصّ من الخوف؛ فإنّ الخشية للعلماء بالله تعالى، فهي خوف مقرون بمعرفة. قال النبي ﷺ: ﴿إِنِّي أَتَقَاكُمُ اللَّهُ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَةً﴾^(٦) فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون، فإنّ الذي يرى العدوّ والسَّيْلَ ونحو ذلك له حالتان: إحداها حركة الهرب منه، وهي حالة الخوف. والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه وهي الخشية. فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبَةُ للمحبِّين، والوَجَلُ للمقرِّبين. وعلى

(١) لسان العرب (٢٢٨/١٤).

(٢) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(٣) سورة عبس، الآية (٨ - ٩).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص ٢٨٣).

(٥) التعريفات (ص ٩٨).

(٦) حديث أبي الفوارس الصابوني - حديث رقم ١٦٥ - (ص ٤٠) مخطوط (ولم أحده بهذا اللفظ إلا في هذا الكتاب وإسناده صحيح) وله شواهد في الصحيحين كما سيأتي.

قدر العلم والمعرفة يكون الخشية، كما قال النبي ﷺ (إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية)^(١) فصاحب الخوف يلتجئ إلى الهرب والإمساك، وصاحب الخشية إلى الاعتصام بالعلم، ومثلهما كمثل من لا علم له بالطب ومثل الطبيب الحاذق. فالأول يلتجئ إلى الحمية والهرب، والطبيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء. وكل واحد إذا خفته هربت منه، إلا الله، فإنك إذا خفته هربت إليه. فالخائف هارب من ربه إلى ربه^(٢).

قال الكفوي: الخشية: أشد من الخوف، لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خاشية: أي يابسة، وهو فوات بالكلية.

والخوف: النقص من ناقة خوفاء: أي بها داء وليس بفوات، ولذلك خصت الخشية بالله في قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾^(٣) والخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويا والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرا يسيرا.

وأصل الخشية خوف من تعظيم، ولذلك خص بها العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤) على قراءة نصب الجلالة^(٥).^(٦)

(١) الحديث في صحيح البخاري بلفظ (فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع) حديث رقم (٧٣٠١) وكذا في مسلم في كتاب الفضائل - باب - علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته - حديث رقم (١٢٧) بلفظ فوالله لأننا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/٥٤٥ - ٥٤٦).

(٣) سورة الرعد، الآية (٢١).

(٤) سورة فاطر، الآية (٢٨).

(٥) قلت: القراءة بالفتح قراءة سبعية والقراءة بغيرها قراءة شاذة، فيتعين القول بما ذكر، انظر: النشر في القراءات العشر (١٦/١).

(٦) الكليات (ص ٤٢٨).

رابعاً: نداء التذكير بالخشية من هول يوم القيامة:

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبَنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُودُ ﴾.

سبق الحديث عن النداء وعن غرضه وموضوعه في النداءات التشريعية في نداءات الأمر بالتقوى. وهنا موضوع آخر، موضوع الخشية وبينهما ترابط قوي وذلك لأن من معاني التقوى في القرآن الخشية وقد سبق ذكره.

وموقع هذه الآية بعد ما تقدمها من الآيات موقع مقصد الخطبة بعد مقدماتها إذ كانت المقدمات الماضية قد هيأت النفوس إلى قبول الهداية والتأثر بالموعظة الحسنة^(١)

يقول تعالى منذراً للناس يوم المعاد، وأمرهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث لا يجزي والد عن ولده أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه. وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه. لم يقبل منه^(٢).

ويستلقتهم لخشية يوم القيامة، اليوم الشديد، الذي فيه كل أحد لا يهمه إلا نفسه ف ﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ لا يزيد في حسناته ولا ينقص من سيئاته، قد تم على كل عبد عمله، وتحقق عليه جزاؤه. فلفت النظر في هذا لهذا اليوم المهيل، مما يقوي العبد ويسهل عليه تقوى الله، وهذا من رحمة الله بالعباد، يأمرهم بتقواه التي فيها سعادتهم، ويعدهم عليها الثواب، ويحذرهم من العقاب، ويزعجهم إليه بالمواعظ والمخوفات، فلك الحمد يا رب العالمين^(٣).

(١) التحرير والتنوير (١٩٢/٢١).

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣١٤/٦).

(٣) تفسير السعدي (ص ٦٥٢).

يقول القرطبي: أي أنه لا يحمل والد ذنب ولده، ولا مولود ذنب والده، ولا يؤاخذ أحدهما عن الآخر^(١).

ولما كان الوالد أكثر شفقة على الولد من الولد على أبيه، بدأ به أولاً، وأتى في الإسناد إلى الوالد بالفعل المقتضي للتجدد، لأن شفقته متجددة على الولد في كل حال، وأتى في الإسناد إلى الولد باسم الفاعل، لأنه يدل على الثبوت، والثبوت يصدق بالمرة الواحدة.^(٢)

وعند هذه الآية يذكر الرازي كلاماً جميلاً يحسن ذكره في هذا الموضع فيقول: لما ذكر الدلائل من أول السورة إلى آخرها وعظ بالتقوى لأنه تعالى لما كان واحداً أوجب التقوى البالغة فإن من يعلم أن الأمر بيد اثنين لا يخاف أحدهما مثل ما يخاف لو كان الأمر بيد أحدهما لا غير، ثم أكد الخوف بذكر اليوم الذي يحكم الله فيه بين العباد، وذلك لأن الملك إذا كان واحداً ويعهد منه أنه لا يعلم شيئاً ولا يستعرض عباده، لا يخاف منه مثل ما يخاف إذا علم أن له يوم استعراض واستكشاف، ثم أكد بقوله: لا يجزي والد عن ولده وذلك لأن المجرم إذا علم أن له عند الملك من يتكلم في حقه ويقضي ما يخرج عليه برفد من كسبه لا يخاف مثل ما يخاف إذا علم أنه ليس له من يقضي عنه ما يخرج عليه، ثم ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد ليستدل بالأدنى على الأعلى، وذكر الولد والوالد جميعاً فيه لطيفة، وهي أن من الأمور ما يبادر الأب إلى التحمل عن الولد كدفع المال وتحمل الآلام والولد لا يبادر إلى تحمله عن الوالد مثل ما يبادر الوالد إلى تحمله عن الولد، ومنها ما يبادر الولد إلى تحمله عن الوالد ولا يبادر الوالد إلى تحمله عن الولد كالإهانة، فإن من يريد إحضار والد أحد عند وال أو قاض يهون على الابن أن يدفع الإهانة عن والده ويحضر هو بدله، فإذا انتهى الأمر إلى

(١) تفسير القرطبي (١٤/٨١).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/٤٢٤).

الإيلام يهون على الأب أن يدفع الإيلام عن ابنه ويتحمّله هو بنفسه فقوله: لا يجزي والد عن ولده في دفع الآلام ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً في دفع الإهانة^(١).

ويقول ابن عاشور: ثم أوثرت جملة ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ بطرق من التوكيد لم تشتمل على مثلها جملة ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ﴾ فإنها نظمت جملة اسمية، ووسط فيها ضمير الفصل، وجعل النفي فيها منصبا إلى الجنس. ونكتة هذا الإيثار مبالغة تحقيق عدم جزء هذا الفريق عن الآخر إذ كان معظم المؤمنين من الأبناء والشباب، وكان آباؤهم وأمهاهم في الغالب على الشرك مثل أبي قحافة والد أبي بكر، وأبي طالب والد علي، وأم سعد بن أبي وقاص، وأم أسماء بنت أبي بكر، فأريد حسم أطماع آباءهم وما عسى أن يكون من أطماعهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة بشيء. وعبر فيها ب مولود دون (ولد) لإشعار مولود بالمعنى الاشتقاقي دون (ولد) الذي هو اسم بمنزلة الجوامد لقصد التنبيه على أن تلك الصلة الرقيقة لا تخول صاحبها التعرض لنفع أبيه المشرك في الآخرة وفاء له بما تومىء إليه المولودية من تجشم المشقة من تربيته، فلعله يتجشم الإلحاح في الجزاء عنه في الآخرة حسما لطمعه في الجزاء عنه، فهذا تعكيس للترقيق الدنيوي في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢) وقوله: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٣) وجملة إن وعد الله حق علة لجملي اتقوا ربكم واخشوا يوما. ووعد الله: هو البعث، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

(١) تفسير الرازي (١٣٢/٢٥-١٣٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٢٤).

(٣) سورة لقمان، الآية (١٥).

﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿١﴾. وأكد الخبر ب(إن) مراعاة لمنكري البعث (٢).

والتذكير بيوم القيامة وهوله مما يعين العبد على تقوى الله وعلى محاسبة النفس التي بين الجنين، ففي يوم القيامة لا ينفعك الأقارب فكيف بالأجانب لانشغال كل واحد بنفسه.

ذكر ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٣) وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (٤) وكقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مَثْقَلَةً إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (٥) وكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٦) وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٢٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٢٥) وَصَاحِبِيهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٧) وقوله تعالى: ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ (١١) وَصَاحِبِيهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّ بِهَا (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا (١٥) أَي لَا يَقْبَلُ مِنْهُ فِدَاءٌ وَلَوْ جَاءَ بِأَهْلِ الْأَرْضِ وَبَاعَزَ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْمَالِ وَلَوْ بَمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَوْ مِنْ وَلَدِهِ

(١) سورة سبأ، الآية (٢٩ - ٣٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٩٤/٢١).

(٣) سورة عبس، الآية (٣٧).

(٤) سورة لقمان، الآية (٣٣).

(٥) سورة فاطر، الآية (١٨).

(٦) سورة المؤمنون، الآية (١٠١).

(٧) سورة عبس، الآية (٣٤ - ٣٧).

(٨) سورة المعارج، الآية (١١ - ١٥).

الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدي من عذاب الله به ولا يقبل منه^(١).

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ وهو يحتمل وجهين أحدهما:

أن يكون تحقيقاً لليوم يعني: اخشوا يوماً هذا شأنه وهو كائن لوعده الله به ووعدته حق.

والثاني: أن يكون تحقيقاً لعدم الجزاء يعني: لا يجزي والد عن ولده لأن الله وعد بألا تزر وازرة وزر أخرى ووعد الله حق، فلا يجزي والأول أحسن وأظهر^(٢). اللهم اجعلنا ممن لا يرجو سواك، ولا يعول على غيرك يا رب العالمين.

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٢٣٩/٨).

(٢) تفسير الرازي (١٣٣/٢٥).

المطلب الخامس

استشعار الفقر والحاجة أمام الله تعالى

الافتقار إلى الله عز وجل والحاجة إليه: هو حقيقة العبودية ولبها^(١). و حقيقة الفقر توجه العبد بجميع أحواله إلى الله^(٢).

قال ابن القيم: الفقر الحقيقي: دوام الافتقار إلى الله في كل حال، وأن يشهد العبد - في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة - فاقة تامة إلى الله تعالى من كل وجه^(٣).

فلا بد للمسلم أن يشهد لله بهذا الأمر ويستشعره دائما وأبدا حتى يحقق معنى العبودية الحققة، وهذا الأمر يحقق للعبد خلقا عظيما في هذه الحياة الدنيا، فتقوى روابط الأخوة الإيمانية بينهم، فتأمل هذه الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: " إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك، فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب

(١) مدارج السالكين (٢/٤١٠).

(٢) طريق المجرتين وباب السعادتين (ص ١٨).

(٣) مدارج السالكين (٢/٤١١).

العالمين، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي" (١)
أرأيت أن الغني سبحانه جعل عيادته في عيادة أخيك المسلم، وهو الغني أيضا عن الطعام
والشراب والولد وعن كل شيء.

يقول تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِن
الذَّلِّ وَكِبْرَةٍ تَكْبِيرًا ﴾ (٢).

قال الحافظ الحكمي في نظمه:

وهو الغني بذاته سبحانه جل ثناؤه تعالى شأنه
وكل شيء رزقه عليه وكلنا مفتقر إليه

وشرح ذلك فقال: "وهو الغني بذاته" فله الغنى المطلق فلا يحتاج إلى شيء "سبحانه" وبحمده
تنزيها له وتحميدا "جل ثناؤه تعالى شأنه" تعظيما له وتمجيذا "وكل شيء رزقه عليه" لا رازق له
سواه ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله "وكلنا" معشر المخلوقات "مفتقر إليه" لا
غنى لنا عنه طرفة عين، فكما أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه تعالى في وجودها فلا وجود لها إلا
به فهي مفتقرة إليه في قيامها فلا قوام لها إلا به فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه فهو الحي القيوم
القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيم لغيره فلا قوام لشيء إلا به، فللخالق مطلق الغنى
وكماله، وللمخلوق مطلق الفقر إلى الله وكماله، قال الله عز وجل: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
بِعَزِيزٍ ﴿٣﴾ إلى أن قال (يخبر تعالى بكمال غناه عن خلقه وأنه لا يزيد في غناه طاعة من أطاع
ولا ينقصه معصية من عصى، وأنه لم يخلق الخلق لحاجة إليهم وأنه لو شاء لم يخلقهم ولو شاء

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل عيادة المريض - حديث رقم (٤٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (١١١).

(٣) سورة فاطر، الآية (١٥ - ١٧).

لذهب بهم وجاء بغيرهم ويخبر أنهم كلهم فقراء إليه لا غنى لهم عنه في نفس من الأنفاس، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم، ولا قدرة لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغني الحميد الفعال لما يريد^(١).

ولنقف مع نداء الناس بالتذكير بهذا الأمر العظيم، وحاجة الخلق أجمعين إلى الغني سبحانه وتعالى فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢)
أولاً: النداء في الآية:

قال السعدي: يخاطب تعالى جميع الناس أي أنه عام^(٣).

قال ابن عاشور: المراد ب (يا أيها الناس) هم المشركون كما هو غالب اصطلاح القرآن^(٤).
والراجع الأول كما مر معنا آنفاً^(٥)، وهو ظاهر كلام أكثر المفسرين.
وذكر الزحيلي: (يا أيها الناس) أي: يا أيها البشر جميعاً، أنتم المحتاجون إلى الله تعالى على الإطلاق^(٥).

ثانياً: الغرض من الآية:

الموعظة والتذكير، والإنسان فقير إلى الله تعالى في دقائق الأمور وجلائلها لا يستغني عنه طرفة عين^(٦).

ثالثاً: موضوع النداء:

(١) معارج القبول (١ / ٢٤٤ - ٢٤٥).

(٢) تفسير السعدي (ص ٦٨٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢ / ٢٨٥).

(٤) انظر: المخاطبون بندااء الناس.

(٥) التفسير المنير للزحيلي (٢٢ / ٢٤٩).

(٦) تفسير ابن عطية (٤ / ٤٣٤).

استشعار الفقر والحاجة أمام الله تعالى.

يقول المولى سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ هذه آية موعظة وتذكير، والإنسان فقير إلى الله تعالى في دقائق الأمور وجلائلها لا يستغني عنه طرفة عين، وهو به مستغن عن كل واحد، والله تعالى غني عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته غني على الإطلاق^(١).

بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم، لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنيا حميدا ذاتي فغناه وحمده ثابت له لذاته: لا لأمر أوجبه. وفقر من سواه إليه ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان بل هو ذاتي للفقير. فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة. كما أن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه.

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما أن الغنى أبدا وصف له ذاتي^(٢)
فالخلق فقير محتاج إلى ربه بالذات لا بعلة. وكل ما يذكر ويقرر من أسباب الفقر والحاجة فهي أدلة على الفقر والحاجة، لا علل لذلك. إذ ما بالذات لا يعلل لفقير بذاته محتاج إلى الغنى بذاته. فما يذكر من إمكان وحدوث واحتياج فهي أدلة على الفقر لا أسباب له^(٣).

يقول ابن كثير: يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله أي هم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني عنهم بالذات، ولهذا قال عز وجل: واللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ أي هو المنفرد بالغي وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ويقدره ويشعره. وقوله

(١) تفسير ابن عطية (٤/٤٣٤).

(٢) انظر: المستدرک علی مجموع الفتاوی (١/١٤٤) ومطلعها أنا الفقير إلى رب البريات... أنا المسكين في مجموع حالاتي.

(٣) التفسير القيم (ص ٤٣٧).

تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم، وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِزًّا﴾^(١).
والمقصود: أنه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه سبحانه كما أخبر عن ذاته المقدسة، وحقيقته أنه غني حميد.

فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي.

والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرا. ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيا^(٢).

فإن قلت: لم عرف الفقراء؟ قلت: قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم، لأن الفقر مما يتبع الضعف، وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٣) وقال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾^(٤) ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء. فإن قلت: قد قوبل الفقراء بالغني، فما فائدة الحميد؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم - وليس كل غني نافعا بغناه إلا إذا كان الغني جوادا منعمًا، فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد - ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمده^(٥).

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٤٧٩/٦).

(٢) التفسير القيم (ص ٤٣٨).

(٣) سورة النساء، الآية (٢٨).

(٤) سورة الروم، الآية (٥٤).

(٥) تفسير الزمخشري (٦٠٦/٣).

ولم يسمهم بالفقراء للتحقير بل للتعريض على الاستغناء ولهذا وصف نفسه بالغني الذي هو مطعم الأغنياء^(١).

وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء، وأن افتقار سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به^(٢).

فالناس كلهم فقراء إلى الله محتاجون إليه في وجودهم وحياتهم وفي جميع حركاتهم وسكناتهم، وهو الغني عنهم أجمعين، فلا تنفعه عبادة العابدين، ولا تضره معصية العاصين، ولا كفر الكافرين، والله تعالى هو الحميد في أفعاله وشرائعه وأقداره.

ثبت في صحيح مسلم بسنده: عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا

(١) تفسير النسفي (٣/٨٢).

(٢) تفسير البيضاوي (٤/٢٥٦).

أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه^(١).

وإذا كان كليم الله موسى عليه السلام يقول ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٢).
فنسأل الله أن يجعلنا أفقر خلق الله إليه، وأغنى الخلق عن سواه.

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم - حديث رقم (٥٥)

(٢) القصص ٢٤

المطلب السادس

مسؤولية الفرد عن أفعاله

سبق الحديث عن النداء في هذا المطلب وموضوعه وغرضه في مبحث الأمر باتباع الرسل عليهم السلام فلا حاجة للتكرار في هذا الموضوع.

ولكن ثمة موضوعا في نداء هذه الآية: **قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾**^(١) وهو مسؤولية الفرد عن أفعاله.

يقول تعالى: **﴿ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾**.

وهي كقوله عز وجل: **﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾**^(٢).^(٣)

قال القرطبي: **﴿ فَمَنْ اهْتَدَى ﴾** أي صدق محمدا وآمن بما جاء به. **﴿ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾** أي لخلاص نفسه. **﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾** أي ترك الرسول والقرآن واتبع الأصنام والأوثان. **﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾** أي وبال ذلك على نفسه. **﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾** أي بحفيظ أحفظ أعمالكم إنما أنا رسول^(٤).

(١) سورة يونس، الآية (١٠٨).

(٢) سورة فصلت، الآية (٤٦).

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٢٧٥).

(٤) تفسير القرطبي (٨/٣٨٨ - ٣٨٩).

فمن استبصر ربح رشد نفسه، ومن ضلّ فقد زاغ عن قصده فهذا بلاء اكتسب، وذلك ضياء وشفاء اجتلب^(١).

يقول السعدي عند هذه الآية: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ بهدى الله بأن علم الحق وتفهمه، وآثره على غيره فلنفسه والله تعالى غني عن عباده، وإنما ثمرة أعمالهم راجعة إليهم.

﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عن الهدى بأن أعرض عن العلم بالحق، أو عن العمل به، ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ ولا يضر الله شيئاً، فلا يضر إلا نفسه.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ فأحفظ أعمالكم وأحاسبكم عليها، وإنما أنا لكم نذير مبين، والله عليكم وكيل. فانظروا لأنفسكم، ما دمتم في مدة الإمهال^(٢).

بل ما أجمل ما ذكره الشنقيطي: نظير هذه الآية في سورة الإسراء:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن من اهتدى فعمل بما يرضي الله جل وعلا، أن اهتداه ذلك إنما هو لنفسه، لأنه هو الذي ترجع إليه فائدة ذلك الاهتداء، وثمرته في الدنيا والآخرة، وأن من ضل عن طريق الصواب فعمل بما يسخط ربه جل وعلا، أن ضلاله ذلك إنما هو على نفسه، لأنه هو الذي يجني ثمرة عواقبه السيئة الوخيمة، فيخلد به في النار.

وبين هذا المعنى في مواضع كثيرة، كقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾^(٣)، وقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ

(١) لطائف الإشارات (٢/١١٩).

(٢) تفسير السعدي (ص ٣٧٦).

(٣) سورة فصلت، الآية (٤٦).

(٤) سورة الروم، الآية (٤٤).

بصائرٍ من ربِّكم^ط فمن أبصر^ط فلنفسه^ط ومن عمى^ط فعليها^ط وما أنا عليكم بحفيظ^ط ﴿^(١)﴾، وقوله: ﴿فمن اهتدى^ط فإنما يهتدى^ط لنفسه^ط ومن ضل^ط فإنما يضل^ط عليها^ط وما أنا عليكم بوكيل^ط﴾^(٢).^(٣)

وقد قرر سبحانه وتعالى مسؤولية الفرد عن أفعاله في كتابه الكريم في كثير من المواضع، منها على سبيل التمثيل، قوله تعالى: ﴿كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة^ط﴾^(٤) ﴿كلُّ أمرئٍ بما كسب رهين^ط﴾^(٥)

وهذا الأمر يؤثر على الفرد والمجتمع، فيراقب الفرد منا ربه، فبصلاحه يصلح المجتمع، فيستحي من الناس وقبلة من الله فلا يظلم ولا يحقر ولا يغترب ولا ينم ولا يسخر ولا يبخس الناس أشياءهم وغيرها كثير. اللهم إننا نسألك مراقبتك في السر والعلن يارب العالمين.

(١) سورة الأنعام، الآية (١٠٤).

(٢) سورة يونس، الآية (١٠٨).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦٣/٣).

(٤) سورة المدثر، الآية (٣٨).

(٥) سورة الطور، الآية (٢١).

الفصل الثالث

المناسبات في نداءات الناس في القرآن الكريم

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المناسبة وموقف العلماء منها.

المبحث الثاني: المناسبة بين أول السورة المفتحة بندااء الناس وآخر

السورة السابقة عليها.

المبحث الثالث: المناسبة بين السور المفتحة بندااء الناس.

المبحث الرابع: المناسبة بين أول السورة المفتحة بندااء الناس وآخرها.

المبحث الخامس: المناسبة بين الآية والتي تليها.

المبحث السادس: المناسبة بين الآية والآية السابقة لها.

المبحث الأول

تعريف المناسبة وموقف العلماء منها

أولاً: المناسبة في اللغة: من النسب والنسبة: قرابة، وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه، أي قريبه. وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي مشاكلة^(١).

والمُناسِبَةُ: المشاكلةُ، يقال: بين الشيئين مُناسِبَةٌ وتَناسُبٌ: أي مُشاكلةٌ وتَشاكُلٌ. وَكَذَا قَوْلُهُمْ: لَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا، وَبَيْنَهُمَا نِسْبَةٌ قَرِيبَةٌ^(٢). فالمناسبة في اللغة: المقاربة و المشاكلة.

ثانياً: المناسبة في الاصطلاح:

يقول القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين، كما نقله الزركشي: ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم^(٣).

وقال الزركشي: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول^(٤).

وقال البقاعي: علم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه^(٥).

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/٢٢٤).

(٢) تاج العروس (٤/٢٦٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/٣٦)، و الإتيان في علوم القرآن (٣/٣٦٩)، و مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/١٣٨).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/٣٥).

(٥) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (١/١٤٢).

ويقول الدكتور مصطفى مسلم: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها. وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها^(١).

ثالثاً: موقف العلماء من علم المناسبات:

أهل العلم في علم المناسبات على ثلاثة أقسام:

- ١- قسم أثبت هذا العلم وبالغ فيه، وتكلف مناسبات تكلفاً ظاهراً.
- ٢- قسم نفى هذا العلم وأعرض عنه بالكلية ولو كانت فيه المناسبة ظاهرة.
- ٣- قسم توسط بينهما، فأثبت ما هو ظاهر بين، وأعرض عنه عند عدم وجوده ولم يتكلفه.

وستتطرق لبعض أقوالهم بشيء من الاختصار وسنذكر الراجح بإذن الله.

أولاً: المثبتون للمناسبة:

- ١- الفخر الرازي فيقول في حديثه عن المناسبة: (فما أحسن هذا الترتيب، لأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)^(٢).
- ٢- الزركشي فيقول: (ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز)^(٣).

(١) مباحث في التفسير الموضوعي (ص ٥٨).

(٢) تفسير الرازي (١٠/١١٠).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/٣١٧).

٣- أبو جعفر أحمد بن الزبير وقد ألف كتابا في ذلك أسماه: البرهان في تناسب سور القرآن وغيرهم، كأبي حيان^(١) البقاعي^(٢) والسيوطي^(٣).

يقول الشاطبي: (فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذا ذلك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض، إلا في موطن واحد، وهو النظر في فهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه، لا بحسب مقصود المتكلم، فإذا صح له الظاهر على العربية؛ رجع إلى نفس الكلام، فعمما قريب يبدو له منه المعنى المراد؛ فعليه بالتعبد به (إلى أن قال): فاعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا تتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالإقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها)^(٤).

ثانيا: النافون للمناسبة:

ورد عن بعض العلماء إنكار هذا العلم، بزعم أنه تكلف محض وأنه لم ينقل عن الصحابة والتابعين فكيف نخوض نحن فيه. ومن هؤلاء:

١- سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام في كتابه (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز) وعزاه الزركشي إليه فقال: المناسبة: علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا

(١) يهتم بذكر المناسبات في تفسيره (البحر المحيط).

(٢) انظر: كتابه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

(٣) انظر: كتابه: تناسق الدرر في تناسب السور.

(٤) الموافقات (٤/٢٦٦-٢٦٨).

برباط ركيك يسان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان نفسه بأمر متوافقة ومتخالفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها انتهى.^(١)

قال الدكتور نور الدين عتر: (وبالتدقيق رأينا أنه يقصد معنى آخر غير ما أوهمه السيوطي وغير ما أورده له بعض المعاصرين. وذلك أنا وجدناه يذكر اختلاف الزمان والأسباب وتصرفات الحكام والمفتين، مما يشعر أنه يتكلم عن اعتبار النزول، وهذا لا يخالف أحد أنه تكلف لا يليق، وهو غير ربط آيات القرآن وسوره بحسب ترتيبها التوقيفي في المصحف)^(٢).

٢- الشوكاني في تفسيره فتح القدير أطل النفس في رده حيث قال: (اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره ومن تقدمه

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣٧/١) فقد اختصر كلامه ولخصه من المصدر المشار إليه. وينظر: الإتيان في علوم القرآن (٣/٣٧٠).

(٢) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه (ص ١٠).

حسبما ذكر في خطبته،.... (إلى أن قال في كلام طويل) ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحاتها كثير من المحققين^(١).

ويكفي في الرد على هذا التشنيع ما ذكره الدكتور إبراهيم آل هويل: أن الشوكاني نفسه يورد المناسبة في كثير من الآيات ومن ذلك ما ذكره في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢).

(لما ذكر تعالى جزاء الكافرين عقب جزاء المؤمنين، ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد)^(٣).^(٤)

ثالثا: المتوسطون في إثبات المناسبة:

وهم قوم وسط بين المثبتين والنافين، وقد نبهوا على المناسبة في موطن ظهورها وأعرضوا عن التكلف فيما لم يظهر منها.

١- الطاهر بن عاشور التونسي: فقد قال في مقدمة تفسيره: (ولما كان تعيين الآيات التي أمر النبي ﷺ بوضعها في موضع معين غير مروى إلا في عدد قليل، كان حقا على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلا موصلا وإلا فليعرض عنه ولا يكن من المتكلفين)^(٥).

(١) فتح القدير للشوكاني (١/٨٥-٨٧) مختصرا.

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥).

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/٦٤).

(٤) علم المناسبات بين المانعين والمجيزين (ص ١١٩)، ومجلة جامعة الإمام (العدد ٢٥)، المحرم ١٤٢٠ هـ وقد بسط القول في هذا العلم ويحسن مراجعته لأهميته.

(٥) التحرير والتنوير (١/٨١).

٢-الدكتور مناع القطان: (فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع الأصول اللغوية في علوم العربية، كانت مقبولة لطيفة. ولا يعني هذا أن يلتمس المفسر لكل آية مناسبة، فإن القرآن الكريم نزل مُنَجَّمًا حسب الوقائع والأحداث، وقد يدرك المفسر ارتباط آياته وقد لا يدركها، فلا ينبغي أن يعتسف المناسبة اعتسافًا، وإلا كانت تكلفًا ممقوتًا)^(١).

والقول المختار من هذه الأقوال هو القول الثالث: المتوسطون في إثبات المناسبة فلا ينبغي التكلف في إثبات المناسبة بل يقتصر على ما ظهر منها، ويدع عنه ما خفي إلى حين ظهورها أو يعرض عنها.

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٩٧).

المبحث الثاني

المناسبة بين أول السورة المفتحة بندااء الناس وآخر السورة السابقة عليها

افتتح بندااء الناس في سورتين من كتاب الله العزيز، في سورة النساء وسورة الحج.

أولاً: سورة النساء بما قبلها:

يقول الألوسي: ووجه مناسبتها أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى، وافتتحت هذه السورة به، وذلك من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور، وهو نوع من أنواع البديع يسمى في الشعر تشابه الأطراف^(١) وقوم يسمونه بالتسبيغ^(٢).^(٣)

وقد ذكر ابن الزبير الثقفي^(٤) مناسبة أخرى فقال: لما تضمنت سورة البقرة ابتداء الخلق وإيجاد آدم عليه السلام من غير أب ولا أم، وأعقبت بسورة آل عمران لتضمنها - مع ما ذكر في صدرها أمر عيسى عليه السلام وأنه كمثل آدم في (عدم) الافتقار إلى أب، وعلم الموقنون من

(١) ولا يضر في ذلك كون الخطاب الأول (يا أيها الذين آمنوا) والخطاب الثاني (يا أيها الناس) كما لا يخفى. انظر:

الحاشية في تفسير الألوسي (٣٨٩/٢).

(٢) تشابه الأطراف: فهو أن يجعل الشاعر قافية بيته الأول أول البيت الثاني، وقافية الثاني أول الثالث، وهكذا إلى انتهاء

كلامه. وهذا النوع كان اسمه التسبيغ. انظر: خزنة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي: (١ / ٢٢٥) و

نهایة الأرب في فنون الأدب: (٧ / ١٨١).

(٣) تفسير الألوسي (٣٨٩/٢).

(٤) أحمد بن إبراهيم الشهير بابن الزبير الغرناطي الإمام العالم الفاضل الشيخ أبو جعفر، قد صنف البرهان في تفسير

القرآن ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبله، اوصنف ملاك التأويل في فن التفسير ت ٧٠٨ هـ طبقات المفسرين

للداودي: (ص: ٣٩٧) الأعلام للزركلي (١ / ٨٦).

ذلك أنه تعالى لو شاء لكانت سنة فيمن بعد آدم عليه السلام، (فكان سائر الحيوان لا يتوقف على أبوين، أو كان يكون) عيسى عليه السلام لا يتوقف إلا على أم فقط، أعلم سبحانه أن من عدا المذكورين عليهم السلام من ذرية آدم سيبلهم سبيل الأبوين فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(١). ثم أعلم تعالى بكيفية النكاح المجعول سببا في التناسل وما يتعلق به وبين حكم الأرحام والموارث، وتضمنت السورة ابتداء الأمر وانهاؤه فأعلمنا بكيفية النكاح، وصورة الاعتصام واحترام بعضنا لبعض كيفية تناول الإصلاح فيما بين الزوجين عند التشاجر والشقاق، وبين لنا ما ينكح وما لا ينكح وما أبيض من العدد، وحكم من لم يجد الطول وما يتعلق بهذا إلى الموارث، فصل ذلك كله، إلا الطلاق لأن أحكامه قد تقدمت، ولأن بناء هذه السورة على التواصل والائتلاف ورعي حقوق ذوي الأرحام) وحفظ ذلك كله إلى حالة الموت المكتوب علينا وناسب هذا المقصود (من) التواصل والألفة ما افتتحت به السورة من قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ بالائتام والوصلة، ولهذا خصت حكم تشاجر الزوجين بالإعلام بصورة الإصلاح والعدل إبقاء لذلك التواصل، فلم يكن الطلاق ليناسب هذا فلم يقع له هنا ذكر ولا إيماء "وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته" ولكثرة ما يعرض من رعي حظوظ النفوس عند الزوجية ومع القرابة ويدق ذلك ويغمض، لذلك ما تكرر كثيرا في هذه السورة الأمر بالاتقاء، وبه افتتحت "اتقوا ربكم" ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾^(٢) ثم حذروا من حال من صمم على

(١) سورة النساء، الآية (١).

(٢) سورة النساء، الآية (١٣١).

الكفر، وحال اليهود والنصارى والمنافقين وذوى القلب في الأديان بعداً عن اليقين، "وكل ذلك تأكيد لا أمروا به من الاتقاء، والتحمت الآيات إلى الختم بالكلافة من الموارث المتقدمة^(١).

ثانياً: سورة الحج لما قبلها:

قال الشوكاني: (لما أنجر الكلام في خاتمة السورة المتقدمة (الأنبياء) إلى ذكر الإعادة وما قبلها وما بعدها، بدأ سبحانه في هذه السورة بذكر القيامة وأهوالها، حثاً على التقوى التي هي أنفع زاد، فقال: يا أيها الناس اتقوا ربكم أي: احذروا عقابه بفعل ما أمركم به من الواجبات وترك ما نهاكم عنه من المحرمات، ولفظ (الناس) يشمل جميع المكلفين من الموجودين ومن سيوجد)^(٢)

قال ابن الزبير الثقفي: لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾^(٣)

وكان في معرض التهديد، وتكرر في مواضع منها كقوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾^(٤)

﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(٥) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿^(٦)

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ ﴿^(٧) وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ

مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴿^(٨) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿^(٩) وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ

مُشْفِقُونَ ﴿^(١٠) كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿^(١١) وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴿^(١٢).

(١) البرهان في تناسب سور القرآن (ص ١٩٨ - ٢٠٠).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣/٥١٤).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٣٥).

(٥) سورة الأنبياء، الآية (٣٧ - ٣٩).

(٦) سورة الأنبياء، الآية (٤٦).

(٧) سورة الأنبياء، الآية (٤٧).

(٨) سورة الأنبياء، الآية (٤٩).

(٩) سورة الأنبياء، الآية (٩٣).

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾^(١).

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾^(٢) إلى ما تخلل هذه الآي من التهديد

وتشديد الوعيد حتى لا تكاد تجد أمثال هذه الآي في الوعيد والإنذار بما في الساعة وما بعدها وما بين يديها في نظائر هذه السورة، وقد ختمت من ذلك بمثل ما به ابتدئت، اتصل بذلك ما

يناسبه من الإعلام بهول الساعة وعظيم أمرها فقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوقًا

رَبِّكُمْ ﴾^(٣) إلى قوله تعالى ﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾^(٤) ثم أتبع هذا بيسط الدلالات

على البعث الأخير وإقامة البرهان ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ﴾^(٥)

ثم قال: ﴿ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ ﴾^(٦) أي اطرده هذا الحكم العجيب ووضح من تقلبكم من

حالة إلى حالة قي الأرحام وبعد خروجكم إلى الدنيا وأنتم تعلمون ذلك من أنفسكم

وتشاهدون الأرض على صفة من الهمود والموت إلى حين نزول الماء فتحي وتخرج أنواع النبات

وضروب الثمرات تسقى بماء واحد ﴿ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتِينَ ﴾^(٧) كما أحياكم

أولا وأخرجكم من العدم إلى الوجود وأحيى الأرض بعد موتها وهمودها كذلك يأتي بالساعة من

(١) سورة الأنبياء، الآية (٩٧).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٩٨).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (١٠٤).

(٤) سورة الحج، الآية (١).

(٥) سورة الحج، الآية (٢).

(٦) سورة الحج، الآية (٥).

(٧) سورة الحج، الآية (٦).

(٨) سورة الحج، الآية (٦).

غير ريب ولا شك ويعتكم لما وعدتم من حسابكم وجزائكم ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
السَّعِيرِ﴾^(١) .^(٢)

(١) سورة الشورى، الآية (٧).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن (ص ٢٥٦ - ٢٥٧).

المبحث الثالث

المناسبة بين السور المفتحة بندااء الناس

افتتح الله بندااء الناس في كتابه العزيز في سورتين، سورة النساء فقال: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١) وسورة الحج فقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

يخبر سبحانه: (أنه تعالى جعل هذا المطلع مطلعاً لسورتين في القرآن: إحداهما: هذه السورة وهي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن. والثانية: سورة الحج، وهي أيضاً السورة الرابعة من النصف الثاني من القرآن، ثم إنه تعالى علل الأمر بالتقوى في هذه السورة بما يدل على معرفة المبدأ، وهو أنه تعالى خلق الخلق من نفس واحدة، وهذا يدل على كمال قدرة الخالق وكمال علمه وكمال حكمته وجلاله، وعلل الأمر بالتقوى في سورة الحج بما يدل على كمال معرفة المعاد، وهو قوله: ﴿إِنَّكَ زَلَّزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ فجعل صدر هاتين السورتين دلالة على معرفة المبدأ ومعرفة المعاد، ثم قدم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد، وتحت هذا البحث أسرار كثيرة^(٣).

(١) سورة النساء، الآية (١).

(٢) سورة الحج، الآية (١).

(٣) تفسير الرازي (٤٧٦/٩)، وانظر: البرهان في علوم القرآن (٢٢٧/٢)، وانظر: الإتيقان في علوم القرآن (٣٨٩/٣).

المبحث الرابع

المناسبة بين أول السورة المفتحة بندااء الناس وآخرها

افتتح الله سورتين بندااء الناس، أولهما: سورة النساء، فالمناسبة بين أول السورة وآخرها.

يقول الرازي: واعلم أن في هذه السورة لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى فإنه قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ﴾^(١) وهذا دال على سعة القدرة، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم وهو قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢) وهذان الوصفان هما اللذان بهما تثبت الربوبية والإلهية والجلالة والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعا للأوامر والنواهي منقادا لكل التكاليف^(٣).

فأول السورة نداء عام وأمر من الله للناس جميعا بتقواه وختم السورة بقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فبين الله لهم كيف يتقون و لا يضلون وفصل لهم الأحكام.

(١) سورة النساء، الآية (١).

(٢) سورة النساء، الآية (١٧٦).

(٣) تفسير الرازي (٢٧٥/١١).

قال البقاعي: ومن هنا ظهرت مناسبة آخر هذه السورة لأولها، لأن أولها مشير إلى أن الناس كلهم كشيء واحد، وذلك يقتضي عدم الفرق بينهم إلا فيما شرعه الله، وآخرها مشير إلى ذلك بالتسوية بين النساء^(١).

قال السيوطي: افتتحت بذكر الخلق والولادة وختمت بأحكام الوفاة وفتحت بأية الموارث^(٢).

ثانيها: سورة الحج: فأول السورة بدأت بقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

وختمت السورة بقوله سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٤).

قال البقاعي: ثم علل الأمر بالاعتصام وتوحيده بالولاية بقوله: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ أي هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لأنه إذا تولى أحداً كفاه كل ما أهمه، وإذا نصر أحداً أعلاه على كل من خصمه (ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته)^(٥) - الحديث، (إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت)^(٦) وهذا نتيجة التقوى، وما قبله من أفعال الطاعة دليلها. فقد انطبق آخر

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/٥٣٢).

(٢) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع (ص ٥٠) - مكتبة دار المنهاج - الطبعة الأولى - الرياض ١٤٢٦ هـ.

(٣) سورة الحج، الآية (١).

(٤) سورة الحج، الآية (٧٨).

(٥) أخرجه البخاري - كتاب الرقائق - باب التواضع حديث رقم (٦٥٠٢).

(٦) أخرجه الطبراني من حديث أبي الحوراء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما حديث رقم (٢٧٠١) وهو دعاء الوتر المعروف.

السورة على أولها. ورد مقطعها على مطلعها - والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وهو الهادي للصواب^(١).

وسورة الحج افتتحت بالأمر بالتقوى والحديث عن أهوال يوم القيامة والبعث والنشور، ولما كانت هذه الأهوال شديدة وخيفة أوجبت على الناس الاستعداد لها بالتقوى وفعل العبادات المقربة للمولى، من صلاة وزكاة و جهاد وفعل الخيرات واعتصام بالله ختمت السورة بها والله أعلم.

قال السيوطي: بدئت (سورة الحج) بذكر الساعة وختمت بقوله ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وذلك يوم القيامة^(٢).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠٤/١٣).

(٢) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع (ص ٥٠) - مكتبة دار المنهاج - الطبعة الأولى - الرياض ١٤٢٦هـ.

المبحث الخامس

المناسبة بين الآية والتي تليها

أول نداء ورد في القرآن هو نداء الناس، وأمر بأعظم أمر وهو عبادة الله:

النداء الأول: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١)، فالمناسبة بين هذا النداء والآية التي تليها وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢) ظاهرة بينه، بعد ما أمر سبحانه وتعالى الناس بعبادته، بين استحقاقه لها وحده لا شريك له، فكيف تجعلون لله أندادا وأنتم تعلمون وجوه استحقاقه بها^(٣).

قال ابن عاشور: والمقصود بالإيماء إلى سبب آخر لاستحقاقه العبادة وإفراده بها فإنه لما أوجب عبادته أنه خالق الناس كلهم أتبع ذلك بصفة أخرى تقتضي عبادتهم إياه وحده، وهي نعمه المستمرة عليهم مع ما فيها من دلائل عظيم قدرته فإنه مكن لهم سبل العيش وأولها المكان الصالح للاستقرار عليه بدون لغوب^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٢).

(٣) ينظر: تفسير الرمحشري (١/٩٣)، فقد ذكر كلاما جميلا في وجه استحقاقه للعبادة.

(٤) التحرير والتنوير (١/٣٣١).

النداء الثاني: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١).

قال ابن عاشور: استئناف ابتدائي هو كالحاتمة لتشويه أحوال أهل الشرك من أصول دينهم وفروعه التي ابتدأ الكلام فيها من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾^(٢) الآية، إذ ذكر كفرهم إجمالاً ثم أبطله بقوله: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ﴾^(٣) واستدل على إبطاله بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤) الآيات ثم وصف كفرهم بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾^(٥)، ووصف حالهم وحسرتهم يوم القيامة، فوصف هنا بعض مساوئ دين أهل الشرك فيما حرموا على أنفسهم مما أخرج الله لهم من الأرض، وناسب ذكره هنا أنه وقع بعد ما تضمنه الاستدلال على وحدانية الله والامتنان عليهم بنعمته بقوله:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾^(٦) الآية، وهو تمهيد وتلخيص لما يعقبه من ذكر شرائع الإسلام في الأطعمة وغيرها التي ستأتي من قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٧).^(٨)

(١) سورة البقرة، الآية (١٦٨).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٦١).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٦٣).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

(٥) سورة البقرة، الآية (١٦٥).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

(٧) سورة البقرة، الآية (١٧٢).

(٨) التحرير والتنوير (١٠١/٢).

النداء الثالث: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ وَأَنْتُمْ أَلْيَنَمَجِّ أَمْوَالِهِمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَثِيرًا ۝١﴾^(١).

اعلم أنه لما افتتح السورة بذكر ما يدل على أنه يجب على العبد أن يكون منقادا لتكاليف الله سبحانه، محترزا عن مساخطه، شرع بعد ذلك في شرح أقسام التكاليف.

ثم ذكر: ما يتعلق بأموال اليتامى، وهو هذه الآية، وأيضا أنه تعالى وصى في الآية السابقة بالأرحام، فكذا في هذه الآية وصى بالأيام، لأنهم قد صاروا بحيث لا كافل لهم ولا مشفق شديد الإشفاق عليهم، ففارق حالهم حال من له رحم ماسة عاطفة عليه لمكان الولادة أو لمكان الرحم فقال: وآتوا اليتامى أموالهم^(٢).

قال أبو حيان: ومناسبتها لما قبلها أنه لما وصل الأرحام أتبع بالأيام، لأنهم صاروا بحيث لا كافل لهم، ففارق حالهم حال من له رحم ماسة^(٣).

النداء الرابع: قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ۝١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝١٣٤﴾^(٤).

قال ابن عاشور: لما كان شأن التقوى عظيما على النفوس، لأنها يصرفها عنها استعجال الناس لمنافع الدنيا على خيرات الآخرة، نبههم الله إلى أن خير الدنيا بيد الله، وخير الآخرة أيضا، فإن اتقوه نالوا الخيرين. ويجوز أن تكون الآية تعليما للمؤمنين أن لا يصددهم الإيمان عن طلب ثواب

(١) سورة النساء، الآية (١-٢).

(٢) تفسير الرازي (٩/٤٨٢).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٣/٥٠٠).

(٤) سورة النساء، الآية (١٣٣ - ١٣٤).

الدنيا، إذ الكل من فضل الله. ويجوز أن تكون تذكيرا للمؤمنين بأن لا يلهيهم طلب خير الدنيا عن طلب الآخرة، إذ الجمع بينهما أفضل، وكلاهما من عند الله^(١).

النداء الخامس: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾.

قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهات اليهود تكلم بعد ذلك مع النصارى في هذه الآية، والتقدير: يا أهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح، وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح، وهؤلاء النصارى يبالغون في تعظيمه وكلا طرفي قصدهم ذميم، فلهذا قال للنصارى لا تغلوا في دينكم وقوله ولا تقولوا على الله إلا الحق يعني لا تصفوا الله بالحلل والاتحاد في بدن الإنسان أو روحه، ونزهوه عن هذه الأحوال. ولما منعهم عن طريق الغلو أرشدهم إلى طريق الحق^(٢).

النداء السادس: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسُكِّدْ خُلُومَهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضِّلْ وَيَهْدِهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾.

(١) التحرير والتنوير (٢٢٣/٥).

(٢) سورة النساء، الآية (١٧٠ - ١٧١).

(٣) تفسير الرازي (٢٧١/١١).

(٤) سورة النساء، الآية (١٧٤ - ١٧٥).

قال ابن عاشور: فأما الذين آمنوا بالله يجوز أن يكون للتفصيل: تفصيلا لما دل عليه يا أيها الناس من اختلاف الفرق والنزعات: بين قابل للبرهان والنور، ومكابر جاحد، ويكون معادل هذا الشق محذوفا للتهويل، أي: وأما الذين كفروا فلا تسئل عنهم، ويجوز أن يكون (أما) مجرد الشرط دون تفصيل، وهو شرط لعموم الأحوال، لأن (أما) في الشرط بمعنى (مهما يكن من شيء) وفي هذه الحالة لا تفيد التفصيل ولا تطلب معادلا^(١).

قال الألوسي: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ حَسْبَمَا يُوَجِّهُ الْبِرْهَانَ الَّذِي جَاءَهُمْ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ أَي عَصَمُوا بِهِ سَبْحَانَهُ أَنْفُسَهُمْ مِمَّا يَرِيدُهَا مِنْ زَيْغِ الشَّيْطَانِ وَغَيْرِهِ^(٢). وعليه فالآية الثانية تفصيل لما جاء ذكره مجملا في الأولى.

النداء السابع: قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمَنْ قَوْمَ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿٣﴾

قال الرازي: واعلم أنه تعالى لما وصف الرسول، وذكر أنه يجب على الخلق متابعتة، ذكر أن من قوم موسى عليه السلام من اتبع الحق وهدى إليه^(٤).

النداء الثامن: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا

(١) التحرير والتنوير (٦/٦٢-٦٣).

(٢) تفسير الألوسي (٣/٢١٦).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٥٨-١٥٩).

(٤) تفسير الرازي (١٥/٣٨٧).

أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنَتْ وَظَرَبَ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾.

قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما قال: (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) أتبعه بهذا المثل العجيب الذي ضربه لمن يبغي في الأرض ويغتر بالدنيا، ويشد تمسكه بها، ويقوى إعراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها، فقال: (إنما مثل الحياة الدنيا) (٢).

وقال ابن عاشور: هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ (٣) تنزل منزلة البيان لجملة (متاع الحياة الدنيا) المؤذنة بأن تمتعهم بالدنيا ما هو إلا لمدة قصيرة (٤).

النداء التاسع: قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٥﴾.

قال ابن عاشور: يتفرع على كون القرآن هدى ورحمة للمؤمنين تنبيههم إلى أن ذلك فضل من الله عليهم ورحمة بهم يحق لهم أن يفرحوا بهما، وأن يقدروا قدر نعمتها، وأن يعلموا أنها نعمة تفوق نعمة المال التي حرم منها أكثر المؤمنين ومنحها أكثر المشركين، فكانت الجملة حقيقة بأن تفتتح بفاء التفریع (٦).

(١) سورة يونس، الآية (٢٣ - ٢٤).

(٢) تفسير الرازي (١٧/٢٣٦).

(٣) سورة يونس، الآية (٢٤).

(٤) التحرير والتنوير (١١/١٤١).

(٥) سورة يونس، الآية (٥٧ - ٥٨).

(٦) التحرير والتنوير (١١/٢٠٣-٢٠٤).

النداء العاشر: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٤) (١).

الآية التالية لها قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) معطوفة على ما قبلها بواو العاطفة (٣). ومن ثم فهذا من باب توالي الأوامر.

النداء الحادي عشر: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (١٠٨) (٤) وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٥).

قال ابن عاشور: عطف على قل أي بلغ الناس ذلك القول واتبع ما يوحى إليك (٥).

النداء الثاني عشر: قال تعالى: ﴿ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (٦).

قال ابن عاشور: جملة يوم ترونها تذهل إلخ... بيان لجملة ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ لأن ما ذكر في هذه الجملة يبين معنى كونها شيئاً عظيماً وهو أنه عظيم في الشر والرعب (٧).

(١) سورة يونس، الآية (١٠٤).

(٢) سورة يونس، الآية (١٠٥).

(٣) التحرير والتنوير (١١/٣٠٢).

(٤) سورة يونس، الآية (١٠٨-١٠٩).

(٥) التحرير والتنوير (١١/٣١٠).

(٦) سورة الحج، الآية (١-٢).

(٧) التحرير والتنوير (١٧/١٨٨).

النداء الثالث عشر: قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَكُمُ طُفْلًا وَمِنْكُمْ مَّن يُوَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١﴾.

قال الرازي: ثم إنه سبحانه لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر أمورا خمسة^(٢). وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٣﴾.

قال الألوسي: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ كلام مستأنف جيء به إثر تحقيق حقية البعث وإقامة البرهان عليه على أتم وجه^(٤).

النداء الرابع عشر: قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾

قال ابن عاشور: وفرع على الأمر بالقول تقسيم للناس في تلقي هذا الإنذار المأمور الرسول بتبليغه إلى مصدق ومكذب لبيان حال كلا الفريقين في الدنيا والآخرة ترغيبا في الحالة الحسنى

(١) سورة الحج، الآية (٥).

(٢) تفسير الرازي (٢٣/٢٠٥).

(٣) سورة الحج، الآية (٦ - ٧).

(٤) تفسير الألوسي (٩/١١٥).

(٥) سورة الحج، الآية (٤٩ - ٥٠).

وتحذيرا من الحالة السوأى فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ﴾ (١) إلى آخره... فهذا إخبار من الله تعالى كما يقتضيه قوله (في آياتنا). والجملة معترضة بالفاء (٢).

النداء الخامس عشر: قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٣).

قال ابن عاشور: تذييل للمثل بأن عبادتهم الأصنام مع الله استخفاف بحق إلهيته تعالى إذ أشركوا معه في أعظم الأوصاف أحقر الموصوفين، وإذ استكبروا عند تلاوة آياته تعالى عليهم، وإذ هموا بالبطش برسوله (٤). ولما كان هذا لجهلهم برهم وخالفهم قال سبحانه: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٥).

النداء السادس عشر: قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٦).

قال البقاعي: ولما كان هذا مجرد خبر، أتبعه ما يصدقه فقال: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ﴾ (٧).

(١) سورة الحج، الآية (٥٠).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/٢٩٤).

(٣) سورة الحج، الآية (٧٣ - ٧٤).

(٤) التحرير والتنوير (١٧/٣٤٢).

(٥) سورة الحج، الآية (٧٤).

(٦) سورة النمل، الآية (١٦ - ١٧).

(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/١٤١).

النداء السابع عشر: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾^(١).

قال البقاعي: ولما كان من الأمر الواضح أن لسان حالهم بعد السؤال عن تحقق ذلك اليوم يسأل عن وقته كما مضى في غير آية، ويأتي في آخر التي بعدها، إما تعنتاً واستهزاء وإما حقيقة، أجاب عن ذلك ضامماً إليه أخواته من مفاتيح الغيب^(٢).

النداء الثامن عشر: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَافٌ تُؤْفَكُونَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٢٧﴾﴾^(٣).

قال الرازي: ثم لما بين الأصل الأول: وهو التوحيد ذكر الأصل الثاني: وهو الرسالة فقال تعالى: وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك^(٤).

قال ابن عاشور: عطف على جملة ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي وإن استمروا على انصرافهم عن قبول دعوتك ولم يشكروا النعمة ببعثك فلا عجب فقد كذب أقوام من قبلهم رسلاً من قبل. وهو انتقال من خطاب الناس إلى خطاب النبي ﷺ لمناسبة جريان خطاب الناس على

(١) سورة لقمان، الآية (٣٣ - ٣٤).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١٤/١٥)

(٣) سورة فاطر، الآية (٣ - ٤).

(٤) تفسير الرازي (٢٢٣/٢٦).

لسانه فهو مشاهد لخطابهم، فلا جرم أن يوجه إليه الخطاب بعد توجيهه إليهم إذ المقام واحد^(١).

النداء التاسع عشر: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبْكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۗ﴾^(٢).

قال ابن عاشور: لما كان في قوله: ولا يغرنكم بالله الغرور إبهام ما في المراد بالغرور عقب ذلك بيانه بأن الغرور هو الشيطان ليتقرر المسند إليه بالبيان بعد الإبهام. فجملة إن الشيطان لكم عدو تنزل من جملة ولا يغرنكم بالله الغرور منزلة البيان من المبين فلذلك فصلت ولم تعطف، وهذا من دلالة ترتيب الكلام على إرادة المتكلم إذ يعلم السامع من وقوع وصف الشيطان عقب وصف الغرور أن الغرور هو الشيطان^(٣).

النداء العشرون: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۗ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ﴾^(٤).

قال ابن عاشور: واقع موقع البيان لما تضمنته جملة ﴿هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ من معنى قلة الاكترات بإعراضهم عن الإسلام، ومن معنى رضاه على من يعبدوه فهو تعالى لغناه عنهم وغضبه عليهم لو شاء لأبادهم وأتى بخلق آخرين يعبدونه فخلص العالم من عصاة أمر الله وذلك في قدرته ولكنه أمهلهم إعمالاً لصفة الحلم^(٥).

(١) التحرير والتنوير (٢٢/٢٥٦).

(٢) سورة فاطر، الآية (٥ - ٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/٢٦٠).

(٤) سورة فاطر، الآية (١٥-١٦).

(٥) التحرير والتنوير (٢٢/٢٨٦).

النداء الواحد والعشرون: قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾﴾^(١).

قال الرازي: لما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ﴾ والأتقى لا يكون إلا بعد حصول التقوى، وأصل الإيمان هو الاتقاء من الشرك، قالت الأعراب لنا النسب الشريف، وإنما يكون لنا الشرف، قال الله تعالى: ليس الإيمان بالقول، إنما هو بالقلب^(٢) فما آمنتتم لأنه خير يعلم ما في الصدور، ولكن قولوا أسلمنا أي انقدنا واستسلمنا^(٣).

(١) سورة الحجرات، الآية (١٣ - ١٤).

(٢) قلت الإيمان قول وعمل واعتقاد وليس محصورا على القلب كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

(٣) تفسير الرازي (١١٥/٢٨)

المبحث السادس

المناسبة بين الآية والآية السابقة لها

النداء الأول: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم، وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها، ويحظيها عند الله ويرديها، أقبل عليهم بالخطاب، وهو من الالتفات المذكور عند قوله: (إياك نعبد وإياك نستعين)، وهو فن من الكلام جزل، فيه هز وتحريك من السامع^(٢).

النداء الثاني: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٣).

اعلم أنه تعالى لما بين التوحيد ودلائله، وما للموحدين من الثواب وأتبعه بذكر الشرك ومن يتخذ من دون الله أندادا، ويتبع رؤساء الكفرة أتبع ذلك بذكر إنعامه على الفريقين وإحسانه

(١) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٢) تفسير الزمخشري (١/٨٨-٨٩)، وينظر: التحرير والتنوير (١/٣٢٣-٣٢٤).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٦٨).

إليهم وأن معصية من عصاه وكفر من كفر به لم تؤثر في قطع إحسانه ونعمه عنهم، فقال: يا أيها الناس كلوا مما في الأرض^(١).

النداء الثالث: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

سبق الحديث عن المناسبة بينها وبين الآية السابقة في المبحث الثاني المناسبة بين أول السورة المفتحة بنداء الناس وآخر السورة السابقة عليها فلا حاجة للتكرار.

النداء الرابع: قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ^٤ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾^(٣).

هو جواب قوله: وإن تكفروا فالتقدير: وإن تكفروا فإن الله غني عن تقواكم وإيمانكم فإن له ما في السماوات وما في الأرض وكان ولا يزال غنيا حميدا^(٤).

النداء الخامس: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٥).

قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهة اليهود على الوجوه الكثيرة وبين فساد طريقتهم ذكر خطابا عاما يعمهم ويعم غيرهم في الدعوة إلى دين محمد عليه الصلاة والسلام^(٦).

(١) تفسير الرازي (١٨٥/٥).

(٢) سورة النساء، الآية (١).

(٣) سورة النساء، الآية (١٣٣).

(٤) التحرير والتنوير (٢٢١/٥).

(٥) سورة النساء، الآية (١٧٠).

(٦) تفسير الرازي (٢٧٠/١١)، وينظر: التحرير والتنوير (٤٨/٦-٤٩).

النداء السادس: قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(١).

قال الرازي: واعلم أنه تعالى: لما أورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى وأجاب عن جميع شبهاتهم عمم الخطاب. ودعا جميع الناس إلى الاعتراف برسالة محمد عليه الصلاة والسلام^(٢).

النداء السابع: قال تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣).

اعلم أنه تعالى لما قال: فسأكتبها للذين يتقون ثم بين تعالى أن من شرط حصول الرحمة لأولئك المتقين، كونهم متبعين للرسول النبي الأمي، حقق في هذه الآية رسالته إلى الخلق بالكلية. فقال: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً^(٤).

ثم بين هذا الأمر الألوسي فقال: لما حكى ما في الكتابين من نعوته ﷺ وشرف من يتبعه على ما عرفت، أمر عليه الصلاة والسلام بأن يصدع بما فيه تكيت لليهود الذين حرموا أتباعه وتنبه لسائر الناس على افتراء من زعم منهم أنه ﷺ مرسل إلى العرب خاصة، وقيل: إنه أمر له عليه الصلاة والسلام ببيان أن سعادة الدارين المشار إليهما فيما تقدم غير مختصة بمن اتبعه من أهل

(١) سورة النساء، الآية (١٧٤).

(٢) تفسير الرازي (٢٧٤/١١).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).

(٤) تفسير الرازي (٣٨٣/١٥).

الكتابين بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان وذلك ببيان عموم رسالته ﷺ وهي عامة للثقلين^(١).

النداء الثامن: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٢).

قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم هذا التضرع الكامل بين أنهم بعد الخلاص من تلك البلية والمحنة أقدموا في الحال على البغي في الأرض بغير الحق^(٣).

وفيه (توجيه الخطاب إلى أولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد)^(٤).

النداء التاسع: قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥).

قال ابن عاشور: استئناف أو اعتراض، يجوز أن يكون لابتداء غرض جديد وهو خطاب جميع الناس بالتعريف بشأن القرآن وهديه، بعد أن كان الكلام في جدال المشركين والاحتجاج عليهم بإعجاز القرآن على أنه من عند الله وأن الآتي به صادق فيما جاء به من تهديدهم وتخويفهم من عاقبة تكذيب الأمم رسلها، وما ذيل به ذلك من الوعيد وتحقيق ما توعدوا به، فالكلام الآن منعطف إلى الغرض المفتتح بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٦). فعاد الكلام إلى خطاب جميع الناس لما في القرآن من المنافع

(١) تفسير الألوسي (٧٨/٥).

(٢) سورة يونس، الآية (٢٣).

(٣) تفسير الرازي (٢٣٥/١٧).

(٤) تفسير الألوسي (٩٣/٦).

(٥) سورة يونس، الآية (٥٧).

(٦) سورة يونس، الآية (٣٧-٤٣).

المنافع الصالحة لهم، والإشارة إلى اختلافهم في مقدار الانتفاع به، ولذلك كان الخطاب هنا عاما لجميع الناس ولم يأت فيه ما يقتضي توجيهه لخصوص المشركين من ضمائر تعود إليهم أو أوصاف لهم أو صلوات موصول. وعلى هذا الوجه فليس في الخطاب ب يا أيها الناس التفات من الغيبة إلى الخطاب، والمعنى أن القرآن موعظة لجميع الناس وإنما انتفع بموعظته المؤمنون فاهتدوا وكان لهم رحمة^(١).

النداء العاشر: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢).

هذه الجملة متصلة المعنى بجملة: ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣)، إذ المقصود من النظر المأمور به هنالك النظر للاستدلال على إثبات الوجدانية، فإن جحودهم إياها هو الذي أقدمهم على تكذيب الرسول ﷺ في قوله: إن الله بعثه بإثباتها وأبطل الإشراك، فلما أمرهم بالنظر المؤدي إلى إثبات انفراده تعالى بالإلهية أعقبه بأن يخبرهم بأنهم إن استمروا على الشك فيما جاء به الرسول ﷺ فإن الرسول ﷺ ثابت على ما جاء به وأن دلائل صحة دينه بينة للناظرين. والمراد ب (الناس) في هذا الخطاب المشركون من أهل مكة، أو جميع أمة الدعوة الذين لما يستجيبوا للدعوة^(٤).

النداء الحادي عشر: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾^(٥).

(١) التحرير والتنوير (١١/٢٠٠).

(٢) سورة يونس، الآية (١٠٤).

(٣) سورة يونس، الآية (١٠١).

(٤) التحرير والتنوير (١١/٣٠٠).

(٥) سورة يونس، الآية (١٠٨).

استئناف ابتدائي هو كذليل لما مضى في السورة كلها وحوصلة لما جرى من الاستدلال والمجادلة والتخويف والترغيب، ولذلك جاء ما في هذه الجملة كلاما جامعا وموادعة قاطعة^(١).

النداء الثاني عشر: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّكَ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

تقدم ذكر كلام الشوكاني في المناسبة في المبحث الثاني: المناسبة بين أول السورة المفتوحة بنداء الناس وآخر السورة السابقة عليها.

النداء الثالث عشر: قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْضِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾^(٣).

قال الرازي: اعلم أنه سبحانه لما حكى عنهم الجدال بغير العلم في إثبات الحشر والنشر ودمهم عليه فهو سبحانه أورد الدلالة على صحة ذلك من وجهين: أحدهما: الاستدلال بخلقة الحيوان أولا وهو موافق لما أجمله في قوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٤) وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٥) فكأنه سبحانه وتعالى قال: إن كنتم في ريب مما

(١) التحرير والتنوير (١١/٣٠٨).

(٢) سورة الحج، الآية (١).

(٣) سورة الحج، الآية (٥).

(٤) سورة يس، الآية (٧٩).

(٥) سورة الإسراء، الآية (٥١).

وعدناكم من البعث، فتذكروا في خلقكم الأولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أولاً قادر على خلقكم ثانياً^(١).

ويضيف الألوسي فيقول: إقامة للحجة التي تلقم المجادلين في البعث حجراً إثر الإشارة إلى ما يؤول إليه أمرهم^(٢).

النداء الرابع عشر: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾^(٣)

استئناف بعد المواعظ السالفة والإنذارات، وافتتاحه ب قل للاهتمام به، وافتتاح المقول بنداء الناس للفت ألباهم إلى الكلام^(٤).

النداء الخامس عشر: قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾^(٥).

اعلم أنه سبحانه لما بين من قبل أنهم يعبدون من دون الله مالا حجة لهم فيه ولا علم، ذكر في هذه الآية ما يدل على إبطال قولهم^(٦).

ويزيد البقاعي الأمر وضوحاً فيقول: ولما أخبر تعالى عن أنه لا حجة لعابد غيره، وهدد من عاند، أتبعه بأن الحجة قائمة على أن ذلك الغير في غاية الحقارة، ولا قدرة له على دفع ما هدد

(١) تفسير الرازي (٢٣/٢٠٣).

(٢) تفسير الألوسي (٩/١١١).

(٣) سورة الحج، الآية (٤٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٧/٢٩٣).

(٥) سورة الحج، الآية (٧٣).

(٦) تفسير الرازي (٢٣/٢٥١).

به عابده ولا على غيره، فكيف بالصلاحية لتلك الرتبة الشريفة، والخطة العالية المنيفة، فقال منادياً أهل العقل منبهاً تنبيهاً عاماً: (يا أيها الناس).^(١)

النداء السادس عشر: قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(٢).

قال البقاعي: ولما كان كل منهما عليهما السلام قد أوتي ما ذكر، أشار إلى فضل سليمان عليه السلام بأنه جمع إلى ما آتاه ما كان منح به أباه فقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾^(٣). ويقول ابن عاشور: طوى خبر ملك داود وبعض أحواله إلى وفاته لأن المقصود هو قصة سليمان عليه السلام^(٤).

النداء السابع عشر: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٥).

قال أبو حيان: ولما ذكر تعالى الدلائل على الوحداية والحشر من أول السورة، أمر بالتقوى على سبيل الموعظة والتذكير بهذا اليوم العظيم^(٦).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/٩٤ - ٩٥).

(٢) سورة النمل، الآية (١٦).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/١٣٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٩/٢٣٥).

(٥) سورة لقمان، الآية (٣٣).

(٦) البحر المحيط في التفسير (٨/٤٢٤).

ويقول ابن عاشور: وموقع هذه الآية بعد ما تقدمها من الآيات موقع مقصد الخطبة بعد مقدماتها إذ كانت المقدمات الماضية قد هيأت النفوس إلى قبول الهداية والتأثر بالموعظة الحسنة^(١).

النداء الثامن عشر: قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْفُتُوا فَمَا تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

قال الرازي: لما بين أن الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين نعمه على سبيل الإجمال فقال: اذكروا نعمت الله وهي مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الإيجاد، ونعمة الإبقاء^(٣).

وقال ابن عاشور: لما جرى ذكر رحمة الله التي تعم الناس كلهم أقبل على خطابهم بأن يتذكروا نعمة الله عليهم الخاصة وهي النعمة التي تخص كل واحد بخاصته فيأتلف منها مجموع الرحمة العامة للناس كلهم وما هي إلا بعض رحمة الله بمخلوقاته. والمقصود من تذكّر النعمة شكرها وقدرها قدرها^(٤).

النداء التاسع عشر: قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٥).

أعيد خطاب الناس إعدارا لهم وإنذارا بتحقيق أن وعد الله الذي وعده من عقابه المكذبين في يوم البعث هو وعد واقع لا يتخلف وذلك بعد أن قدم لهم التذكير بدلائل الوحدانية المشتملة

(١) التحرير والتنوير (١٩٢/٢١).

(٢) سورة فاطر، الآية (٣).

(٣) تفسير الرازي (٢٢٢/٢٦).

(٤) التحرير والتنوير (٢٥٣/٢٢-٢٥٤).

(٥) سورة فاطر، الآية (٥).

عليها، مع الدلالة على نعم الله عليهم ليعلموا أنه لا يستحق العبادة غيره وأنه لا يتصف بالإلهية الحق غيره. وبعد أن أشار إليهم بأن ما أنتجته تلك الدلائل هو ما أنبأهم به الرسول ﷺ فيعلمون صدقه فيما أنبأهم من توحيد الله وهو أكبر ما قرع آذانهم وأخرج شيء لنفوسهم، فإذا تأيد بالدليل البرهاني تمهد السبيل لتصديق الرسول ﷺ فيما أخبرهم به من وعد الله وهو يوم البعث لأنه لما تبين صدقه في الأولى يعلم صدقه في الثانية بحكم قياس المساواة^(١).

النداء العشرون: قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢).

لما أشبع المقام أدلة، ومواعظ، وتذكيرات، مما فيه مقنع لمن نصب نفسه منصب الانتفاع والافتتاع، ولم يظهر مع ذلك كله من أحوال القوم ما يتوسم منه نزعهم عن ضلالهم وربما أحدث ذلك في نفوس أهل العزة منهم إعجابا بأنفسهم واغترارا بأنهم مرغوب في انضمامهم إلى جماعة المسلمين فيزيدهم ذلك الغرور قبولا لتسويل مكائد الشيطان لهم أن يعتصموا بشركهم، ناسب أن ينبئهم الله بأنه غني عنهم وأن دينه لا يعتز بأمثالهم وأنه مصيرهم إلى الفناء وآت بناس يعتز بهم الإسلام^(٣).

النداء الواحد والعشرون: قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٤).

قال الرازي: تبيننا لما تقدم وتقريرا له، وذلك لأن السخرية من الغير والعيب إن كان بسبب التفاوت في الدين والإيمان، فهو جائز لما بينا أن قوله ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٥) وقوله ﴿وَلَا

(١) التحرير والتنوير (٢٢/٢٥٧-٢٥٨).

(٢) سورة فاطر، الآية (١٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢/٢٨٥).

(٤) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٥) سورة الحجرات، الآية (١٢).

وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿١﴾ منع من عيب المؤمن وغيبته، وإن لم يكن لذلك السبب فلا يجوز، لأن الناس بعمومهم كفارا كانوا أو مؤمنين يشتركون فيما يفتخر به المفتخر غير الإيمان والكفر، والافتخار إن كان بسبب الغنى، فالكافر قد يكون غنيا، والمؤمن فقيرا وبالعكس، وإن كان بسبب النسب، فالكافر قد يكون نسيبا، والمؤمن قد يكون عبدا أسود وبالعكس، فالناس فيما ليس من الدين والتقوى متساوون متقاربون، وشيء من ذلك لا يؤثر مع عدم التقوى، فإن كل من يتدين بدين يعرف أن من يوافقه في دينه أشرف ممن يخالفه فيه، وإن كان أرفع نسبا أو أكثر نشبا، فكيف من له الدين الحق وهو فيه راسخ، وكيف يرجح عليه من دونه فيه بسبب غيره^(٢).

وقال ابن عاشور: انتقال من واجبات المعاملات إلى ما يجب أن يراعيه المرء في نفسه، وأعيد النداء للاهتمام بهذا الغرض، إذ كان إعجاب كل قبيلة بفضائلها وتفضيل قومها على غيرهم فاشيا في الجاهلية^(٣).

(١) سورة الحجرات، الآية (١١).

(٢) تفسير الرازي (١١٢/٢٨).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥٨/٢٦).

الفصل الرابع

مقارنة بين نداءات الناس والنداءات الأخرى في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقارنة بين نداءات الناس ونداءات أهل الإيمان.

المبحث الثاني: مقارنة بين نداءات الناس ونداءات أهل الكتاب.

المبحث الثالث: مقارنة بين نداءات الناس ونداءات بني آدم.

المبحث الأول

مقارنة بين نداءات الناس ونداءات أهل الإيمان

المقارنة بين النداءات تتطلب دراسة كل النداءات الواردة في الباب، حتى تكون النتيجة كاملة، وهذا متعسر علي في هذه الرسالة، لأنه سيطيل البحث كثيرا، ويخرجني عن المطلوب وهي دراسة نداءات الناس في القرآن الكريم، ولذلك حرصت على تحديد عناصر المقارنة حتى تكون النتيجة إيجابية. فأذكر أولا بتعريف النداء وهدفه ثم نلج في المقارنات.

قال الزركشي: النداء وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص وإنما يصحب في الأكثر الأمر والنهي كقوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(١) ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾^(٢) ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾^(٣) ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾^(٤) ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٥) ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْنَدِرُوا لَكُمْ﴾^(٦) ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْنَدِرُوا﴾^(٧)

(١) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١).

(٣) سورة الزمر، الآية (١٦).

(٤) سورة هود، الآية (٥٢).

(٥) سورة الحجرات، الآية (١).

(٦) سورة التحريم، الآية (٧).

(٧) سورة التحريم، الآية (٧).

وربما تقدمت جملة الأمر جملة النداء كقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(١) وإذا جاءت جملة الخبر بعد النداء تتبعها جملة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مِثْلُ مَا سَمِعُوا لَهْذِهِ ﴾^(٢) وقد تجيء معه الجمل الاستفهامية والخبرية كقوله تعالى في الخبر: ﴿ يَعْجَادُونَ لَهَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ﴾^(٣) وفي الاستفهام: ﴿ يَتَأْتِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ سَمْعًا وَلَا يُبْصِرُ بَصِيرًا ﴾^(٤) وَيَقُولُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوِةِ ﴾^(٥) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(٦) يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾^(٧) ثم نقل قول الزمخشري: كل نداء في كتاب الله يعقبه فهم في الدين إما من ناحية الأوامر والنواهي التي عقدت بها سعادة الدارين وإما مواعظ وزواجر وقصص لهذا المعنى كل ذلك راجع إلى الدين الذي خلق الخلق لأجله وقامت السموات والأرض به فكان حق هذه أن تدرك بهذه الصيغة البليغة.^(٨)

أولاً: من ناحية العموم والخصوص:

النداء للناس عام يشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر والإنس والجن من المكلفين، فلا يخرج من العموم أحد، كما تقرر في مبحث (المخاطبون بنداء الناس).

(١) سورة النور، الآية (٣١).

(٢) سورة الحج، الآية (٧٣).

(٣) سورة الزخرف، الآية (٦٨).

(٤) سورة مريم، الآية (٤٢).

(٥) سورة غافر، الآية (٤١).

(٦) سورة الصف، الآية (٢).

(٧) سورة التحريم، الآية (١).

(٨) البرهان في علوم القرآن (٢ / ٣٢٣ - ٣٢٤).

قال السيوطي: الباقي على عمومته قال: القاضي جلال الدين البلقيني ومثاله عزيز إذ مامن عام إلا ويتخيل فيه التخصيص فقله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ قد يخص منه غير المتكلف^(١). قال شيخ الإسلام: (وكذلك في سائر الآيات إذا تأملته إلى قوله ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٢) فمن الذين خرجوا من هذا العموم الثاني فلم يخلقهم الله له؟^(٣).

أما النداء للمؤمنين: فهو نداء خاص بمن آمن بالله ربا وبمحمد ﷺ رسولا وبالإسلام ديننا.

قال شيخ الإسلام: فإن الله لم يقل قط للكفار: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٤).

وقال ابن عثيمين: عند قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: تصدير الحكم بالنداء دليل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب انتباه المنادى؛ ثم النداء بوصف الإيمان دليل على أن تنفيذ هذا الحكم من مقتضيات الإيمان؛ وعلى أن فواته نقص في الإيمان^(٥).

ويقول السعدي عند قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعْنِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٦).

هذا أمر للمؤمنين خاصة، بعد الأمر العام^(١)، وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها

(١) الإتيان في علوم القرآن (٤٩/٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٤٣/٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٣٠/٧).

(٥) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٣٣٧/١).

(٦) سورة البقرة، الآية (١٧٢ - ١٧٣).

بطاعته، والتقوى بها على ما يوصل إليه، فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾^(٢).

فالشكر في هذه الآية، هو العمل الصالح، وهنا لم يقل "حلالا" لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة، ولأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس له.

وقوله ﴿لِلَّهِ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: فاشكروه، فدل على أن من لم يشكر الله، لم يعبه وحده، كما أن من شكره، فقد عبده، وأتى بما أمر به، ويدل أيضا على أن أكل الطيب، سبب للعمل الصالح وقبوله، والأمر بالشكر، عقيب النعم؛ لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب النعم المفقودة كما أن الكفر، ينفر النعم المفقودة ويزيل النعم الموجودة^(٣).

ثانيا: غرض النداء ومرتبته:

مر معنا مراتب النداء وأغراضه، وأنها ست، فمن هذه الأنواع نداء التنبيه وتحتة يندرج نداء الناس.

قال أبو الليث السمرقندي: (ونداء التنبيه مثل قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾^(٤) ثم قال عند قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾^(٥).

فها هنا ذكر نداء التنبيه فقال ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أخبر بالنداء أنه يريد أن يأمر أمرا أو ينهى عن شيء ثم بين الأمر فقال ﴿أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ يعني وحدوا وأطيعوا ربكم ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ معناه

(١) قلت: يقصد بالأمر العام قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا وَمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ

لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ سورة البقرة، الآية (١٦٨).

(٢) سورة المؤمنون، الآية (٥١).

(٣) تفسير السعدي (ص ٨١).

(٤) بحر العلوم (٢٣/١).

(٥) سورة البقرة، الآية (٢١).

أطيعوا ربكم الذي هو خالقكم فخالقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ يعني وخلق الذين من قبلكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ المعصية وتنجون من العقوبة^(١).

ونداء المدح، وتحتة يندرج نداء الذين آمنوا.

قال أبو الليث السمرقندي: (فأما نداء المدح فمثل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ﴾^(٢)).

فقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فهذا نداء المدح، يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾. صدقوا بتوحيد الله تعالى وبمحمد^(٣).

فنداء الله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ نداء علامة، و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ نداء كرامة، وبكل واحد من القسمين يفتح الحق خطابه في السور وذلك لانقسام خطابه إلى صفة التحذير مرة، وصفة التبصير أخرى^(٤).

ثالثاً: المكي والمدني من النداءات:

قال السيوطي: (اعلم أن للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة:

أشهرها: أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا تثبت الوساطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني.

(١) المرجع السابق (٣٣/١).

(٢) بحر العلوم (٥٩/١).

(٣) بحر العلوم (٨٠/١).

(٤) لطائف الإشارات (٥٢٨/٢).

الثالث: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة^(١)

والمشهور الذي تنضبط به معرفة المكي من المدني هو القول الأول.

جعل العلماء ضابطا في معرفة المكي والمدني من خلال النداء.

فقال السيوطي: (ضوابط في المكي والمدني، أخرج الحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل والبخاري في مسنده من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: ما كان: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنزل بالمدينة وما كان ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فبمكة.

وأخرجه أبو عبيد في الفضائل عن علقمة مرسلا.

وأخرج عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أو: ﴿يَبْنِي آدَمَ﴾ فإنه مكي وما كان: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإنه مدني.

قال ابن عطية وابن الفرس^(٢) وغيرهما: هو في: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صحيح وأما: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فقد يأتي في المدني.

وقال ابن الحصار^(٣): قد اعتنى المتشغلون بالنسخ بهذا الحديث واعتمدوه على ضعفه وقد اتفق الناس على أن "النساء" مدنية وأولها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ وعلى أن "الحج" مكية وفيها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾.

(١) الإتيان في علوم القرآن (١/٣٧-٣٨) و البرهان في علوم القرآن (١/١٨٧).

(٢) أبو محمد ابن الفرس، واسمه: عبد المنعم ابن الإمام محمد بن عبد الرحيم الأنصاري، الخزرجي. الشيخ، الإمام، شيخ المالكية بغرناطة في زمانه له كتاب (أحكام القرآن) ت ٥٩٧ هـ سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢١/٣٦٤).

(٣) علي بن محمد بن محمد أبو الحسن الخزرجي الفاسي الفقيه ت ٦١١ هـ انظر: التكملة لوفيات الأعيان (٢/٣٠٩).

وقال غيره: هذا القول إن أخذ على إطلاقه فيه نظر فإن سورة البقرة مدنية وفيها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾. وسورة النساء مدنية وأولها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾.

وقال مكي^(١): هذا إنما هو في الأكثر وليس بعام وفي كثير من السور المكية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. وقال غيره: الأقرب حملة على أنه خطاب المقصود به - أو جل المقصود به - أهل مكة أو المدينة.

وقال القاضي: إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فمسلم وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفاتهم وباسمهم وجنسهم ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها. نقله الإمام فخر الدين في تفسيره.

وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كل شيء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما نزل بمكة وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة. وقال الجعبري: لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما والقياسي كل سورة فيها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فقط، أو (كلا) أو أولها حرف تهمج سوى الزهراوين والرعد أو فيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة فهي مكية. وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية). انتهى^(٢).

(١) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ أبو محمد، العلامة، المقرئ، كثير التأليف في علم القرآن فمنها الهداية إلى بلوغ النهاية ت ٤٣٧ هـ طبقات المفسرين للداودي (ص ١١٤)، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥٩١/١٧).

(٢) الإتيان في علوم القرآن (١/٦٦-٦٩).

قلت: هذا ضابط أعلي وليس بكلي، بدليل سورة النساء مدنية بالإجماع ومطلعها ب ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ فانخرم بهذا أن يكون الخطاب بهذين الوصفين ضابطا مطردا في معرفة المكّي والمدني. قال ابن عثيمين: وقد ذكر كثير من المؤلفين في أصول التفسير أن الغالب في السور المدنية أن يكون الخطاب فيها ب ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ؛ لأن الرسول ﷺ لما هاجر إلى المدينة صارت المدينة بلاد إسلام؛ وهي أول بلد إسلامي يحكمه المسلمون في هذه الرسالة؛ فصار التوجه إليها بالخطاب ب ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ؛ لكنها ليست قاعدة؛ ولكنها ضابط يخرج منه بعض المسائل؛ لأن من السور المدنية فيها ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ ، كسورة النساء، وسورة الحجرات^(١).

رابعا: المقارنة بين موضوع النداءات:

جاءت نداءات الناس مقسمة على ثلاثة موضوعات، يندرج الدين كله في هذا التقسيم.

أولها: نداءات عقديّة، وفيها من الموضوعات ما يلي:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الإلهية.

الثالث: إرسال الرسل عليهم السلام.

الرابع: الأمر باتباع الرسل عليهم السلام.

الخامس: الإيمان بالبعث.

ثانيها: نداءات تشريعية، وفيها من الموضوعات ما يلي:

الأول: الأمر بالتقوى.

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/٢٣٢-٢٣٣).

الثاني: النهي عن اتباع خطوات الشيطان.

الثالث: الأمر بالكسب الطيب.

الرابع: النهي عن البغي والظلم.

ثالثها: نداءات خلقية، وفيها من الموضوعات ما يلي:

الأول: التفاضل بين الناس.

الثاني: التحدث بنعمة الله تعالى.

الثالث: التحذير من الغرور.

الرابع: الخشية من أهوال يوم القيامة.

الخامس: استشعار الفقر والحاجة أمام الله تعالى.

السادس: مسؤولية الفرد عن أفعاله.

وهذه النداءات هي عنوان هذه الرسالة وصلبها وقد تحدثت عنها سلفا فلا حاجة للتكرار.

جاءت نداءات الإيمان ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مقسمة على ثلاثة موضوعات، يندرج الدين كله في هذا التقسيم.

أولها: نداءات عقديّة وفيها من الموضوعات ما يلي:

الأول: وجوب الأخذ بالإسلام كاملاً^(١).

(١) المصباح المنير (ص ١٥٣).

الثاني: تحذير المسلمين عن طاعة أهل الكتاب^(١).

الثالث: النهي عن اتخاذ غير المؤمنين بطانة^(٢).

الرابع: النهي عن طاعة الكفار^(٣).

الخامس: النهي عن مشابجة الكفار^(٤).

السادس: الأمر بطاعة الله ورسوله وبطاعة الأمير في المعروف^(٥).

السابع: الأمر بأخذ الحذر من العدو^(٦).

الثامن: السلام من علامات الإسلام^(٧).

التاسع: الأمر بالإيمان بعد الإيمان^(٨).

العاشر: النهي عن ولاء الكفار^(٩).

الحادي عشر: تحذير المؤمنين من الارتداد عن الدين^(١٠).

(١) المرجع السابق (ص ٢٣٥).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٤١).

(٣) المصباح المنير (ص ٢٥٠).

(٤) المرجع السابق (ص ٢٥٤).

(٥) المرجع السابق (ص ٣٠٣)، و (ص ٥٣١)، و (ص ٥٣٢).

(٦) المرجع السابق (ص ٣٠٧).

(٧) المرجع السابق (ص ٣١٦).

(٨) المرجع السابق (ص ٣٣١).

(٩) المرجع السابق (ص ٣٣٤)، و (ص ٣٨٤)، و (ص ٣٨٧)، و (ص ٥٥٩)، و (ص ١٣٩٠).

(١٠) المصباح المنير (ص ٣٨٧) بتصرف.

الثاني عشر: منع المشركين عن دخول المسجد الحرام^(١).

الثالث عشر: التحذير من علماء السوء وعباد الضلال^(٢).

الرابع عشر: النهي عن إيذاء الأنبياء^(٣).

الخامس عشر: النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله والأمر بتعظيمه والتأدب معه.

السادس عشر: التجارة المنجية من العذاب الأليم^(٤).

السابع عشر: الأمر بنصرة الدين^(٥).

ثانيها: نداءات تشريعية وفيها من الموضوعات ما يلي:

الأول: فضل الصبر والصلاة^(٦).

الثاني: الأمر بأكل الطيبات وبيان المحرمات^(٧).

الثالث: الأمر بالقصاص وبيان المصلحة فيه^(٨).

الرابع: الأمر بالصوم^(٩).

(١) المرجع السابق (ص ٥٦٢).

(٢) المصباح المنير (ص ٥٦٥).

(٣) المرجع السابق (ص ١١٠٧).

(٤) المرجع السابق (ص ١٣٩٩).

(٥) المرجع السابق (ص ١٤٠٠).

(٦) المرجع السابق (ص ١١٦).

(٧) المرجع السابق (ص ١٢٣)، و (ص ٣٩٦).

(٨) المرجع السابق (ص ١٢٨).

(٩) المرجع السابق (ص ١٣٠).

الخامس: الأمر بالإنفاق في سبيل الله والترغيب فيه^(١).

السادس: الأمر بالتقوى وتحريم الربا^(٢).

السابع: الأمر بكتابة المعاملات المؤجلة^(٣).

الثامن: الأمر بالمصابرة والمرابطة^(٤).

التاسع: النهي عن الإضرار بالنساء وأخذ إرثهن^(٥).

العاشر: النهي عن الكسب الحرام^(٦).

الحادي عشر: النهي عن اقتراب الصلاة في حال السكر والجنابة^(٧).

الثاني عشر: الأمر بالقيام بالعدل وبأداء الشهادة لله^(٨).

الثالث عشر: الأمر بإيفاء العقود وبيان ما يحل ويحرم من الحيوانات^(٩).

الرابع عشر: الأمر باحترام الحرم والشهر الحرام^(١٠).

(١) المرجع السابق (ص ١٨٣)، و (ص ١٩٢).

(٢) المصباح المنير (ص ١٩٨)، و (ص ٢٣٦)، و (ص ٢٤٥).

(٣) المرجع السابق (ص ١٩٩).

(٤) المرجع السابق (ص ٢٦٩).

(٥) المرجع السابق (ص ٢٨١).

(٦) المرجع السابق (ص ٢٨٧).

(٧) المرجع السابق (ص ٢٩٦).

(٨) المرجع السابق (ص ٣٣٠).

(٩) المرجع السابق (ص ٣٤٩).

(١٠) المرجع السابق (ص ٣٤٩).

- الخامس عشر: الأمر بالوضوء^(١).
- السادس عشر: الأمر بالتزام العدل^(٢).
- السابع عشر: الأمر بالتقوى والجهاد^(٣).
- الثامن عشر: تحريم الخمر والميسر^(٤).
- التاسع عشر: تحريم الصيد في الحرم والإحرام^(٥).
- العشرون: الأمر بالإشهاد على الوصية^(٦).
- الحادي والعشرون: الأمر بالعبادة^(٧).
- الثاني والعشرون: التحذير من خطوات الشيطان^(٨).
- الثالث والعشرون: الأمر بذكر الله والإكثار منه^(٩).
- الرابع والعشرون: أحكام الطلاق^(١٠).

(١) المصباح المنير (ص ٣٥٨).

(٢) المرجع السابق (ص ٣٦٢).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٧٥)، و (ص ٥٩٩).

(٤) المرجع السابق (ص ٣٩٧).

(٥) المرجع السابق (ص ٤٠٠).

(٦) المرجع السابق (ص ٤٠٧).

(٧) المرجع السابق (ص ٩٠٧).

(٨) المرجع السابق (ص ٩٣٣).

(٩) المرجع السابق (ص ١٠٩٥)، و (ص ١٤٠٥).

(١٠) المصباح المنير (ص ١٠٩٧).

الخامس والعشرون: الأمر بالصلاة على النبي ﷺ^(١).

ثالثها: نداءات خلقية وفيها من الموضوعات ما يلي:

الأول: الأدب في اختيار الكلمات.^(٢)

الثاني: التحدث بنعمة الله.

الثالث: ذم السؤال بدون فائدة^(٣).

الرابع: الأمر بإصلاح النفس^(٤).

الخامس: الأمر بقول الصدق^(٥).

السادس: الاستئذان وآداب الدخول في البيوت^(٦).

السابع: الأمر بالثبوت إن جاء فاسق نبياً^(٧).

الثامن: النهي عن السخرية والاحتقار^(٨).

التاسع: النهي عن الظن^(٩).

(١) المرجع السابق (ص ١١٠٣).

(٢) المرجع السابق (ص ٨٦).

(٣) المرجع السابق (ص ٤٠٤).

(٤) المرجع السابق (ص ٤٠٧).

(٥) المرجع السابق (ص ٥٩٧).

(٦) المرجع السابق (ص ٩٣٥)، و (ص ٩٥٣)، و (ص ١١٠٠).

(٧) المرجع السابق (ص ١٣٠٠).

(٨) المصباح المنير (ص ١٣٠٣).

(٩) المرجع السابق (ص ١٣٠٣).

العاشر: آداب النجوى^(١).

الحادي عشر: آداب المجلس^(٢).

الثاني عشر: ذم من يقول قولاً يفعله^(٣).

الثالث عشر: الحث على عدم الاشتغال بأسباب الدنيا^(٤).

الرابع عشر: التحذير من فتنة الأزواج و الأولاد^(٥).

الخامس عشر: تعليم أهل الأدب والدين^(٦).

السادس عشر: الحث على التوبة النصوح^(٧).

ومن خلال النظر في الموضوعات نرى أن نداءات الناس ركزت على الدعوة إلى الأصول والعقيدة والأخلاق أكثر من جانب التشريع بعكس نداءات أهل الإيمان.

قال ابن عاشور: فالمقصود بالنداء من قوله: يا أيها الناس الإقبال على موعظة نبذ الشرك وذلك هو غالب اصطلاح القرآن في الخطاب بيا أيها الناس^(٨).

وقال شيخ الإسلام: ولهذا كان الخطاب في السور المكية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ لعموم الدعوة إلى الأصول؛ إذ لا يدعى إلى الفرع من لا يقر بالأصل فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وعز بها

(١) المرجع السابق (ص ١٣٧٦).

(٢) المرجع السابق (ص ١٣٧٦).

(٣) المرجع السابق (ص ١٣٩٧).

(٤) المرجع السابق (ص ١٤٠٩).

(٥) المرجع السابق (ص ١٤١١).

(٦) المرجع السابق (ص ١٤٢٢).

(٧) المرجع السابق (ص ١٤٢٢).

(٨) التحرير والتنوير (١/٣٢٤).

أهل الإيمان وكان بها أهل الكتاب خوطب هؤلاء وهؤلاء؛ فهؤلاء: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وهؤلاء ﴿يَتَأْهَلُ الْكِنْدِبِ﴾ أو ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ولم ينزل بمكة شيء من هذا؛ ولكن في السور المدنية خطاب: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ كما في سورة النساء وسورة الحج وهما مدينتان وكذا في البقرة. وهذا يعكس على قول الخبر ابن عباس؛ لأن الحكم المذكور يشمل جنس الناس والدعوة بالاسم الخاص لا تنافي الدعوة بالاسم العام، فالمؤمنون داخلون في الخطاب بـ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ وفي الخطاب بـ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فالدعوة إلى الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به والنهي عن كل ما نهى الله عنه وهذا هو الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر. والرسول ﷺ قام بهذه الدعوة فإنه أمر الخلق بكل ما أمر الله به ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه؛ أمر بكل معروف ونهى عن كل منكر.^(١)

ولما انتقل النبي ﷺ إلى المدينة كان التنظيم الكامل للمعاملات؛ لأنه وجدت دولة إسلامية فاضلة، تنظم العلاقات بين الناس، وتقوم على تنفيذها، والقضاء بها، فنظم التعامل، وابتدأ بأعلى أنواع التعاون بين الناس وهو الإخاء الذي آخى فيه النبي ﷺ - بين المهاجرين والأنصار، والأنصار بعضهم مع بعض، والمهاجرين بعضهم مع بعض، وشرعت النظم الاجتماعية، والمعاملات الإنسانية؛ من أحكام للبيوع والمزارعات، وتحريم للربويات وغيرها. وفرضية الصدقات وتنظيمها، وإعطاء الفقير حقه، والتنظيم الاجتماعي الكامل، وشرعت الزواجر الاجتماعية من حدود وقصاص، وسُنَّتْ الأحكام الفاصلة بين الحقوق، وفتح باب الجهاد، ووضعت نظم الحرب، وقامت العلاقات الدولية على أسس متينة محكمة، يراعى فيها حق العدو، كما يلاحظ حق الولي على سواء؛ لأن المبادئ المدنية في الإسلام قامت على

(١) مجموع الفتاوى (١٦٠/١٥-١٦١).

إعطاء كل ذي حق حقه من غير بخل ولا شطط، ولا مجاوزة للحد ولا غاكتاء^(١). وكل هذا أكثره كان لأهل الإيمان لأنه متعلق بمن آمن بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ. وهكذا نرى أن النداءات للناس والذين آمنوا شملت جميع أبواب الدين في العقيدة والتشريع والأخلاق.

(١) المعجزة الكبرى القرآن (ص ٢٠).

المبحث الثاني

مقارنة بين نداءات الناس ونداءات أهل الكتاب

أولاً: من ناحية العموم والخصوص:

النداء للناس عام يشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر والإنس والجن من المكلفين، فلا يخرج من العموم أحد، كما تقرر في مبحث (المخاطبون بنداء الناس).

أما عن أهل الكتاب: فهم اليهود والنصارى^(١). سمو أهل الكتاب؛ لأن الله أنزل عليهم كتابين على بني إسرائيل؛ الأول على موسى وهو التوراة، والثاني على عيسى وهو الإنجيل، فلهذا يقال لهم: أهل الكتاب، ويقال لهم: أهل الكتابين.

وهذا المبحث معروف عند المتكلمين وعلماء التفسير، واتفقوا على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وأن المشركين هم عبدة الأوثان، والكفر يجمع القسمين^(٢).

وعلى هذا فنداء الناس عام ونداء أهل الكتاب خاص، وله أحكام خاصة في ديننا.

قال السيوطي: اختلف في الخطاب ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ﴾ هل يشمل المؤمنين فالأصح لا لأن اللفظ قاصر على من ذكر وقيل إن شركوهم في المعنى شملهم وإلا فلا، واختلف في الخطاب ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هل يشمل أهل الكتاب؟ فقيل: لا بناء على أنهم غير مخاطبين

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد (ص ٥٤).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٩/٩)، وقد بسط القول في المسألة عند هذا الموضع.

بالفروع، وقيل: نعم. واختاره ابن السمعاني قال: وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ خطاب تشریف لا تخصيص^(١).

أما عن الحكمة من إبقاء أهل الكتاب بين أظهرنا؟ فيجيب عن ذلك ابن القيم في أحكام الذمة قائلاً: (قالوا: والله تعالى حكم في إبقاء أهل الكتابين بين أظهرنا فإنهم مع كفرهم شاهدون بأصل النبوات والتوحيد واليوم الآخر والجنة والنار، وفي كتبهم من البشارات بالنبى ﷺ وذكر نعوته وصفاته وصفات أمته ما هو من آيات نبوته وبراهين رسالته، وما يشهد بصدق الأول والآخر. وهذه الحكمة تختص بأهل الكتاب دون عبدة الأوثان فبقاؤهم من أقوى الحجج على منكر النبوات والمعاد والتوحيد.

وقد قال تعالى لمنكري ذلك: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ذكر هذا عقب قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، يعني: سلوا أهل الكتاب هل أرسلنا قبل محمد رجالا يوحى إليهم أم كان محمد بدعا من الرسل لم يتقدمه رسول حتى يكون إرساله أمرا منكرا لم يطرق العالم رسول قبله؟

فشهادة أهل الكتاب بهذا حجة عليهم وهي من أعلام صحة رسالته ﷺ إذ كان قد جاء على ما جاء به إخوانه الذين تقدموه من رسل الله سبحانه، ولم يكن بدعا من الرسل ولا جاء بصد ما جاءوا به، بل أخبر بمثل ما أخبروا به من غير شاهد ولا اقتران في الزمان وهذه من أعظم آيات صدقه. وقال تعالى: ﴿وَسَّأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ

(١) الإتيان في علوم القرآن (٣/٥٨).

(٢) سورة النحل، الآية (٤٣).

الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿١﴾، والمراد بسؤالهم سؤال أمهم عما جاءوهم به هل فيه أن الله شرع لهم أن يعبد من دونه إله غيره؟
ثانيا: غرض النداء ومرتبته:

قال أبو الليث السمرقندي: (ونداء التنبيه مثل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾^(٢)).

وأما النداء لأهل الكتاب فهو نداء إضافة وقد مر الحديث عنه في مراتب النداء.

ثالثا: المكّي والمدني من النداءات:

مر الحديث عن نداءات الناس في المبحث السابق، وبقي الحديث عن نداءات أهل الكتاب.

ورد ذكر ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ ٦ مرات في آل عمران وهي الآيات ٦٤-٦٥-٧٠-٧١-
٨٩-٩٩، و سورة آل عمران (مدنية وآياتها مائتان أو إلا آية نزلت بعد الأنفال)^(٣).

قال شيخ الإسلام: إن سورة آل عمران كلها مدنية، وكذلك البقرة والنساء والمائدة^(٤).

وقال أيضا: ذكر سبحانه قصة مريم والمسيح... ثم ذكرها في سورة آل عمران وهي من السور المدينة التي يخاطب فيها من اتبع الأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين لما قدم عليه نصارى نجران فكان فيها الخطاب لأهل الكتاب^(٥).

(١) سورة الزخرف، الآية (٤٥)

(٢) بحر العلوم (٢٣/١).

(٣) تفسير الجلالين (ص ٦٤)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (١٤١/٢)، والسراج المنير (١٩٣/١)، وزاد عليهم قوله (اتفاقا).

(٤) منهاج السنة النبوية (٤٢٢/٦).

(٥) دقائق التفسير (٣٠٧/١-٣٠٨)، و إمتاع ذوي العرفان (ص ٥١ - ٥٢).

وواحدة في النساء وهي الآية ٧١، وهي مدنية اتفاقاً^(١).

قال شيخ الإسلام: السورة مدنية بالاتفاق^(٢).

وقال أيضاً: ناقلاً قول عائشة رضي الله عنها: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً ولو نزل لا تنزونا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية لعب: ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ﴾^(٣) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده^(٤).^(٥)

وخمسة في المائدة وهي الآيات ١٥-١٩-٥٩-٦٨-٧٧ أي ١٢ مرة في القرآن، وسورة المائدة مدنية اتفاقاً^(٦).

قال شيخ الإسلام: وسورة المائدة مدنية بالإجماع^(٧).

وعليه فكل سورة فيها نداء أهل الكتاب فهي مدنية، وهذه السور هي: آل عمران والنساء والمائدة.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٨٠/٢) و تفسير الثعالبي (١٥٩/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٢٧/١٤).

(٣) سورة القمر، الآية (٤٦).

(٤) أخرجه البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب تأليف القرآن رقم (٤٩٩٣).

(٥) مجموع الفتاوى (١٤٢/٢٨).

(٦) تفسير الزمخشري (٦٠٠/١)، وتفسير الرازي (٢٧٦/١١)، والتحرير والتنوير (٦٩/٦).

(٧) مجموع الفتاوى (٢١٦/٣٥).

قال شيخ الإسلام: ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وعز بها أهل الإيمان وكان بها أهل الكتاب خوطب هؤلاء وهؤلاء؛ فهؤلاء: (يا أيها الذين آمنوا) وهؤلاء (يا أهل الكتاب) أو (يا بني إسرائيل) ولم ينزل بمكة شيء من هذا^(١).

رابعاً: المقارنة بين موضوع النداءات:

جاءت نداءات الناس مقسمة على ثلاثة موضوعات، يندرج الدين كله في هذا التقسيم، وقد مر معنا فلا حاجة للتكرار.

وأما نداءات أهل الكتاب: فقد جاءت على قسمين فقط وهما:

نداءات عقديّة:

الأول: مسألة التوحيد معروفة عند الجميع^(٢).

الثاني: محاجة اليهود والنصارى في دين إبراهيم الخليل عليه السلام^(٣).

الثالث: تعنيف أهل الكتاب على كفرهم وصدّهم عن سبيل الله^(٤).

الرابع: نهي أهل الكتاب عن الغلو في الدين وإطراء عيسى ابن مريم^(٥).

الخامس: بيان الحق بالرسول والقرآن^(٦).

(١) مجموع الفتاوى (١٦٠/١٥).

(٢) المصباح المنير (ص ٢٢٤).

(٣) المرجع السابق (ص ٢٢٤).

(٤) المرجع السابق (ص ٢٣٥).

(٥) المرجع السابق (ص ٣٤٤)، و (ص ٣٩٣).

(٦) المصباح المنير (ص ٣٦٤).

السادس: بيان إرسال الرسول ﷺ وأنه خاتم الرسل^(١).

السابع: نقم أهل الكتاب من المؤمنين لأجل الإيمان بالله^(٢).

الثامن: لا نجاة إلا بالإيمان بالقرآن^(٣).

نداءات خلقية:

الأول: معرفة أهل الكتاب لآيات الله ولالحق وكنمان ما في كتبهم من صفة محمد ﷺ^(٤).

وهذه النداءات ركزت على جانب العقيدة والإيمان بالله والدعوة إلى الإسلام.

ومن ضوابط المدني ومميزاته الموضوعية: مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنّهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم^(٥).

(١) المرجع السابق (ص ٣٦٦) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (ص ٣٨٧).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٩٢).

(٤) المرجع السابق (ص ٢٢٦).

(٥) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص ٦٤).

المبحث الثالث

مقارنة بين نداءات الناس ونداءات بني آدم

أولاً: من ناحية العموم والخصوص:

النداء للناس عام يشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر والإنس والجن من المكلفين، فلا يخرج من العموم أحد، كما تقرر في مبحث (المخاطبون بنداء الناس).

أما نداء بني آدم فهو وإن كان عاماً في بابته إلا أنه خاص ببني الإنسان، ولأن الجن لا يدخلون في خطاب بني آدم.

قال الشوكاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوْا زِيْنَئِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾^(١).

هذا خطاب لجميع بني آدم وإن كان وارداً على سبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(٢).

ثانياً: غرض النداء ومرتبته:

مر معنا بأن نداء الناس نداء تنبيه، وأما نداء بني آدم نداء نسبة.

(١) سورة الأعراف، الآية (٣١).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/٢٢٨).

قال أبو الليث السمرقندي: نداء النسبة مثل قوله: يا بني آدم^(١). وفيه نسبة الأبناء إلى الأب والفرع إلى الأصل فنسب الأبناء إلى أبيهم آدم عليه السلام. وبدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾^(٢).

ثالثا: المكي والمدني من النداءات:

ورد النداء ب(يا بني آدم) في القرآن خمس مرات في سورة الأعراف وهي الآية، ٢٦-٢٧-٣١-٣٥ وفي سورة يس مرة ٦٠.

وأخرج عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن: (يا أيها الناس) أو: (يا بني آدم) فإنه مكي^(٣). وقد حققنا القول في نداء الناس، وأما نداء بني آدم: ففي سورة الأعراف فهي مكية^(٤).

قال الفيروز آبادي: هذه السورة نزلت بمكة إجماعاً^(٥).

وسورة يس فهي مكية^(٦).

(١) بحر العلوم (٣٣/١).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٧٢ - ١٧٣).

(٣) الإتيان في علوم القرآن (٦٨/١).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢٧/٢)، و تفسير الطبري (٥٢/١٠)، و بحر العلوم (٥٠٢/١).

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢٠٣/١).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٦٥/٣) و تفسير يحيى ابن سلام (٧٩٩/٢)، و تفسير الطبري (٨٩٨/١٩)،

ومعاني القرآن للزجاج (٢٧٧/٤).

قال الفيروز آبادي: السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ^(١).

نداءات بني آدم:

نداءات عقديّة:

الأول: إرسال الرسل لبني آدم^(٢).

الثاني: النهي عن طاعة الشيطان^(٣).

نداءات خلقية:

الأول: إنزال اللباس والزينة^(٤).

الثاني: التحذير من فتنة الشيطان^(٥).

الثالث: الأمر بالتجمل عند الذهاب إلى المساجد والنهي عن الإسراف^(٦).

والملاحظ في نداءات بني آدم أنّها ركزت على جانب العقيدة والأخلاق، وكما أنّها حذرت في كل موضع من العدو الأول لبني آدم وهو الشيطان الرجيم وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على تربص الشيطان ببني آدم ومن رحمة الله تعالى بهذا الإنسان الضعيف حذره من هذا العدو الذي يريد له الضلال والهوان.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/٣٩٠).

(٢) المصباح المنير (ص ٤٧٥).

(٣) المصباح المنير (ص ١١٤٥).

(٤) المصباح المنير (ص ٤٧١).

(٥) المصباح المنير (ص ٤٧٢).

(٦) المصباح المنير (ص ٤٧٣ و ٤٧٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافيء مزيده، لك الحمد ربنا على ما أنعمت وتنعم، وأصلي على خير خلقك وأسلم، وبعد:

فإني أحمد الله الذي لا يستحق الحمد سواه بأن جعلنا من أهل هذا القرآن وشرفنا بالانتساب إليه وأسأله سبحانه كما اختصنا بهذا الفضل العظيم في الدنيا أن يجعلنا من أهل جنته ودار مقامته وأن نكون ممن نودوا بأن اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها.

ما أعظم العيش في رحاب هذا القرآن فتلك نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه حيث إن القرآن عهد الله إلى خلقه ورسالته إليهم.

وقد عشت في رحاب تلك الرسائل التي تمثلت في موضوع بحثي وهو (نداءات الناس في القرآن الكريم دراسة موضوعية).

وهي بحق تمثل منهجا كاملا للبشر يهديهم إلى صراط مستقيم ويأخذ بأيديهم إلى سعادة الدنيا والآخرة حيث إن تلك النداءات تنوعت فاستوعبت كل جوانب الإسلام العقديّة والتشريعية والخلقية.

والحق أن التفسير الموضوعي له ثمراته العظيمة التي تسهم إسهاما كبيرا في هداية الخلق إلى الحق وهو يساعدنا على تصور الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية من ناحية والوحدة الموضوعية للموضوع الذي يعرض له القرآن بصورة كاملة من ناحية أخرى.

ومن ثم فإني أرى لهذا اللون من التفسير أهمية كبيرة خاصة في هذا العصر الذي تشابكت فيه الأمور، وتداعت المذاهب الهدامة من كل حذب وصوب على هذا الدين، الأمر الذي يحتاج منا جهودا متتابة للذود عن حياضه وتبصير الغافلين من أبنائه حتى يعودوا إلى هديه وينهلوا من نبعه الذي لا ينضب، ونقوم بواجبنا في دعوة غير المسلمين إلى هذا الدين الحق.

والرجوع إلى هدايات النداءات الإلهية لعموم البشر يكفل لها السعادة التامة، وصدق ربنا حيث قال: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾^(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾^(٢).

ومن خلال عرض هذا الموضوع الذي يمثل جانبا عظيما في القرآن الكريم فقد تقرر لدي أمر وهو أن القرآن الكريم لا يزال غضا طريا يحتاج منا دراسات ودراسات ولعل تلك الدراسات تكون عوننا لنا على السير الجاد وبخطى واثقة على طريق الهدى والخير إني لأرجو والله المستعان. هذا وإني لا أدعي الكمال والعصمة فيما قمت به غير أنني توخيت الصواب وصدق النية وما كان من توفيق فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وما كان من تقصير فمن نفسي وأسأل الله العفو عن الزلات والهفوات في الدنيا والآخرة.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة الإسراء، الآية (٩).

(٢) سورة طه، الآية (١٢٣ - ١٢٤).

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الأعلام.
- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة الفاتحة		
١٧٩	٢	﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾
٩٤	٤	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾
سورة البقرة		
٩٥	١٢٢	﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
١٥٧	١٣	﴿ كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ ﴾
١٥٧	١٤٣	﴿ لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾
١٥٨	١٥٠	﴿ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾
١٥٧	١٦١	﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾
٣٥٩	١٦١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٥٩	١٦٣	﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾
١٩٧	١٦٤	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٤)
٣٥٩	١٦٤	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٣٥٩	١٦٤	﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾
٣٥٩	١٦٥	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾
٢٧٩	١٦٨	﴿ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾
٢٨٧	١٦٨	﴿ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٥٩	١٦٨	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾
٢٧٦	-١٦٨ ١٦٩	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾
٢٧٩	-١٦٨ ١٦٩	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾
١٤	١٧١	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾
٢٦	١٧٢	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾
٢٧	١٧٢	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٨٥	١٧٢	﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾
٢٨٦	١٧٢	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾
٣٥٩	١٧٢	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾
٢٨٩	-١٧٢ ١٧٣	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٣٨٤	-١٧٢ ١٧٣	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٢٩٢	١٧٣	﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٦٨	١٧٩	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
١٩٦	١٨٣	﴿ كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾
٢٥٧	١٨٩	﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
١٥٩	١٩٩	﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾
٣٢٢	٢٠١	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾
١٦	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾
١٩	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾
٢٣	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
٧٥	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
١٣٧	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
١٤٦	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
١٤٦	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
١٥٣	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
١٥٨	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾
١٧٤	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾
١٩١	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
٣٥٨	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
٣٧٠	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
٣٨٢	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
٣٨٤	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ قَبْلِكُمْ ﴾
٣٨٥	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾
٢٤٢	٢٢-٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
١٤٨	٢١٣	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾
١٥٩	٢٢	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾
١٧٩	٢٢	﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾
١٨١	٢٢	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾
١٩٤	٢٢	﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٠١	٢٢	﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
٣٥٨	٢٢	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
١٩١	٢٣	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾
٣٤٧	٢٥	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾
٣١٤	٢٥٨	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾
٢٣٧	٢٥٩	﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾
٢٨٨	٢٦٧	﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾
٢٥٩	٢٦٨	﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾
٢٨٩	٢٧٥	﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾
٢٦٠	٢٨	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		فَأَخِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴿١﴾
٣٠٦	٢٨١	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾
٢٢١	٢٨٥	﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كُفُوبَهُمْ ۗ وَكَذَّبُوا بِرُسُلِهِ ۗ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ۗ﴾
٢٦٨	٢٩	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾
٢٨	٣٢	﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
٢٧	٣٣	﴿قَالَ يَتَدَأْمُ أَنْبِئْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۗ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾
٢٨	٣٥	﴿وَقُلْنَا يَتَدَأْمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
٢١١	٣٨	﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾
٢١١	٣٨	﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٩٤، ٩٣	٤٠	﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴾
٩٤	٤٧	﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
٢١٢	٥٩	﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾
٣١	٦١	﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾
١٨٥	٧٥-٨٢	﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَامُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُحْيِيهِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾
١٧١	٨٥	﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾
سورة آل عمران		
٦٧	١٠٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٠٦	١٠٢	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾
٣٢٣	١١٧	﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾
٣٠٦	١٣١	﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾
٢٠٢	١٤٤	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾
٣٢٢	١٤٨	﴿فَعَالَمُهُمُ اللَّهُ ثَوَابِ الدُّنْيَا وَحُسْنِ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
٢٢٤	١٦٩	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾
١٥٨	١٧٣	﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾
١٥٩	١٧٣	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾
٢٢٣	١٨	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
٨٢	١٨٧	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴿
١٧٢	١٩١	﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾
٣٢٢	١٩٦	﴿ لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴾
٢٢٨	٢٠	﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾
٢٢٢	٣١	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
٢٢٢	٣٢	﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾
١٥٨	٤-٣	﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ ﴾
١١٨	٤٢	﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾
٨٦	٤٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٢	٥٥	﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾
٨٢	٦٤	﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾
٨٣	٦٥	﴿ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
٨٣	٧٠	﴿ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ شَٰهِدُونَ ﴾
١٤٠	٧٠	﴿ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ شَٰهِدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾
٨٤	٧١	﴿ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٧٩	٨٠	﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا ﴾
٨٤	٩٨	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾
١٤٠	٩٨	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾
٨٥	٩٩	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّا ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
سورة النساء		
٢٥٧	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾
٢٥٧	١	﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾
٢٥٨	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾
٣٠٦	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٥٠	١	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾
٣٥٤	١	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾
٣٥٥	١	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾
٣٧١	١	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾
٣٦٠	٢-١	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَأْتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ ۗ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾
٣٥٠	١٣١	﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۗ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٧٢	١٣٣	﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾
٣٧١	١٣٣	﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾
٣٦٠	-١٣٣ ١٣٤	﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾
٣٢٣	١٣٤	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿١٣٤﴾﴾
٢٢٠	-١٥٠ ١٥١	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾
٤٤	-١٥٦	﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
	٢٥٩	<p>وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾</p> <p>وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكُتُبِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٧﴾</p>
٢٠٨	١٦٣	<p>﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالذِّكْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾</p>
٢١٠	١٦٥	<p>﴿ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾</p>
٢١٢	١٧٠	<p>﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾</p>
٣٧١	١٧٠	<p>﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾</p>

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾
٣٦١	١٧٠- ١٧١	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾
٨٦	١٧١	﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿١٧١﴾﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾
٢١٦	١٧٤	﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾
٣٧٢	١٧٤	﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾
٣٦١	-١٧٤ ١٧٥	﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾
٣٥٥	١٧٦	﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
٣٣٦	٢٨	﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾
٢٨٥	٣	﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾
٢٠١	٣٦	﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾
٢٨٥	٤	﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ ﴾
٨٥	٤٧	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		لَمَّا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَيْ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ^٤ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿
١٠٧	٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾
١٥٧	٥٤	﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾
٢٧٩	٦٠	﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾
٢٢١	٦٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾
٢٢٣	٦٩	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ^٥ وَحَسَنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾
٣٢٣	٩٤	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ﴾
سورة المائدة		
٦٨	١٠٠	﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		الْحَيْثُ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٤﴾
٤٤	١١٠	﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ ﴿٤٥﴾
١١٤	١١٢	﴿١١٢﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾
٤٥	١١٦	﴿٤٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴿٤٥﴾
١٥٨	١١٦	﴿١١٦﴾ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿١١٦﴾
٨٨	١٥	﴿١٥﴾ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾
٨٩	١٩	﴿١٩﴾ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		فَرَقَ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٥﴾
٣٢٢	٢	﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾
١٠٥	٢٠	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَأَتَانَكُمْ مَالًا ثُمَّ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾
١١٣	٢٢	﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾
٣٠٣	٢٧	﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾
٤٦	٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
٢٣٧	٣١	﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾
٤٥	٤١	﴿يَتَأْتِيهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٥	٤٣	﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾
٣٥	٤٩	﴿ وَإِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرَهُمْ أُنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾
٢٨٥	٥	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾
١٥	٥٨	﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾
٩٠	٥٩	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِفُونَ ﴾
٤٦	٦٧	﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾
٤٦	٦٧	﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾
١٣٢	٦٧	﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ ﴾
٢٠٢	٦٧	﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾
٩١	٦٨	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغِينًا

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
٩٥	٧٢	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ ۗ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾
١٠٧	٧٢	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ ۗ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾
٢٠١	٧٢	﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾
٩١	٧٧	﴿قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾
٢٨٥	٨٧	﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾
٢٧٩	٩١	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١٠٤﴾
سورة الأنعام		
٣٤١	١٠٤	﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾
١٥٢	١١٢	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴿١١٢﴾﴾
٢٨٩	١٤٥	﴿فَإِنَّهُ رَجِسٌ ﴿١٤٥﴾﴾
١٩٣	١٦٤	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا ﴿١٦٤﴾﴾
١٩٢	١٩	﴿أَيُنكِّمُ لَتَشْهَدُونَ آتٍ مَعَ اللَّهِ ۗ إِلَهَةً أُخْرَىٰ ۗ قُلْ لَا أَشْهَدُ ﴿١٩﴾﴾
٢٢٨	١٩	﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ ۖ وَمَنْ بَلَغَ ﴿١٩﴾﴾
١٦٧	٣١	﴿قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴿٣١﴾﴾
٤٠	٣٤	﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ ۖ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا ۖ وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا ۚ وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ ﴿٣٤﴾﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾
٢٣٦	٣٦	﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾
١٩٣	٤٦	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾
٢٠٣	٤٨	﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾
٢١٦	٤٨	﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
٢١١	٤٨-٤٩	﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾
٤٣	٦٠	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾
٢٣٧	٦٠	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾
٢٠٣	٦١	﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٣٧	٦٥	﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾
١٠٣	٧٨	﴿ فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾
٢٩٤	٨٢	﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾
سورة الأعراف		
١٠٠	١٢	﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾
٢٢٧	١٥٨	﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾
٢٣٠	١٥٨	﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ﴾
٣٧٢	١٥٨	﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		هُوَ يَحْيَىٰ وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿
٣٦٢	١٥٨- ١٥٩	﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيَىٰ وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿
٢٧٧	١٦-١٧	﴿ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتَّبِعَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿
٤٠٦	١٧٢- ١٧٣	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		بَعْدِهِمْ أَفْنُهُ لَكُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٢٧﴾
١٢٧	٢١	﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾
٢٧٧	٢٢	﴿فَدَلَّيْنَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾
٢٣٨	٢٤	﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾
٢٣٨	٢٥	﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾
٧٥	٢٦	﴿يَبْنَیٰٓءَآدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَیْكُمْ لِيَاسًا یُّورِی سَوْءَاتِكُمْ وَرِیْشًا وَلِبَاسَ الثَّقَوٰی ذَٰلِكَ خَیْرٌ ذَٰلِكَ مِنۢ بَآئَاتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ یَذَّكَّرُونَ﴾
٧٧	٢٧	﴿يَبْنَیٰٓءَآدَمَ لَا یَفْنِنَنَّکُمْ الشَّیْطَانُ کَمَا أَخْرَجَ أَبَوَیْکُم مِّنَ الْجَنَّةِ یَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِیُرِیَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ یَرِیْکُمْ هُوَ وَقَبِیْلُهُ مِنْ حَیْثُ لَا تُرَوْنَ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّیْطٰنَ اَوْلِیَآءَ لِلَّذِیْنَ لَا یُؤْمِنُوْنَ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٧٧	٣١	﴿ يَبْنِيْٓ ءَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَأَشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴾
٤٠٥	٣١	﴿ يَبْنِيْٓ ءَادَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَأَشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴾
٢٨٥	٣٢	﴿ وَالطَّيِّبَتِ مِنَ الرَّزْقِ ﴾
٢٩٢	٣٣	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾
٧٩	٣٥	﴿ يَبْنِيْٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّوْنَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِيْ فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴾
٣٥	٤٤	﴿ قَالَ يَمْوَسِيٰٓ إِلَىٰٓ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِيْ فَاخْذُ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ ﴾
٢٩٣	٤٥	﴿ وَبِعُوْنَهَا عَوْجًا ﴾
٢٢٤	٥٦	﴿ وَلَا تُفْسِدُوْا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾
٢٤٤	٥٧	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذٰلِكَ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ تُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
١٠٤	٥٩	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ أَتَعْبُدُونَ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾
١٠٨	٦٥	﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾
سورة الأنفال		
١١٣	٣٢	﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾
٢٥١	٤٢	﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾
٢٣٣	٤٢	﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾
٤٨	٦٢	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٧	٦٤	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٤٨	٦٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾
سورة التوبة		
٢٠٢	١٢٨	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾
٢٣٧	٤٦	﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ﴾
٢٩١	٤٧	﴿ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾
٢٩١	٤٨	﴿ لَقَدْ ابْتَعَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ ﴾
٤٧	٥٩	﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾
٤٩	٧٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾
سورة يونس		
٣٧٤	١٠١	﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٤٧	-١٠٢ ١٠٣	﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نَحْنِي رَسُولَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
١٠٢	١٠٤	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
١٩٨	١٠٤	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾
٢٤٤	١٠٤	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٣٦٤	١٠٤	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾
٣٧٤	١٠٤	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾
٣٦٤	١٠٥	﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
٢٣١	١٠٨	﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾
٣٣٩	١٠٨	﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾
٣٤١	١٠٨	﴿ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾
٣٧٤	١٠٨	﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾
٣٦٤	-١٠٨	﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
	١٠٩	فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ۖ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يُحْكُمَ اللَّهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾
١٦٦	١٢	﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ ۗ ﴾
١٥٩	١٩	﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۗ ﴾
٢٩٦	٢٢	﴿ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۗ ﴾
١٥٨	٢٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۗ ﴾
٢٩١	٢٣	﴿ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۗ ﴾
٢٩٣	٢٣	﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ ﴾
٢٩٣	٢٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۗ ﴾
٢٩٥	٢٣	﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٧٣	٢٣	﴿ فَلَمَّا أَجَبْتُهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ^ط يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ^ط مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
٣٦٣	٢٤-٢٣	﴿ فَلَمَّا أَجَبْتُهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ^ط يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ^ط مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣) ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
٣٦٣	٢٤	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾
١٩٣	٣١	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴿٤٤٧﴾
٣٧٣	٤٣-٣٧	﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾
٢٣٤	٥٧	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
٣٧٣	٥٧	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
٣٦٣	٥٨-٥٧	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾
٢٣٥	٥٨	﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾
سورة هود		
٢٢٧	١٧	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ، فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾
٢٩٤	١٨	﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
١١٢	٣٢	﴿قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٩٨، ٣١	٤٤	﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
٣٠	٤٦	﴿ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾
٣٠	٤٧	﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾
٣٠	٤٨	﴿ قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنَمِيعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَتَا عَذَابِ الْيَوْمِ ﴾
٣٨٢	٥٢	﴿ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾
١١٧	٥٣	﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾
٢٢٤	٥٩	﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾
١٠٨	٦١	﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾
١١٥	٦٢	﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهِنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُّرِيبٌ ﴾
٣٢	٧٦	﴿ يَأْتِرْهِمُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾
٢٠٢	٨١	﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾
١٠٩	٨٤	﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾
١١٦	٨٧	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾
١٦٤	٩	﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفُرُ ۖ كَافُورٌ ﴿٩﴾ ﴾
سورة يوسف		

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٠٧	١٠٩- ١١٠	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ ۗ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾
١٨٠	٢٣	﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾
١٦٩	٢٩	﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ﴾
١٨٠	٣٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِذَا قُلْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَلَامًا وَأَلْفَتْهُمُ إِلَّا قُلْتُمْ قَوْلًا مُؤْتًا وَأَلْفَتْهُمُ ۗ أَلَا يُحِيزُهُمْ إِلَىٰ سَبِّ الْفَاسِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾
١٧٩	٤٢	﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ۗ ﴾
١٥٨	٤٦	﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ ﴾
١٥٨	٤٩	﴿ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ﴾
١٨٠	٥٠	﴿ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾
١٢٩	٧٨	﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نُرْزِقُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٠﴾
سورة الرعد		
٣٢٦	٢١	﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾
٢٤٠	٥	﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَيْسَ لَنَا لَافِي خَلْقٍ جَدِيدٌ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
سورة إبراهيم		
١٩٣	١٠	﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾
١٩٧	٣٣-٣٢	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾
٢٥٥	٥٠	﴿وَتَعَسَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾
سورة الحجر		

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٩٩	٣٢	﴿ قَالَ يَا بَلِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾
١٠٠	٣٣	﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴾
٢٧٩	٤٢	﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾
١٧٢	٥٧	﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾
١١١	٦	﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾
سورة النحل		
٢٨٥	١١٤	﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا ﴾
٨٧	٢	﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾
٢٥٧	٢	﴿ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾
١٨٣	٢٠	﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾
١٨٢	٢٠-٢١	﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرِ أَحْيَاءٍ ﴾
٢٩٤	٣٣	﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿يَظْلِمُونَ﴾
٢٠١	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
٢٣٧	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾
١٦٥	٤	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾
٤٠٠	٤٣	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
٢٥٧	٥٢	﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْفِقُونَ﴾
٧٦	٦	﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾
٧٦	٨	﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾
٢٣٧	٨٤	﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾
سورة الإسراء		
١٦٢	١١	﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾
٣٣٣	١١١	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾
٢١٠	١٥	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾
٣٢٩	٢٤	﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾
٢٤٢	٥١	﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
٢٥٠	٥١	﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
٣٧٥	٥١	﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
١٥١	٥٧	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾
١٠٠	٦٢	﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَآحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
٢٣٤	٨٢	﴿ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾
١٦٥	٨٣	﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾
٤٠٩	٩	﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٣٣	٩٠	﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾
٢٤٤	٩٩	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾
سورة الكهف		
٢٣٠	١٠٩	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِدَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾
٢٣٧	١٢	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾
٨٩	٢٥	﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾
٣٥	٢٨	﴿ وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾
٣٢٣	٤٥	﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾
١٢٠	٤٩	﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَّا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٦٥﴾
٦٥	٨٦	﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِنِينَ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنذِرُ فِيهِمْ حَسَنًا ﴿٩٤﴾
١٢١	٩٤	﴿ قَالُوا يَا الْقَارِنِينَ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿١٢١﴾
سورة مريم		
٣٣	١٢	﴿ يَلِيحَىٰ حَذِي الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَيُّنُهُ الْحُكْمُ صَبِيًّا ﴿١٧﴾
٨٧	١٧	﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴿١٩٣﴾
١٦	١٩٣	﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴿٢٨﴾
١٢٥	٢٨	﴿ يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٣﴾
١٥	٣	﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٤	٤٢	﴿يَتَأْتٍ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾
٣٨٣	٤٢	﴿يَتَأْتٍ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾
١٥	٥٢	﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾
٢٠٤	٥٧	﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾
٢٤٣	٦٦-٦٧	﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرِجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾
١٦٥	٦٧	﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾
١٨٧	٦٧	﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾
٢٤٣	٦٨	﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾
٢٠٣	٨٣	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَهُمُوا أَنَّا ﴿٨٣﴾﴾
سورة طه		
١٦٠	١٠	﴿إِنِّي ءَأَنْسْتُ نَارًا﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٧	١٢-١١	﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾
١٢٧	١٢٠	﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾
٤٠٩	-١٢٣ ١٢٤	﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾
٢١٠	١٣٤	﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾
٤٢	١٤	﴿ فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾
٩٢	١٦	﴿ وَاتَّبِعْ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾
٢٩	-١١٦ ١١٧	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَتَّادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِرِجَالِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾
٣٧	١٧	﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ﴾
٣٨	١٩	﴿ قَالَ أَلْقَاهَا يَمُوسَى ﴾
٤٠	٢	﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾
٣٨	٣٥-٢٥	﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَى نَسِيحكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾
٣٨	٣٦	﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾
٩٥	٨٠	﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الْطُّورِ الْاَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾
٧٤	٨٢	﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى ﴾
٣٩	٨٣	﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى ﴾
١٠٦	٩٠	﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونَ مِنْ قَبْلِ يَقُومِ إِنَّمَا فِتْنَتُهُمْ بِهِ وَإِن رَّبِّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾
١٦٨	٩٤	﴿ يَبْنُوهُمْ لَا تَأْخُذْ بِذُنُوبِهِمْ وَلَا بِرَأْسِي ﴾
سورة الأنبياء		
٣٢٤	١	﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾
٣٥١	١	﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٣٨	١٠٤	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾
٢٤٢	١٠٤	﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾
٢٥٠	١٠٤	﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾
٣٥٢	١٠٤	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾
٣٥١	٣٥	﴿وَإِلينا تُرْجَعُونَ﴾
٣٥١	٣٧ - ٣٩	﴿سأُورِيكُمْ آياتي فلا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ﴾
٣٥١	٤٦	﴿وَلين مَسَّتْهمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ﴾
٣٥١	٤٧	﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾
٣٥١	٤٩	﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١١٢	٦٢	﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا بُرْهِيمُ ﴾
٣٥١	٩٣	﴿ كُلُّ إِلَهِنَا رَجِعون ﴾
٣٥٢	٩٧	﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾
٣٥٢	٩٨	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴾
سورة الحج		
٢٥٨	٣٢	﴿ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾
٢٥٧، ١٥٩، ٣٥٤، ٣٥٢ ٣٥٦	١	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾
٢٦٣	٢-١	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾
٣٦٤	٢-١	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		شَىءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِدُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمَلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١﴾
٣٠٣	١٨	﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾
٣٥٢	٢	﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾
٢٢٢	٤	﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾
٢١٥	٤٩	﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾
٣٧٦	٤٩	﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾
٣٦٥	٥٠-٤٩	﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾
١٥٨	٥	﴿يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾
١٨٥	٥	﴿يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		<p>مُضْغَةً مُخْلَقَةً وَعَيْرٍ مُخْلَقَةً لِنُبِينٍ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ مِنْكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنُوفُّ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْضِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ ﴿٥﴾</p>
٢٤٣	٥	<p>﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ﴾</p>
٣٦٥	٥	<p>﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ﴾</p>
٣٤١	٥	<p>﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخْلَقَةٍ وَعَيْرٍ مُّخْلَقَةٍ لِنُبِينٍ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ مِنْكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنُوفُّ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْضِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا</p>

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهَيْجٍ ﴿١﴾
٣٧٥	٥	﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَجْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْفَقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهَيْجٍ ﴿٢﴾
٣٦٦	٥٠	﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ ﴾
٢٠٦	٥٢	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾
٢٠٧	٥٢	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾
٢٣٨	٧-٥	﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ تَذْهَلُ تَذْهَلُ تَذْهَلُ ﴾
٢٤٨	٧-٥	﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُوَفَّ وَ مِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾
٣٥٢	٦	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾
٣٥٢	٦	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ ﴾
٢٩١	٦٠	﴿ ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ﴾
١٦٣	٦٦	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٣٨	٧-٦	﴿ ذَلِكِ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾
٢٥٣	٧-٦	﴿ ذَلِكِ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾
٣٦٥	٧-٦	﴿ ذَلِكِ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾
٢٤	٧٣	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾
١٨٢	٧٣	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾
٣٧٦	٧٣	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		أَجْتَمَعُوا لَهُٓ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾
٣٨٣	٧٣	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُٓ﴾
٣٦٦	٧٤-٧٣	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُٓ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُٓ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِٗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
١٨٤	٧٤	﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِٗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
٣٦٦	٧٤	﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِٗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
٣٥٦	٧٨	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِٗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿١٠١﴾
سورة المؤمنون		
٣٣٠	١٠١	﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾
١٦١	١٢	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾
١٨٧	١٢-١٤	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾
٢٣٧	٤٤	﴿ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا ﴾
٢٦	٥١	﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾
٢٧	٥١	﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٨٥	٥١	﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾
٢٨٦	٥١	﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾
٣٨٥	٥١	﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾
١٩٣	٨٥-٨٤	﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾
سورة النور		
٤٦	٥٤	﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ﴾
٦٣	٢	﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٢٤	٣١	﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣١﴾
٣٨٣	٣١	﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
٢٩١	٣٣	﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾
٢٩٣	٣٣	﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٧٤	٤٠	﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾
٢٢٥	٦٣	﴿ فليحذر الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
سورة الفرقان		
٢٢٧	١	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾
١٦٣	٢٩	﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾
سورة الشعراء		
١٤	١٠	﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى ﴾
٤٠	١١-١٠	﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾
٢٢٠	١٠٥	﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوْحَ الْمَرْسَلِينَ ﴾
٢٥٧	١٠٦	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾
٢٥٧	١١	﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُوتُ ﴾
٢٠٢	١٦	﴿ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١١٧	١٦٧	﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾
٢٠٣	٥٣	﴿ فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾
٢٦٠	٧٩-٧٨	﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾
سورة النمل		
٤١	١٠	﴿ يَمْوَسِي لَّا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾
١١٠	١٦	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ عَظِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾
٣١٤	١٦	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ عَظِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾
٣٧٧	١٦	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ عَظِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾
٣٦٦	١٧-١٦	﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ عَظِمْنَا ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ لُسَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿
٣٤٢	١٧	﴿ وَحِشْرَ لُسَيْمَانَ ﴾
١٢٤	١٨	﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سَيِّمَنُ وَجُنُودَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾
٣١٨	٢٣	﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾
١٢٣	٢٩	﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُؤِافِي أَلْقِي إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ ﴾
١٩٢	٥٩	﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا ﴾
١٩٢	٦٠	﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلَدٌ هُم قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾
١٩٧	٦١-٦٠	﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		<p>مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلِّ هُم قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴿٦١﴾</p>
١٩٢	٦١	<p>﴿ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾</p>
٢٤٠	٦٧	<p>﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾</p>
١٥	٨	<p>﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ ﴿٨﴾</p>
١٥٨	٨٢	<p>﴿ أَنْ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾</p>
٤٠	٩	<p>﴿ يَمْوَسِيٰٓ إِنَّهُ ۖ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾</p>
سورة القصص		
٢٧٩	١٥	<p>﴿ إِنَّهُ ۖ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾</p>
٣٣٨	٢٤	<p>﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾</p>

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤١	٣٠	﴿ أَنْ يَمْوِسَّ إِلَيْتِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
٩٦	٣٠	﴿ فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾
١٢٨	٣٨	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾
٩٦	٤٤	﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ ﴾
٣٢٣	٧٧	﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾
سورة العنكبوت		
٧٠	٥٦	﴿ يَلْعَابِدِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنَّي فَاعْبُدُونِ ﴾
٣٢٣	٦٤	﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾
١٦٣	٨	﴿ وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بُولَدِيهِ حُسْنًا ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة الروم		
٢٤٤	١٩	﴿ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ ﴾
٢٢٤	٢٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾
٢٥٠	٢٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾
٣٤٠	٤٤	﴿ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾
٣٣٦	٥٤	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ﴾
٢٣٧	٥٦	﴿ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ﴾
سورة لقمان		
١٢٣	١٣	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
٢٧٣	١٣	﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
٢٩٤	١٣	﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
١٦٢	١٤	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		وَهْنٍ ﴿
٣٢٩	١٥	﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿
٣٤	١٩	﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿
١٩٦	٢٥	﴿وَلِينَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿
٢٣٠	٢٧	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴿
٢٣٦	٢٨	﴿مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا نَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿
١٩٠	٣٠	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ ﴿
٢٦٨	٣٣	﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي عَنْ وِلْدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وِلْدِهِ، شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿
٣٢٤	٣٣	﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وِلْدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وِلْدِهِ، شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		يَغْرَتَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾
٣٣٠	٣٣	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾
٣٧٧	٣٣	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَتَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾
٣٦٧	٣٣-٣٤	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَتَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
سورة الأحزاب		

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٤	١	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾
٣٥	١	﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾
٥٠	١	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
١٣٢	١	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾
٣٨٢	١	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾
٢٦٨	١١-١٠	﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾
٥١	٢٨	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتَنَّ تُحَرِّدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾
٦٢	٣٠	﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٦٤	٣٢	﴿ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنَ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۗ ﴾
٤٧	٣٧	﴿ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَنَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ ۗ ﴾
٥٢	٤٥	﴿ يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۗ ﴾
٥٣	٥٠	﴿ يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۗ ﴾
٦٢	٥٢	﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ۗ ﴾
٦٢	٥٣	﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدًا ﴾
٦٣	٥٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾
٥٥	٥٩	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾
٦٣	٦٨	﴿ آتَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾
سورة سبأ		
٩٨	١١-١٠	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٍ أُولِي مَعَدٍ وَالطَّيْرِ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعِينَ وَقَدْرًا فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
٣١٦	١٢	﴿ وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ ﴾
١٧٩	١٥	﴿ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾
١٤٩	٢٨	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾
٢٢٧	٢٨	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾
٣٢٩	٣٠-٢٩	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْجِرُونَ عَنْهُ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٥﴾
سورة فاطر		
٣٧٩	١٥	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾
٣٦٨	١٦-١٥	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾
٣٣٣	١٧-١٥	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾
٣٣٠	١٨	﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾
٢٠٣	٢	﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾
٣٢٥	٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
٣٢٦	٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾
٣١٠	٣	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		اللَّهُ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفٍ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٧٨﴾
٣٧٨	٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفٍ تُؤْفَكُونَ ﴾
٢٩٤	٣٢	﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾
٣٠٦	٣٢	﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾
٣٦٧	٤-٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفٍ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٧٨﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾
٢١١	٣٧	﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ﴿٣٧٧﴾ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٢٠	٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾
٣٧٨	٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾
٢٨١	٦-٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
٣٦٨	٦-٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
٢٧٩	٦	﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
سورة يس		
١١٩	٢٠	﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾
١١٩	٢٦	﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾
٨٠	٦٠	﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾
١٦٥	٧٧	﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (٧٧)
٢٤٣	٧٨	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾
٢٥٠	٧٩	﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
٣٧٥	٧٩	﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
٢٤٣	٨١	﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾
سورة الصافات		
٣٣	١٠٢	﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَىءَ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَبْنَىءَ أَفَعَلَ مَا تُمُرُّهُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٢	-١٠٤ ١٠٥	﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ﴾
١٧٩	١٢٦	﴿ رَبِّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾
١٨٣	٩٦-٩٥	﴿ قَالَ اتَّعَبُونَ مَا نُنَحِّتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾
سورة ص		
٣٤	٢٦	﴿ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾
٩٢	٢٦	﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
٣١٥	٣٥	﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾
٣١٥	٣٦	﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَاب ﴾
٣١٦	٣٨-٣٧	﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَعَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٩٢	٥	﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾
١٠٠	٧٥	﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾
٢٧٦	٨٢-٨٣	﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَا تُغْوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾
سورة الزمر		
٧١	١٠	﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
٧٢	١٦	﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ يَعْْبَادُونَ فَاتَّقُونِ ﴾
٣٨٢	١٦	﴿ يَعْْبَادُونَ فَاتَّقُونِ ﴾
٢٥٥	٢٤	﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
٢٢٣	٣٣	﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُنْقَوَاتُ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٧	٣٦	﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾
٤٣	٤٢	﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾
٧٣	٥٣	﴿ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾
١٨٧، ٧٦	٦	﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾
٢١١	٧١	﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾
سورة غافر		
٢٠٧	٣٤	﴿ وَلَقَدْ جَاءَ كُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَ كُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴿٤٠﴾
٣٨٣	٤١	﴿ وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ ﴾
٢٠٧	٥١	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾
١٥٩	٥٧	﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ﴾
٢٤٣	٥٧	﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾
٢٨٦	٦٤	﴿ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾
سورة فصلت		
٢٤٤	٣٩	﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ ۚ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ۖ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
٢٠٧	٤٣	﴿ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾
١٥	٤٤	﴿ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٣٥	٤٤	﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾
٢٩٨	٤٦	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾
٣٤٠ ، ٣٣٩	٤٦	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾
١٨٦	٥٣	﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾
سورة الشورى		
٢٩٢	٣٩	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ ﴾
٢٩٢	٤٢	﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾
٢٩٤	٤٢	﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾
١٨٨	٥٣	﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾
٣٥٣	٧	﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾
سورة الزخرف		
٤٠١	٤٥	﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٢٦	٤٨	﴿ وَمَا نُزِيبُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾
٢٤	٦٨	﴿ يَتَعَبَّدُونَ لِمَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ﴾
٧٤	٦٨	﴿ يَتَعَبَّدُونَ لِمَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾
٣٨٣	٦٨	﴿ يَتَعَبَّدُونَ لِمَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ﴾
١١٨	٧٧	﴿ وَنَادَوْا بِمَمْلِكٍ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴾
١١٨	٧٨	﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَادِرُونَ ﴾
سورة الدخان		
٢٥٥	٥٦	﴿ وَوَقَّعْتُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾
سورة الجاثية		
٩٢	٢٣	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾
سورة الأحقاف		
١٦٢	١٥	﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ﴾
١٢٧	٣٠	﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٤٣	٣٣	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ ﴾
سورة محمد		
٢٦٢	٢٣-٢٢	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَرَهُمْ ﴾
١٧٣	٣٨	﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ ﴾
سورة الحجرات		
٣٨٢	١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾
٣٨٠	١١	﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ﴾
٣٧٩	١٢	﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾
١٥٩	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ﴾
٣٠١	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٠٢	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
٣٧٩	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
٣٦٩	١٣-١٤	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
٣١٩	١٧	﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
٢٥٨	٣	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمَّحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ ﴾
سورة ق		

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٤٤	١١	﴿ وَأَحْيَيْنَاهُ بَدَةً مِّمَّا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾
٢٤٢	١٥	﴿ أَفَعَيْنَا بِالْحَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ ﴾
٢٥٠	١٥	﴿ أَفَعَيْنَا بِالْحَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ حَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾
١٦١	١٦	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾
١٥	٤١	﴿ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾
سورة الذاريات		
١٨٦	٢١	﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾
٢٠٦	٥٢	﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾
٤٧	٥٤	﴿ فَنَوَّلْنَاهُمْ مَا نَشَاءُ لِمَنْ نَشَاءُ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾
١٩٠	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾
١٩١	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾
١٩٦	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾
٢٠١	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾
سورة الطور		

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٤١	٢١	﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾
١٨٦	٣٥	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾
١٨٢	٣٦-٣٥	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾
سورة النجم		
٩٢	٣	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾
٣٠٧	٣٢	﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾
٢٢٢	٤	﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾
سورة القمر		
٣٢	١٤-١٣	﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْوَجْهِ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ نَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾
٤٠٢	٤٦	﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَىٰ وَأَمْرٌ﴾
سورة الرحمن		
١٦١	١٤	﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾
٨١	٣٣	﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْعُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا لَا تَنْفَعُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة الواقعة		
١٦٨	٥١	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ ﴾
٢٤٣	٦٢	﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى ﴾
٢٥٠	٦٢	﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
سورة المجادلة		
٢٣٦	٦	﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴾
سورة الحشر		
١٦٢	١٦	﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ ﴾
٤٧	٧	﴿ وَمَاءَ أَنْتُمْ الرَّسُولُ فَحُذُوهُ ﴾
سورة الممتحنة		
٥٧	١٢	﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٧	٤	﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾
سورة الصف		
٣٨٣	٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾
١٦٨	٥	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمْتُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾
٩٧	٦	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِنَتِيِّ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾
سورة الجمعة		
١٣٦	٦	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا ﴾
١٥	٩	﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾
سورة التغابن		
٢٣٦	٧	﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ﴾
٢٣٨	٧	﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ثُمَّ لِلنَّبِيِّينَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٤٠	٧	﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُمْ لِنُبَيِّنَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾
سورة الطلاق		
٥٨	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَاحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾
٦٩	١٠	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾
٣٠٦	٣-٢	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾
٤٧	٣	﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾
سورة التحريم		
٦١، ٦٠	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٨٣	١	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾
٢٤	٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنَدِرُوا الْيَوْمَ ﴾
١٠١	٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنَدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
٣٨٢	٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْنَدِرُوا الْيَوْمَ ﴾
٥٠	٩	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾
سورة الملك		
٢١٠	٩-٨	﴿ كَلَّمَآ أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهُآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾
سورة القلم		
١١١	٢	﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾
سورة المعارج		
٣٣٠	١٥-١١	﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّبُهَا ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۗ كَلَّا ﴾
١٦٣	١٩	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۗ ﴾
سورة الجن		
٢٢٥	٢٣	﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾
١٥٢	٦	﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۗ ﴾
سورة المزمل		
١٦٨	١	﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴾
١٤٦	١٦	﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾
٢٦٥	١٧	﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾
٢٩٣	٢٠	﴿ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾
سورة المدثر		
١٦٨	١	﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾
٣٤١	٣٨	﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾
سورة القيامة		
٢٤١	١	﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٦٤	٣	﴿ اِحْسَبُ الْاِنْسَانَ اَلَّذِي جَمَعَ عِظَامَهُ ۚ ﴿٢﴾ ﴾
٢٥٠	٤٠-٣٧	﴿ اَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَدْرِ عَلٰٓى اَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتٰى ﴾
سورة الانسان		
١٦١	١	﴿ هَلْ اَتٰى عَلَى الْاِنْسَانِ حِيْنَ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾
١٦١	٢	﴿ اِنَّا خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ مِّنْ نُطْفَةٍ ﴾
٣٥	٢٤	﴿ وَلَا تَطَّعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا اَوْ كَفُورًا ﴾
سورة النزعات		
٢٥٢	١٢-١٠	﴿ يَقُولُونَ اَءَا نَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ اَءَا ذَا كُنَّا عِظْمًا نَّخْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوْا تِلْكَ اِذَا كَرِهَ خَاسِرَةٌ ﴾
٢٤٤	٢٧	﴿ ءَا نَتْمُ اَشَدُّ خَلْقًا اَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾
١٦١	٣٥	﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْاِنْسَانُ مَا سَعٰى ﴿٣٥﴾ ﴾
سورة عبس		
١٦٤	٢٤	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسَانُ اِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿٢٤﴾ ﴾
٣٣٠	٣٧-٣٤	﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ اَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَاُمِّهِ وَاَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَجِيهِ وَاَبْنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ اَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٣٠	٣٧	﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾
٣٢٥	٩-٨	﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴾
سورة التكويد		
٢٠٢	١٩	﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾
سورة الانفطار		
١٣٨	٦	﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بَرِيكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾
١٦٣	٦	﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بَرِيكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾
سورة الانشقاق		
١٦٣	٦	﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾
سورة الطارق		
١٦٤	٥	﴿ فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾
٢٥٢	٨-٥	﴿ فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾
سورة الفجر		
١٦٥	١٥	﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا أَبْلَغَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ ﴾

رقم الصفحة	رقمها	الآية
١٦٥	٢٣	﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكَرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾﴾
٣٢١	٢٤	﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾
٨٠	٢٧-٢٨	﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرَضِيَةً﴾
سورة البلد		
١٦٥	٤	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾
سورة التين		
١٦٢	٤	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾
سورة العلق		
١٦١	٢-١	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾
١٦	١٧	﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾﴾
٩١	٦	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾﴾
١٦٢	٦	﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾﴾
سورة القدر		
٨٧	٤	﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ﴾
سورة البينة		

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٠٦	٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾
سورة الزلزلة		
١٦٦	٣	﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ (٢)
سورة العاديات		
١٦٢	٦	﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦)
سورة العصر		
١٦٦	٢	﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (٢)
سورة الناس		
١٥٢	٥	﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (٥)
١٥٢	٦	﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (٦)

فهرس الأحاديث والآثار

رقم الصفحة	الحديث
٢٥٦	اتقوا النار ولو بشق تمرّة
٣٠٣	أكرمهم عند الله أتقاهم
١٢٦	ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم
٢٠٠	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله
٢٩٠	إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه
٢٦٢	إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة
٣٣٣	إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين
٣٠٧	إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم
٩٠	إن أولى الناس بابن مريم؛ لأنه لا نبي بيني وبينه
٢٢٠	أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره

رقم الصفحة	الحديث
٢٣٩	إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدا، فيه يركب يوم القيامة
١٢٨	إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، وهي شجرة الخلد
٩٧	إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب
٤٠٢	إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام
٣٥٦	إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت
٣٢٥	إِنِّي أَتَقَاكُمُ اللَّهُ وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشِيَّةً
١٤٨	إني قلدت هديا
٢٢	أي رب
٢٧٤	إياكم ومحقرات الذنوب، ثم ضرب لذلك مثلا يقوم نزلوا بفلاة من الأرض
٢٨٦	أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين
١٤٩	بعثت إلى الأحمر والأسود
٦٠	بل شربتُ عسلاً عند فلانة ولن أعود له

رقم الصفحة	الحديث
٧٠	البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، فحيثما أصبت خيراً فأقم
٩٥	ثلاثة يعطيهم الله الأجر مرتين من اشترى جارية فأحسن تأديبها فأعتقها وتزوجها
١٧٢	ثوبي حجر
٤٤	الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا
٢٧٥	سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت
٢٠٧	العلماء ورثة الأنبياء
٢٠٦	فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض
٢٣٩	قال الله: كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك
٢٩٨	القرآن حجة لك أو عليك
١٥١	كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم
٧٨	كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: من يعيرني تطوفاً؟ تجعله على فرجها، وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله... فما بدا منه فلا أحله
٢٣٩	كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقله

رقم الصفحة	الحديث
١٢٤	كَرَّمَ الْكِتَابَ خَتْمُهُ
٢٢٦	كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي
٥٥	لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها
٢٢١	اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد
١٤٨	لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة
٥٣	ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله تعالى له النساء
٢٩٧	ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم
٥٤	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه
٢٢٥	من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد
٣٥٦	ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته
٢٧	يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين
٣٣٧	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم
٢٦٧	يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم. فيقول: لبيك ربنا وسعديك.

رقم الصفحة	الحديث
	فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار
١٣٨	يقول الله يوم القيامة: ابن آدم، ما غرك بي؟ ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين

فهرس الأبيات الشعرية

صفحة	القائل	الأبيات الشعرية
٢٣	امرئ القيس	أفاطم مهلا بعض هذا التدلل... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
٣١	لبيد	إلي الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
٢٠	ذي الرمة	أيا ظبية الوعساء بين جلاجل... وبين النقا أنتِ أم أمُّ سالم
٢٣	عمر بن عبدالعزيز	حملت أمرا عظيما فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله يا عمرا
٢١	الراعي النميري	فأصاخ يرحو أن يكون حيا ويقول من فرح: هيا ربا
١٧١	مجنون ليلى	فواكبدا من حب من لا يحبني... "ومن عبرات ما لهن فناء
١٧٠	عبد يغوث الحارثي	فيا راكبا إما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا
١٨١	أبو العتاهية	فيا عجبا كيف يعصى الإله... أم كيف يجحده الجاحد ولله في كل تحريكة... وفي كل تسكينة شاهد وفي كل شيء له آية... تدل على أنه واحد
٣٠٤		قبائل من شعوب ليس فيهم... كريم قد يعد ولا نجيب
٣٣٥	ابن تيمية	والفقر لي وصف ذات لازم أبدا...

		كما أن الغني أبدا وصف له ذاتي
١٥٧		وبلد تمسي قطاه نسا
٣٣٣	الحافظ الحكمي	وهو الغني بذاته سبحانه... جل ثناؤه تعالى شأنه وكل شيء رزقه عليه... وكلنا مفتقر إليه
١٦٩	سالم بن دارة	يا أبحر بن أبحر يا أنتا أنت الذي طلقت عام جعثا

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
١٧٩	ابن الأثير
٤٥	ابن الجوزي
٣٨٧	ابن الحصار
٢٢	ابن الصائغ
٣٨٧	ابن الفرس
١٨٦	ابن القيم
١٤٦	ابن تيمية
٤٣	ابن جرير
٢٥٠	ابن جزى
٢٣٩	ابن حزم
١٣٥	ابن عاشور
١٨٤	ابن عثيمين
١٥٦	ابن فارس
٣٦	ابن كثير

الصفحة	العلم
١٨٧	ابن منظور
١٤	ابن يعيش
١٨٩	أبو العباس الفيومي
١٨١	أبو العتاهية
٢٠٤	أبو الفضل
١٩١	أبو جعفر الطحاوي
١٩	أبو حيان
٨٩	أبو عثمان النهديّ
١١١	أبو علي الفارسي
٥٥	الآلوسي
١٤٧	الأمدي
٢٢	امرئ القيس
١٣٦	البقاعي
١٥٢	البلقيني
١٣٧	الجرجاني
١٧٨	الجوهري

الصفحة	العلم
١٨٧	الحافظ الحكمي
١٤٧	الحليمي
٢٥٧	الدامغاني
٢٠	ذي الرمة
١٤	الرازي
٢١	الراعي النميري
١٤	الراغب الأصفهاني
٥٨	الزجاج
١٧	الزركشي
٧٦	الزنجشيري
١٢٦	السدي
٤٢	السعدي
٣٢١	سعيد ابن جبير
١٣١	السمرقندي
٢١٧	السمعاني
٣٠٤	السمين الحلبي

الصفحة	العلم
٢٢	السيوطي
٩٢	الشعبي
١٥٣	الشنقيطي
١٩٩	الشوكاني
١٤٧	الصيرفي
٢٥٦	طلق بن حبيب
١٩٤	عبدالرزاق عفيفي
١٧٤	العكبري
٤٣	علي بن أبي طلحة
٢٢٦	العيبي
٢٣	فاطمة بنت العبيد
٢٤٦	فخر الدين الرازي
٢٧١	الفيروز آبادي
٤٣	قتادة
٤٤	القرطبي
٢٨٦	الكفوي

الصفحة	العلم
١١٢	الكلي
٣١	ليبد
٢١	المبرد
٥٩	مجاهد
٢٤٥	المراغي
٤٣	مطر الوراق
١١٢	مقاتل
٣٨٨	مكي
٦٦	النسفي
١٤٠	الواحدي

المصادر والمراجع

- ١- الإتيقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٢- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - لبنان.
- ٣- الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٤- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٥- أسرار النحو في ضوء أساليب القرآن، الدكتور محمد يسري زعير، دار الكتاب الجامعي طبعة ١٤١٨هـ.
- ٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- ٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرفاعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٨- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (الكتاب نشر - أيضا - بعنوان: ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية)، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: حازم القاضي، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.
- ٩- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- ١٠- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ١١- إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية من علوم القرآن - جمع وتحقيق عبيد بن عبد الله الجابري و الدكتور محمد بن هشام بن لعل محمد - مطبعة دار الإمام البخاري - الدوحة قطر الطبعة الأولى ١٤٣١هـ
- ١٢- إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د. حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر: ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩ م.
- ١٣- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى:

- ١٤ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
- ١٥ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٦ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ١٧ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة محمد شرف الدين بالتقايأ رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١٨ - بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: علي معوض و عادل عبد الموجود، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ١٩ - البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- ٢٠- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- ٢١- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الأنجوري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.
- ٢٢- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ٢٣- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٢٤- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٢٥- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للكرماني تحقيق د/ السيد الجميلي ط: الأزهر الشريف ١٤١٤ هـ.
- ٢٦- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات).

- ٢٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- ٢٨- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا
- ٢٩- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، الناشر: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٣٠- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- ٣١- تاريخ إربل، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، عام النشر: ١٩٨٠ م.
- ٣٢- التاريخ الأوسط (مطبوع خطأ باسم التاريخ الصغير)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- ٣٣- تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (المتوفى:

- ٢٦١هـ)، الناشر: دار الباز، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- ٣٤- التبيان في إعراب القرآن، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٣٥- التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ)، المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
- ٣٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.
- ٣٧- التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ.
- ٣٨- تذكرة الحفاظ (أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان)، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (المتوفى: ٥٠٧هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: دار الصمعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٩- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزري الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

- ٤٠ - تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد وويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور، محمد بن إسماعيل الصنعائي، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٤١ - تغليق التعليق على صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ٤٢ - تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٤٣ - التفسير البسيط - المؤلف أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي - تحقيق مجموعة من الأساتذة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣٠ هـ
- ٤٤ - تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة.
- ٤٥ - التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - المؤلف حكمت بن بشير ياسين - المطبعة دار المآثر بالمدينة النبوية - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
- ٤٦ - تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

٤٧- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

٤٨- تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكِي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة.

٤٩- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩هـ.

٥٠- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

٥١- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٢- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب

- العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.
- ٥٣- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر
والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٥٤- تفسير القرآن الكريم - سورة النساء، محمد بن صالح العثيمين، الناشر: ابن الجوزي -
الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.
- ٥٥- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن
قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية
بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى
- ١٤١٠ هـ.
- ٥٦- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني
التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم
وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى،
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٥٧- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب
البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد
المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
- ٥٨- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

- ٥٩ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
- ٦٠ - تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٦١ - التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- ٦٢ - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى.
- ٦٣ - تفسير جزء عم، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، إعداد وتخرىج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٦٤ - تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
- ٦٥ - التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

- ٦٦- تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٦٧- التكملة لوفيات النقلة، لزكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- ٦٨- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)
- ٦٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٧٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٧١- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م.
- ٧٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٧٣- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٧٤- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المتوفى: ١٣٦٤هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٧٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٧٦- الجامع لأحكام القرآن - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

٧٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٧٨- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

٧٩- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- ٨٠- الحكمة من إرسال الرسل (ص ٦٢-٦٣) عبدالرزاق عفيفي دار الصميعي - الرياض
- الطبعة الثانية - ١٤٢٠هـ.
- ٨١- خزانة الأدب وغاية الأرب، للحموي، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.
- ٨٢- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلبي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
- ٨٣- الخليل معجم المصطلحات النحو العربي - الدكتور جورج متري عبد المسيح وهاني جورج تابري - تصدير الدكتور محمد مهدي علام نائب مجمع اللغة العربية - القاهرة
- مكتبة لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٠ - بيروت - ساحة رياض الصالح.
- ٨٤- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق.
- ٨٥- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- ٨٦- دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٣/ ٦٣٨) الدكتور محمد عبدالحالق عضيمه مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
- ٨٧- الدرّة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٨٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو افضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان،

الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/
١٩٧٢م.

٨٩- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد
الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي
الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، الناشر: مؤسسة علوم
القرآن - دمشق.

٩٠- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن
موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي،
عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦
م.

٩١- دليل الطالبين لكلام النحويين، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي
الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣هـ)، الناشر: إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية -
الكويت، عام النشر: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٩٢- ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى:
١١٦٧هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٩٣- ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، (المتوفى:
١١٦٧هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

- ٩٤ - ديوان الراعي النميري شرح الدكتور واضح الصمد - بيروت دار الجيل - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- ٩٥ - ديوان لبيد - دار صادر بيروت - بدون ذكر الطبعة.
- ٩٦ - الرسالة التبوكية = زاد المهاجر إلى ربه، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: د. محمد جميل غازي، الناشر: مكتبة المدني - جدة
- ٩٧ - الرسل والرسالات، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- ٩٨ - الروايات التفسيرية في فتح الباري، عبد المجيد الشيخ عبد الباري، رسالة دكتوراة، الناشر: وقف السلام الخيري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ٩٩ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ١٠٠ - الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠١ - زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي -

بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٠٢ - السنة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. محمد سعيد سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٠٣ - سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، عدد الأجزاء: ٢.

١٠٤ - سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

١٠٥ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٠٦ - سنن الدار قطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٠٧ - سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَإِمَاز

- الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من تحقيقين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ١٠٨ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرنؤوط وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ١٠٩ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- ١١٠ - شرح الأثيوبي على ألفية الشيوطي في الحديث = إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر في علم الأثر، محمد بن علي بن آدم بن موسى الأثيوبي الولوي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١١١ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١١٢ - شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

- ١١٣ - شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١١٤ - شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحى دمشقى (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
- ١١٥ - شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب - بيروت.
- ١١٦ - شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر، الطبعة: الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ١١٧ - شرح كشف الشبهات، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى: ١٣٨٩هـ)، المحقق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: طبع على نفقة محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
- ١١٨ - شرح مختصر الروضة للشثري الرياض - دار التدمرية - الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- ١١٩ - شرح مختصر الروضة، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبوالريبع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ١٢٠ - الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣هـ.
- ١٢١ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي

- (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٢٢- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.
- ١٢٣- الصور البلاغية في سورة النساء - للدكتور زكي صبري محمد بحث محكم في جامعة الأزهر.
- ١٢٤- ضعيف الجامع الصغير وزياداته - المؤلف محمد بن ناصر الألباني - مطبعة المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ
- ١٢٥- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
- ١٢٦- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- ١٢٧- طبقات الشافعية اسم المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان.
- ١٢٨- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلوة، الناشر: هجر

للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

١٢٩- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الداودي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق

١١هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية،

الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٣٠- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،

تحقيق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.

١٣١- طريق المهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين

ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة:

الثانية، ١٣٩٤هـ

١٣٢- علم المناسبات بين المانعين والمجيزين - المؤلف إبراهيم الهويل مجلة جامعة الإمام

(العدد ٢٥) المحرم ١٤٢٠هـ

١٣٣- علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه - نور الدين عتر -

العدد ١١ - مجلة علمية محكمة - كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي

١٣٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد

محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني

(المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٣٥- عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة

الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- ١٣٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
- ١٣٧- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة، عبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥هـ).
- ١٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ١٣٩- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
- ١٤٠- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجميل، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.
- ١٤١- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٤٢- القواعد الحسان لتفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٤٣- القول السديد شرح كتاب التوحيد، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن أحمد، الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة: الثالثة.

١٤٤- القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

١٤٥- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤٦- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤٧- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٤٨- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٤٩- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تحقيق:

- كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- ١٥٠- الكتاب: دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبدالله بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي - المملكة العربية والسعودية، الطبعة: الأولى ١٤٣٠ هـ.
- ١٥١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨ هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- ١٥٢- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، اسم المؤلف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥ - الطبعة: الرابعة، تحقيق: أحمد الفلاش.
- ١٥٣- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢ هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٥٤- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢ هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٥٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

- ١٥٦- كَفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الحفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر - بيروت.
- ١٥٧- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة النشر.
- ١٥٨- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ.
- ١٥٩- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٦٠- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
- ١٦١- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - الطبعة: الثالثة.
- ١٦٢- لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانی، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة

وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار النشر: دار الفضيلة.

١٦٣- اللوحة في شرح الملحّة، محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله،

شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (المتوفى: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم

الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة

العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

١٦٤- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضوية في عقد الفرقة المرضية،

شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى:

١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢هـ

- ١٩٨٢م.

١٦٥- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، الطبعة: الرابعة

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٦٦- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة

المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٦٧- المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي

(المتوفى: ٣٩٢هـ)، قرأه وشرحه وعلق عليه: مروان العطية، شيخ الزايد، الناشر: دار

الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٦٨- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)،

المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية

(البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

- ١٦٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
- ١٧٠- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥ م.
- ١٧١- مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ١٧٢- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
- ١٧٣- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- ١٧٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي الحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة:

الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٧٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٧٦- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٧٧- محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٧٨- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

١٧٩- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤ م.

١٨٠- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.

- ١٨١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١٨٢- مذكرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي (المتوفى: ١٤١٥هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٨٣- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٨٤- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع - تأليف جلال الدين بن عبدالرحمن السيوطي - مكتبة دار المنهاج - الطبعة الأولى - الرياض ١٤٢٦ هـ
- ١٨٥- المستدرک علی مجموع فتاوی شیخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه علی نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ).
- ١٨٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- ١٨٧- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٨٨- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٨٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٩٠- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٩١- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
- ١٩٢- مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

- ١٩٣ - مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، وَيُسَمَّى: "المُقْصِدُ الأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض.
- ١٩٤ - المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، المؤلف: إعداد جماعة من العلماء، بإشراف صفى الرحمن المباركفوري، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض - الطبعة الثانية ١٤٢١هـ. .
- ١٩٥ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- ١٩٦ - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٩٧ - معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٩٨ - معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٩٩ - معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسَمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- ٢٠٠ - المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي.
- ٢٠١ - المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
- ٢٠٢ - معجم الشيوخ الكبير للذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢٠٣ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.
- ٢٠٤ - المعجم المفصل في النحو العربي للدكتورة عزيزة فوال بابني - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤١٣ - بيروت لبنان.
- ٢٠٥ - معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٢٠٦ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- ٢٠٧- معرفة الصحابة لابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدى (المتوفى: ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة.
- ٢٠٨- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٢٠٩- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- ٢١٠- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢١١- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
- ٢١٢- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبوالخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٢١٣- المقصد الأرشدي في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن

- سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى،
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٢١٤ - الملخص في شرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار النشر: دار
العاصمة الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٢١٥ - الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى:
٥٤٨ هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي.
- ٢١٦ - المناهي اللفظية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، جمع وإعداد:
فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى،
١٤١٥ هـ.
- ٢١٧ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية
الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة
الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٢١٨ - منهج ابن الأثير الجزري في مصنفه «النهاية في غريب الحديث والأثر»، أ. د.
أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
بالمدينة المنورة.
- ٢١٩ - موارد الإمام البيهقي في كتابه السنن الكبرى، نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: الجامعة
الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة: السنة ١٨، العددان ٧١، ٧٢، رجب - ذوالحجة
١٤٠٦ هـ

٢٢٠ - الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٥٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢٢١ - موقع الشيخ محمد ابن عثيمين على الشبكة العنكبوتية [www. binothaimainee. com](http://www.binothaimainee.com)

٢٢٢ - النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٢٢٣ - النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.

٢٢٤ - نداء الله نبيه الكريم في آي الذكر الحكيم - المؤلف بدر بن ناصر البدر - مجلة البحوث الإسلامية - العدد ٦١ تصدرها رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

٢٢٥ - النداء في اللغة والقرآن المؤلف الدكتور أحمد محمد فارس - مطبعة دار الفكر اللبناني الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ

٢٢٦ - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- ٢٢٧- زهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٢٢٨- زهة الألباب في الألقاب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٢٩- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.
- ٢٣٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ٢٣١- نظم العقيان في أعيان الأعيان، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: فيليب حتي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- ٢٣٢- نقد مراتب الإجماع، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، بعناية: حسن أحمد إسبر، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٣٣- نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٢٣٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٣٥- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٣٦- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي (المتوفى: ٣٩٨هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ.

٢٣٧- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجلييلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

٢٣٨- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي

- (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: المكتبة التوفيقية - مصر.
- ٢٣٩- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٤٠- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز - أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان
- ٢٤١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٤٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: ١٩٠٠م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	ت
٢	المقدمة	١
١٣	التمهيد	٢
١٨	الفصل الأول: أقسام النداء - وأركانه وأسواره في القرآن الكريم	٣
١٩	المبحث الأول: أركان النداء	٤
٢٥	المبحث الثاني: أقسام النداء في القرآن الكريم باعتبار المنادي	٥
٢٦	المطلب الأول: نداءات الله تعالى الواردة في القرآن الكريم	٦
١٠٢	المطلب الثاني: النداءات الأخرى الواردة في القرآن الكريم	٧
١٣٠	المبحث الثالث: أقسام النداء باعتبار أغراضه	٨
١٣٢	المطلب الأول: نداء المدح	٩
١٣٤	المطلب الثاني: نداء الذم	١٠
١٣٧	المطلب الثالث: نداء التنبيه	١١
١٣٩	المطلب الرابع: نداء الإضافة	١٢
١٤٢	المطلب الخامس: نداء النسبة	١٣
١٤٤	المطلب السادس: نداء التسمية	١٤
١٤٥	المبحث الرابع: المخاطبون بندااء الناس في القرآن الكريم	١٥

الصفحة	الموضوع	ت
١٥٥	المبحث الخامس: الوجوه البلاغية والأسرار الأسلوبية في النداء	١٦
١٥٦	المطلب الأول: الأوجه الدلالية لكلمتي الناس و الإنسان في القرآن الكريم	١٧
١٦٧	المطلب الثاني: الأسرار البلاغية في النداء على وجه العموم	١٨
١٦٩	المطلب الثالث: استخدام حرف النداء "ياء" مع الناس في القرآن وحذفها	١٩
١٧٤	المطلب الرابع: السر في إضافة "أي" في عموم نداء الناس في القرآن الكريم	٢٠
١٧٦	الفصل الثاني: موضوعات نداء الناس في القرآن الكريم	٢١
١٧٧	المبحث الأول: نداءات عقديّة	٢٢
١٧٨	المطلب الأول: توحيد الربوبية	٢٣
١٨٩	المطلب الثاني: توحيد الإلهوية	٢٤
٢٠٢	المطلب الثالث: إرسال الرسل عليهم السلام	٢٥
٢١٩	المطلب الرابع: الأمر باتباع الرسل عليهم السلام	٢٦
٢٣٦	المطلب الخامس: الإيمان بالبعث	٢٧
٢٥٤	المبحث الثاني: نداءات تشريعية	٢٨
٢٥٥	المطلب الأول: الأمر بالتقوى	٢٩
٢٧١	المطلب الثاني: النهي عن اتباع خطوات الشيطان	٣٠
٢٨٥	المطلب الثالث: الأمر بالكسب الطيب	٣١

الصفحة	الموضوع	ت
٢٩١	المطلب الرابع: النهي عن البغي والظلم	٣٢
٣٠٠	المبحث الثالث: نداءات خلقية	٣٣
٣٠١	المطلب الأول: التفاضل بين الناس	٣٤
٣٠٨	المطلب الثاني: التحدث بنعمة الله تعالى	٣٥
٣٢٠	المطلب الثالث: التحذير من الغرور	٣٦
٣٢٤	المطلب الرابع: الخشية من أهوال يوم القيامة	٣٧
٣٣٢	المطلب الخامس: استشعار الفقر والحاجة أمام الله تعالى	٣٨
٣٣٩	المطلب السادس: مسؤولية الفرد عن أفعاله	٣٩
٣٤٢	الفصل الثالث: المناسبات في نداءات الناس في القرآن الكريم	٤٠
٣٤٣	المبحث الأول: تعريف المناسبة وموقف العلماء منها	٤١
٣٤٩	المبحث الثاني: المناسبة بين أول السورة المفتحة بندااء الناس وآخر السورة السابقة عليها	٤٢
٣٥٤	المبحث الثالث: المناسبة بين السور المفتحة بندااء الناس	٤٣
٣٥٥	المبحث الرابع: المناسبة بين أول السورة المفتحة بندااء الناس وآخرها	٤٤
٣٥٨	المبحث الخامس: المناسبة بين الآية والتي تليها	٤٥
٣٧٠	المبحث السادس: المناسبة بين الآية والآية السابقة لها	٤٦

الصفحة	الموضوع	ت
٣٨١	الفصل الرابع: مقارنة بين نداءات الناس ونداءات الأخرى في القرآن الكريم	٤٧
٣٨٢	المبحث الأول: مقارنة بين نداءات الناس ونداءات أهل الإيمان	٤٨
٣٩٩	المبحث الثاني: مقارنة بين نداءات الناس ونداءات أهل الكتاب	٤٩
٤٠٥	المبحث الثالث: مقارنة بين نداءات الناس ونداءات بني آدم	٥٠
٤٠٨	الخاتمة	٥١
٤١٠	الفهارس	٥٢
٤١١	فهرس الآيات	٥٣
٥٠٤	فهرس الأحاديث والآثار	٥٤
٥٠٩	فهرس الأبيات الشعرية	٥٥
٥١١	فهرس الأعلام	٥٦
٥١٦	ثبت المصادر والمراجع	٥٧
٥٥٣	فهرس الموضوعات	٥٨